

الزاوية الدلائية

ودورها الديني والعلمي والسياسي

توفش هذا الكتاب أمام الجمهور في 8 أبريل 2003 بكلية الآداب
بالبطاطة فقال به المؤلف دبلوم الدراسات العليا بدرجة حسن

تأليف

محمد حجي

أستاذ مساعد بكلية الآداب بالرباط

المطبعة الوطنية بالرباط.

1384 - 1964

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تقدير واعتراف ⁽³⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

أرى لزاما على قبل كل شيء أن أتقدم الى أستاذي
الكبير الدكتور حسن ابراهيم حسن بأخلص عبارات الشكر
والامتنان لما أولانيه سيادته من عناية واهتمام ، ولما أسداه الى
من معونة ثمينة وتوجيه سديد . فقد كنت أجده فيه طيلة
السنتين اللتين قضيتهما في اعداد هذه الرسالة تحت اشرافه
الاستاذ الخبير المحنك الذي لا ييخل على بكل ما أطلب من
ارشادات ومساعدات ، والعالم المتواضع الصبور الذي يتسع
صدره لاستفساراتي المتكررة ، ويفتح بابه في وجهي
باستمرار . كما أشكر كلا من الاستاذ محمد ابراهيم
الكتاني الذي كان أول من أوحى الى بموضوع الزاوية
الدلائية وظل يمدني بما لديه من معلومات وامراجع ،
وصديقي الاستاذ محمد المنوني الذي أفدت كثيرا من خبرته
الواسعة واطلاعه الكبير على خبايا المخطوطات المغربية ،
والاستاذ عبد الله الرجراجي الذي وضع رهن اشارتي كل
ما احتجت اليه في بحثي من مصادر مخطوطة ومطبوعة ؛
فاليهم جميعا والى سائر العاملين في المكتبة الوطنية ، والزملاء
الذين لم ييخلوا على بما لديهم من معلومات ووثائق أصدق
عبارات التقدير والاعتراف بالجميل .

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نور

فهرس موضوعات الرسالة

3 تقدير واعتراف
5 فهرس موضوعات الرسالة
13 المقدمة

الباب الاول

نشأة الزاوية الدلائية

21	1 - لمحة عن عصر الدلائيين
23	2 - الزاوية والرباط والرابطة
26	3 - أصل الدلائيين
30	4 - تأسيس الزاوية الدلائية
34	5 - موقع الزاوية الدلائية

الباب الثاني

تعاليم الزاوية الدلائية

43	1 - الزاوية الدلائية كمركز ديني
43	(أ) الشيخ أبوبكر مؤسس الزاوية الدلائية
45	(ب) اطعام الطعام في الزاوية الدلائية
47	(ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف
48	2 - طريقة الزاوية الدلائية
48	(أ) سند الدلائيين في الشاذلية
52	(ب) اذكار الزاوية الدلائية
54	(ج) مريدو الزاوية الدلائية
56	3 - علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا
57	(أ) الزاوية الناصرية
61	(ب) الزاوية الفاسية
64	(ج) الزاوية العياشية

الباب الثالث

الزاوية الدلائية باعتبارها مركزا علميا

- 71 I - الأهمية العلمية للزاوية الدلائية
- 72 (أ) العلوم التي كان يدرسها الدلائيون
- 74 (ب) تفوق الدلائيين في اللغة وقواعدها
- 75 2 - أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها
- 76 (أ) محمد بن أبي بكر الدلائى
- 81 (ب) بقية أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها
- 86 3 - أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها
- 86 (أ) أحمد بن القاضي
- 94 (ب) أساتذة آخرون درسوا في الزاوية الدلائية
- 97 4 - تلاميذ الزاوية الدلائية
- 97 (أ) الحسن اليوسى
- 108 (ب) أحمد المقرى
- 113 (ج) العربى الفاسى
- 114 (د) علماء آخرون تخرجوا في الزاوية الدلائية

الباب الرابع

الدلائيون والسياسة

- 131 I - موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية
- 131 (أ) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين
- 132 (ب) موقف الدلائيين من ابن أبى محلى وأبى زكريا الحاحى
- 138 (ج) موقف الدلائيين من أبى حسن السملالى
- 143 (د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشى
- 149 2 - زعامة محمد الحاج السياسية
- 149 (أ) من هو محمد الحاج ؟
- 150 (ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم
- 153 (ج) تأسيس مدينة الدلاء
- 153 (د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

- 3 - أعمال محمد الحاج الحربية 154
- (أ) الحملتان الدلائيتان الاوليان (وقعة أبي عقبة) 154
- (ب) مهاجمة المجاهد العياشي 155
- (ج) غزو شرفاء سجلماسة (وقعة القاعة) 158
- (د) الجهاد ضد الاسبانيين في المعمورة 159
- (هـ) حملات تأديبية في بلاد زعير والحياينة 163

الباب الخامس

انتشار نفوذ الدلائيين السياسى

- 1 - الموريسكيون ينضمون تحت لواء الدلائيين 167
- (أ) المدجنون والموريسكيون 167
- (ب) الموريسكيون في تطوان 168
- (ج) الموريسكيون في الرباط 170
- (د) أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية 174
- (هـ) عبد الله الدلائى أمير سلا 175
- 2 - علاقات الدلائيين بأوروبا 177
- (أ) الدلائيون وفرنسا 179
- (ب) الدلائيون وأنجلترا 181
- (ج) الدلائيون والاراضى الواطئة (هولاندا) 184
- (د) السفارة المغربية في لاهاي 197
- (هـ) قضية تنصر أمير دلائى 203
- 3 - الدلائيون في فاس 208
- (أ) أحمد بن محمد الحاج الدلائى أمير فاس 209
- (ب) محمد الدلائى يخلف أخاه في امارة فاس 210
- 4 - آثار الدلائيين 211
- (أ) المباني في الدلا وفاس 211
- (ب) النقود الاشقوبية 212

الباب السادس

نهاية الزاوية الدلائية

- 217 1 - بدء انتفاض الاطراف على الدلائيين
- 217 (ا) ثورة الخضر غيلان فى الشمال
- 219 (ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس
- 221 (ج) قضية البلديين بفاس
- 223 2 - الثورة ضد الدلائيين فى سلا والرباط
- 223 (ا) عوامل الثورة
- 224 (ب) حصار عبد الله الدلائى فى القصبة
- 224 (ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة الى دولة أوربية ؟
- 226 3 - القضاء على الزاوية الدلائية - تخريبها
- 226 (ا) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوى
- 228 (ب) استيلاء الرشيد على فاس
- 230 (ج) معركة (بطن الرمان) - تخريب الزاوية الدلائية

الباب السابع

أثر الدلائيين فى خارج زاويتهم

- 235 1 - خروج الدلائيين الى فاس
- 235 (ا) تغريب الدلائيين الى تلمسان
- 238 (ب) ثورة أحمد الدلائى على السلطان اسماعيل
- 240 2 - العلماء الدلائيون فى فاس ومكناس
- 243 (ا) محمد المسناوى الدلائى شيخ الجماعة بفاس
- 247 (ب) تلاميذ الدلائيين فى فاس
- 249 3 - الكتب التى ألفها الدلائيون
- 251 (ا) جدول مؤلفات الدلائيين
- 254 (ب) جدول الكتب التى ألفت فى الدلائيين

257 بقايا البيت الدلائلي	4 -
257 (أ) مساكن قبيلة مجاط اليوم	
258 (ب) أحفاد الدلائيين في فاس والدار البيضاء والرباط	
265 الخاتمة	

الملاحق

269 ملحق رقم 1
270 ملحق رقم 2
273 ملحق رقم 3
275 ملحق رقم 4
277 ملحق رقم 5
278 ملحق رقم 6
280 ملحق رقم 7
282 ملحق رقم 8
285 ملحق رقم 9
287 ملحق رقم 10

مصادر الرسالة

289 المصادر العربية
297 المصادر الاجنبية
299 فهرس اللوحات المصورة
300 جدول الخطأ والصواب



حرجة تواجه القادم الى الدلاء
وتستر بقايا مسجد ابي بكر بالزاوية الدلالية القديمة

تصوير المؤلف

المقدمة

اخترت (الزاوية الدلالية) موضوعا لبحثي نظرا لما قامت به هذه الزاوية من أدوار هامة في تاريخ المغرب . في ميادين الدين والعلم والسياسة . ولاسيما في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) في تلك الفترة المضطربة التي تقع بين الدولتين السعدية والعلوية . ولما كان الدلائيون قد حاربوا العلويين ونافسواهم في السلطان الى أن قضى الملك الرشيد بن الشريف العلوي على زوايتهم ، فإن المؤرخين الذين عاصروا تلك الأحداث قد أحجموا عن تدوينها ، وبخاصة ما يتعلق منها بمجد الدلائيين والجوانب الحسنة في حياتهم السياسية . وبذلك لم تحظ الزاوية الدلالية بما تستحقه من الاهتمام ، اللهم الا ما كان هنالك من أخبار يسيرة جاءت متفرقة في كتب التاريخ والتراجم .

وفي القرن الماضي بدأ الاهتمام بالدلائيين يكثر ، وألفت فيهم ثلاثة كتب أولها أرجوزة تشتمل على 275 بيت لحمد بن أبي بكر اليازغي سماها **حدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلالية البكرية** . نكلم فيه - كما سمح له النظم - عن أصلهم ، وأتى بتراجم كثير منهم مستعملا حروف الجمل كرموز لسنن الولادة والوفاة . وثاني الكتب المؤلفة في الدلائيين هو **نزهة الاخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكرين** ، لعبد الودود بن عمر التازي ، اهتم فيه بأنساب الدلائيين وذكر الآباء منهم وما خلفوه من أبناء . على أن أهم كتاب ألف في الدلائيين هو **البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلالية** ، لأبي الربيع سليمان الحوات ، وعو أجمع كتاب لأخبار الدلائيين يقع في أكثر من ستمائة صفحة استقى مؤلفه أخبار الزاوية وأهلها من والده الذي تنحدر للدلائيين ، وأحاط بكل ما قيل فيهم أو كتب عنهم . لكن عيب البدور الضاوية أن مؤلفه لم يأت ببحث موضوعي كمؤرخ محايد يستهدف الحقيقة لذاتها حسنة كانت أم قبيحة ، ولا يتردد في الحكم على من يؤرخ لهم متى استلزمت نتائج البحث ذلك . وإنما كان يعنيه أن يذكر محاسن الدلائيين

دون مساوئهم . فهم جميعا عنده علماء صلحاء نزحاء الخ . وأى بشر سلم من النفس والخطأ . هذا بالإضافة الى حشو الكتاب بكثير من الاساطير وكوامات الاولياء المبالغ فيها . والسير على نهج المؤلفين القدماء في التحلية بالالقاب الرفيعة الرئيسية التي قد تستغرق نصف صفحة أو أكثر بحيث يصعب العثور على اسم الشخص الذي يترجم له . ثم لا يفيد الباحث شيئا من عبارات الاطراء الممنقة التي تتكرر في كل ترجمة ولا يتبدل فيها غالبا الا الترتيب والسجع .

وهكذا وجدت ان تاريخ الدلائيين قد بقي غامضا مبعثرا بالرغم عن هذه الكتب الخاصة . فحاولت ان اكتب عن الزاوية الدلائلية بحثا نزيها أذكر فيه ما للدلائيين وما عليهم . وأحلل - ما استطعت - بعض الجوانب الغامضة في تاريخهم . وأعالج هذا الموضوع من نواحيه الدينية والعلمية والسياسية . وقد رجعت في بحثي الى كثير من الكتب التي عرضت لعصر الدلائيين . وأقمت من أكثر من مائة مرجع عربي وفرنجي . أكثرها مخطوط . منها الكتب الثلاثة المقدمة وبخاصة الدور الضاوية التي اخترت منها مادة هامة فيما انفرد به مؤلفيها من الروايات الخاصة . أو من النقول عن بعض المصادر التي لم يتيسر الوقوف عليها . ورجعت الى المطان في كتب التاريخ والتراجم . والرحلات . والتصوف . والنوازل . والدواوين الادبية . أخص بالذكر منها كتاب مباحث الانوار في أخبار بعض الاخيار لاحمد بن يعقوب الولاى الذى عاش طالبا في الزاوية الدلائلية فترة طويلة من حياته . ووصفها عن حس ومشاهدة . والمحاضرات . والفهرست للحسن اليوسى أشهر تلاميذ الزاوية الدلائلية . وقد أتى في هذين الكتابين بكثير من أخبار الدلائيين وتراجم اعيانهم . كما اعتمدت على كتاب مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبى المحاسن . لابى حامد محمد العربى الفاسى الذى أقام هو أيضا مدة في الزاوية الدلائلية . وتعرض في كتابه لبعض أخبارها . وترجم لشيخه محمد بن أبى بكر الدلائى . وتعتبر الزاوية العياشية أو الحمزاوية كما تسمى اليوم ربية الزاوية الدلائلية . اذ كان مؤسسها محمد بن أبى بكر العياشى من تلاميذ الشيخ أبى بكر الدلائى . وهذا الأخير هو الذى هباه للمشيخة وأمره أن يتخذ زاوية في آيت عياش بالسفح الجنوبي الشرقى للاطلس الكبير . ويشتمل كتاب الاحيا على معلومات عامة عن موقع الزاوية الدلائلية القديمة ومدينة محمد الحاج التى تفرعت عنها . ورجعت كذلك الى كتاب الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة لعبد العزيز بن الحسن مهدي الزياتى الذى عاش في العصر الاول للزاوية الدلائلية وذكر كثيرا من فتاوى العلماء في موضوع الاضطرابات

التي دعت الدلائيين إلى التدخل في شئون البلاد السياسية ، ولاسيما ما يتعلق منها بجهاد الرئيس محمد العياشي وحصاره المورسكيين في الرباط والقصبة . ونزعة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، وصفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، لتلميذ الدلائيين محمد الصغير اليفراني الذي عرض في مواضع كثيرة من كتابيه لأخبار الزاوية الدلائية وأهلها وإلى كتابي **التحفة القادرية** ، و **تقايد تاريخية** لعبد السلام بن عبد الله الخياط القادري الذي يروي بواسطة عن عم والده أحمد بن عبد القادر القادري تلميذ الدلائيين وصهرهم الذي عاش معهم في الزاوية إلى أن وقع تخريبها . وينفرد هذان الكتابان بأخبار هامة ودقيقة عن الزاوية الدلائية : وعن الفترة الأخيرة لنفوذ الدلائيين في فاس . وأفدت أيضا من كتاب **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، و **نشر المثاني الكبير الخطي** لمحمد بن الطيب القادري الذي أخذ عن تلاميذ الدلائيين . وترجم لعدد كثير من علماء هذه الاسرة وصلحاتها . وعرض في حوادث السفين المتسلسلة لأهم الاحداث التي وقعت أيام الامارة الدلائية .

ولم أغفل ما كتبه الاجانب عن الدلائيين ، وأفدت بالخصوص من ليفي بروفنسال في كتابه « *Les Historiens des Choria* » وعن الكونت دو كاستري في سلسلة وثائق القيمة « *Les sources inédites de l'Histoire du Maroc* » ومما نشرته في هذا الموضوع مجلة هسبيريس « *Hespéris* » ومجلة وثائق مغربية « *Archives marocaines* »

قسمت الموضوع الى سبعة أبواب . بحثت في الباب الاول منها نشأة الزاوية الدلائية وأطوارها الاولى أيام الشيخ أبي بكر الدلائي . وتحدثت في الباب الثاني عن تعاليم الزاوية الدلائية وطريقتها الشاذلية ، وعلاقتها بغيرها من الزوايا الكبرى التي عاصرتها ولاسيما الفاسية ، والناصرية ، والعياشية . وعالجت في الباب الثالث أهمية الزاوية الدلائية من الناحية العلمية ، وترجمت لطائفة من أشهر المتخرجين منها ، كالحسن اليوسى ، وأحمد المقرئ ، والعربي الفاسي ، والاخوان العكاريين محمد وعلي وغير هؤلاء من فطاحل العلماء . وتناولت في الباب الرابع الناحية السياسية ، وموقف الدلائيين من

الاضطرابات التي انتشرت في المغرب على اثر وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي . وأشارت الى علاقات الدلائيين بالملوك السعديين المتأخرين ، وبالتوار زكريا الحاحي . وأبي حسون السملالي ، والمجاهد العياشي السلاوي . وعرضت لزعامه محمد الحاج السياسية ، وتأسيسه مدينة الدلاء أو الزاوية الدلائية

الحديثة ، وبيعة أهل المغرب له ، وقيامه ببعض الأعمال الحربية الداخلية ، وجهاده ضد الأسبانيين في حصن المعمورة المحتل . وألمت في الباب الخامس ببعض مظاهر انتشار النفوذ السياسي للدلايين ، فذكرت ما كان من انضواء المورسكيين في تطوان والرباط تحت لوائهم ، وسيطرتهم على أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية ، وعلاقاتهم بالدول الأوروبية البحرية ، كهلاندا ، وأنجلترا ، وفرنسا التي عقدوا معها معاهدات ساعدت على ازدهار التجارة في الموانئ المغربية ، وعملت على تزويد الخزينة الدلائية بأموال ضخمة من الضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات والواردات وسمحت كذلك باستجلاب العتاد الحربي الحديث من مدافع وبنادق ومسحوق البارود لتسليح الجيش النظامي الدلائي .

وأفردت الباب السادس لذكر مراحل تفهقر الدلايين ، فعرضت لبدء التقاض الأطراف عليهم بسبب ثورة الخضر غيلان في الشمال ، وانتهزام محمد الحاج الدلائي في معركة (وادي بوحريرة) تلك الهزيمة التي أدت إلى قيام الثورة ضد الدلايين في فاس وسلا والرباط وسائر بلاد الغرب ، وحصار الأمير عبد الله الدلائي في قصبة سلا . ثم ألمت بمسألة ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي في المغرب الشرقي ، وتمكن أمره في الشمال والجنوب ثم زحفه إلى مواطن الدلايين وتغلبه عليهم في معركة (بطن الرمان) أوائل عام 1079/1668 واقصائه إياهم عن الزاوية الدلائية التي أصبحت حصيدا كان لم تغن بالأمس .

أما الباب السابع فقد تناولت فيه أثر الدلايين في خارج زاويتهم ، وألمت إلى ثورة أحمد الدلائي الكبرى ضد السلطان اسماعيل ، ثم تحدثت عن مركز العلماء الدلايين في فاس ومكناس ، وبخاصة شيخ الجماعة الإمام محمد السناوي الدلائي الذي انتهت إليه رئاسة التدريس والتأليف والافتاء في فاس ، وتكاد يكون جميع علماء المغرب في عصره من تلاميذه . واعدت بعض مشاهير تلاميذ الدلايين في العاصمة العلمية ، والكتب التي ألفها الدلايون في مختلف الفنون ، من حديث وسيرة ، وفقه وأصول ، ولغة ونحو وصرف وإلافة ، وأدب وأنساب . ويقع بعض هذه الكتب في عدة مجلدات مثل نتائج التحصيل في شرح التسهيل لمحمد المراتب الدلائي ، وهو في أربعة أجزاء ، طبعت شهرته المغرب والشرق ، وبيعت منه في حياة المؤلف نسخ في مصر بأتمان مرتفعة ، وأعجب به علماء الأزهر وقرطوبه . وأخيرا تكلمت على علماء البيت الدلائي ومساكن قبيلة مجاط اليوم

انه لا يكاد يخلو كتاب من الكتب التاريخية المغربية التي ألقت بعد القرن العاشر الهجري من ذكر الدلائيين وزاويتهم ، لكنه ذكر عابر لا يجاوز السطر أو السطرين ، وقد يطول صفحة أو أكثر ، ويتكرر أحيانا ليتحدث عن جزئيات خاصة ، وأحداث معينة مجردة من الاسباب والتفاصيل في الغالب . وحتى الكتب التي ألقت في الدلائيين لم تكن الا بجمع الاخبار والروايات على علاتها ، وكيل المديح للدلائيين جزافا . فجاءت هذه الرسالة لتأخذ (الزاوية الدلائية) موضوعا تعنى بالبحث فيه بدقة ، وتدرسه دراسة نقدية شاملة للنواحي الدينية والعلمية والسياسية ، وتعرف اخواننا المؤرخين المحدثين في المشرق بالاسرة الدلائية المغربية حتى لا يعود بعضهم يكتب كلمة (كذا) اذا ورد ذكر الدلاء والدلائيين في النصوص القديمة التي يطلعون عليها ، وحتى يعرف (المفلسون منهم) ان الدلائيين هم من صميم المغاربة لا يمتون بأية صلة الى مدينة (دلالية) الاندلسية .

تضع هذه الرسالة حدا للافتراضات والتخرصات حول موقع الزاوية الدلائية الذي ظل المؤرخون المغاربة والاوربيون يختلفون فيه حتى اليوم ، وتبين أن هناك زاويتين دلائيتين قديمة جبلية ، وحديثة أسست في سفح الاطلس لتكون عاصمة الامارة الدلائية ، ما تزال أطلالهما معا ماثلة للعيان . وقد زودت الرسالة بعدة صور شمسية التقطها بنفسى أثناء زياراتي للزاويتين أو اقتبسيتها من بعض الكتب . ومن ناحية أخرى عرضت لتعاليم الراوية الدلائية ، ووضعت جدولا يوضح الشيوخ الذين أخذ عنهم الدلائيون وتسلسلهم الى الامام أبي الحسن الشاذلي ، مشيرا الى ما كان من تفاعل بين الزاوية الدلائية وغيرها من الزوايا المهمة التي عاصرتها .

وتعمل الرسالة أيضا على إبراز الزاوية الدلائية كمركز علمي هام في الاطلس المتوسط . كاشفة القناع عن المادة التي كانت تدرس في هذا المركز ، معرفة بالاساتذة الذين اضطلعوا فيه بالتدريس ، سواء كانوا من أبناء الزاوية أو من العلماء الطارئين عليها من فاس ومراكش وغيرها من المراكز الثقافية المغربية الاخرى . كما تلقي الرسالة بعض الاضواء على جانب من الحياة الاجتماعية لطلبة الزاوية الدلائية وتقدم أرقاما تتعلق بالمدارس الداخلية العظيمة الملحقة بها وبالكتب التي احتوت عليها خزائنها ، اعتمادا على مصادر خطية أصيلة نادرة .

ومن الناحية السياسية تهتم الرسالة بتحليل الاحداث التي جرت للدلائيين وربطها بعضها ببعض لتكون منها وحدة متصلة يمكن وضعها في

أطارها الحقيقي على الصعيد الوطنى . وتعرض الرسالة لأول مرة باللغة العربية الى جانب مهم من نشاط الدلائيين السياسى وهو علاقاتهم بالدول الاوربية الكبرى ، وعملهم التجارى فى أقطار الشمال الافريقى . كما تنشر نص معاهدات ومراسلات ووثائق أخرى مما تبادلته الدلائيون مع الاجانب . وأخيرا تعنى الرسالة بالنهضة العلمية التى ظهرت فى المغرب صدر الدولة العلوية مبرزة مدى اسهام الدلائيين فيها ، وتأتى باحصاء أولى للكتب التى ألفها الدلائيون أو ألفها الناس فيهم ، فى جدول يشتمل على أسماء الكتب ومؤلفيها والمكتبات التى أودعت فيها .

لقد أثبت فى الهوامش تنبيها على المراجع لمن أراد مزيد التوسع ، وأتيت فى الاخير بثبت للمصادر العربية والافرنجية مرتبة على أسماء المؤلفين بحسب حروف الهجاء ، وذيلت الرسالة بعدة ملاحق تشتمل على نصوص هامة لم أثبتها فى الصلب - لطولها - حتى لا تقطع تسلسل الافكار على القارئ .

وأرجو أن يكون بحثى المتواضع هذا قد أسهم بنصيب فى توضيح فترة غامضة معقدة من تاريخنا القومى ، ومهد السبيل أمام الباحثين لدراسة التراث الادبى الضخم الذى خلفه الدلائيون .

الباب الاول

نشأة الزاوية الدلائية

- 1 - لمحة عن عصر الدلائيين
- 2 - الزاوية والرباط والرابطة
- 3 - أصل الدلائيين
- 4 - تأسيس الزاوية الدلائية
- 5 - موقع الزاوية الدلائية

1 - لمحة عن عصر الدلائيين

تسمم الشرفاء السعديون عرش المغرب خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري (القرن 16م) فانتعشت بهم الأعمال ، وبدأ استرداد الشفور التي سبق أن استولى عليها الاوربيون . وعرف المغرب في أيام واسطة عقد هذه الدولة أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012 / 1578 - 1603) (1) عهد استقرار وازدهار في السياسة الداخلية والخارجية على السواء . إذ كان من نتائج معركة وادي المخازن الشهيرة في عام 1578/986 والانتصار المغربي على البرتغاليين ، ان طارت للبلاد شهرة في جميع الاقطار ، أخذت معها الدول الأجنبية تخطب ود عاهل مراكش وتتقرب اليه بالسفارات والهدايا ، رغبة في ربط أواصر الصداقة معه ، كما تناقل الناس في الداخل أخبار هذه المعركة الفاصلة وأحاطوا شخصية بطلها المنصور بنالة من التقدير والاحلال وازدادت منزلة أحمد المنصور رفعة في أعين الشعب بعد أن احتلت جيوشه بلاد السودان في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة (أواخر القرن السادس عشر للميلاد) وتدفقت منها على المغرب سيول الذهب والرقيق . ذلك الى ما كان عليه هذا الملك العظيم من الحزم والحرص على حفظ النظام وعدم التردد في انزال أقسى العقوبات بالمشاغبيين الذين يسعون في الارض فسادا . فساد الامن في البلاد وعاش الناس في دعة وطمانينة ، وأخذوا ينتقلون من أقصى المملكة الى أقصاها دون أن يعترض طريقهم أحد أو يلحق أموالهم وأمتعتهم ضياع .

غير أنه لم تكد تخدم أنفاس المنصور الذهبي عام 1603/1012 حتى انقلبت الاحوال في المغرب وظهرت في الجو سحب الفتنة والاضطراب . فقد كانت وفاة المنصور فجأة وهو يتنهي للخروج من فاس ليعود الى عاصمة ملكه مراكش ، فأصيب بالوباء الذي أخذ يكتسح اذ ذاك أطراف البلاد . ولم يكن قد بت بعد في أمر ولاية العهد . بعد أن تار عليه ولده البكر محمد الشيخ المأمون خليفته بفاس وولى عهده السابق ، فقبض عليه وأودعه السجن . وقد بادر أهل فاس الى مبايعة زيدان بن المنصور بمجرد ما انتهوا من دفن الملك الراحل . وكان زيدان عاملا على اقليم تادلا ، استصحبه أبوه معه الى فاس ثم استخلفه عليها قبيل وفاته . ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة الى مراكش ثارت ثورة أهلها وراوا في نصرف الفاسيين واستبدادهم بالامر دونهم استخفافا بشأنهم فبايعوا أبا فارس

(1) الارغام التي تأتي بعد ذكر الملوك ، ترمز الى المدة التي ظلوا فيها مرسى على العرش .

ابن المنصور لانه كان الخليفة الرسمي لوالده بحاضرة ملكه . وبدلاً من أن يسعى ذود المكانة والنفوذ في نلافى الامر وحل الشكك تسرع علماء فاس فاقتلوا بوجوب قتال المراكشيين عملاً بحديث : اذا بويح لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما . والتقى جيش الملكين الاخوين على صفة نهر أم الربيع . وكان أبو فارس لم يحضر القتال بنفسه . ولما أتت عنه اخاء الشيخ المامون بعد اخراجه من السجن . واسفرت الحركة عن الهزام زيدان وقراره الى تلمسان . ووجد المامون نفسه في عزة ومنعة . بعد أن انضم اليه جند أخيه الهزام فقلب ظهر المعجى لأبى فارس وأعلن نفسه ملكاً على فاس .

ظل الاخوة الثلاثة زيدان . وأبو فارس . والشيخ المامون يتنازعون الملك مدة طويلة . دون أن يتم الامر لواحد منهم . وعمت الاضطرابات أرجاء البلاد كلها . وانهى أمر الشيخ المامون بتسليم مدينة العرائش الى الاسبانيين عام 1610/1019 طمعاً في مساعدتهم له . فغضب عليه الشعب وقتله في ضواحي تطوان عام 1613/1022 . كما قتل أخوه أبو فارس خنقاً قبله . وقبّع زيدان أخيراً في مراكش صارفاً نظره عما وراء نهر أم الربيع . تاركاً أمر فاس وغيرها لعبد الله بن الشيخ المامون ومنافسيه من التوار . وقد انقضى أمر السعديين في فاس بموت عبد الملك بن الشيخ المامون في أواخر عام 1627/1036 (1) وبقي أبناء زيدان يتوارثون إمارة مراكش الى أن قتل آخرهم أبو العباس أحمد بن الشيخ بن زيدان عام 1658/1069 (2) . وعرفت هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب أواخر الدولة السعدية الى جانب المجاهد العياشى السلاوى كثيراً من أرباب الزوايا المتزعمين الذين استغلوا فرصة اضطراب الاحوال لتحقيق مطامعهم فى الحكم والرئاسة . أمثال ابن أبى معلى السجلماسى . وأبى زكريا الحاحى . وأبى حسون السملالى .

(1) تولى الشيخ المامون إمارة فاس في فترات متقطعة الى أن قتل عام 1613/1022 . وتولى على بعده ابنه عبد الله كذلك الى أن توفي عام 1658/1069 ثم عبد الملك بن المامون الى أن توفي في أواخر عام 1627/1036 . وقد دخل بعد ذلك الى فاس أحمد بن زيدان السعدى وادعى الإمارة فلم يتم له الامر .

(2) مات زيدان بن المنصور عام 1627/1037 تولى إمارة مراكش ابنه عبد الملك الى أن قتل عام 1658/1069 ثم الوليد بن زيدان الى أن قتل عام 1659/1069 ثم محمد الشيخ بن زيدان الى أن قتل عام 1655/1063 ثم ابنه أبو العباس أحمد الى أن قتل عام 1655/1063 فالقرص بذلك أمر السعديين بالمغرب وأصبح قرب التساعات بإمارة مراكش الى أن انقضى الامر عن يدهم السلطان الرشيد العلوى عام 1658/1069 .

وقد شاعت الزاوية الدلالية في بداية عهدها العصر الذهبي للعلمين .
لم أدركت زمن الفتنة والدمور . غير أنها نظرا لمتعة موقعها في جبال الأطلس
ولمكانة رجالها الصالحين ، استطاعت أن تحتضن الثقافة الإسلامية في عصر
عصر فيه الاضطرابات بالركن العلمية التقليدية مثل فاس ومراكش .
وعمرت الزاوية الدلالية زهاء قرن طلت فيه مركز الشعاع بالعلم والدين .

2 - الزاوية والرباط والرابطة

لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط
والرابطة ، والرباط لغة مصدر رباط بمعنى أقام ولازم المكان . ويطلق
في اصطلاح الفقهاء والصوفية على اثنين أولهما البقعة التي يجتمع فيها
المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها . والثاني عبارة عن المكان
الذي يلتقي فيه صالحو المؤمنين لعبادة الله وذكره ، والثقفة في أمور الدين .
وجاء في القرآن الكريم : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، (1)
«يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، (2)
وقال الرسول عليه السلام : رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من عيام
شهر وقيامه . وقد عرف المغرب الرباط مع الفتح الإسلامي وورد ذكر رباط
عاصمة بالسوس الأقصى في أخبار عقبة بن نافع الفهري ، وموسى بن نصير ،
وإدريس الأول . ويذكر المؤرخون أن رباط شاكرا المعروف اليوم بسبيدي
ليكر على ضفة وادي نفيس بحوز مراكش . هو مدفن المجاهد العربي شاكرا
من أصحاب عقبة بن نافع وقد بنى هذا الرباط يعلى بن عصيل أحد رجال
رحالة السبعة الذين يقال لهم وعدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة ، فأسلموا ورجعوا إلى المغرب دعاة للدين الحنيف .

كان يعلى يقيم في هذا الرباط لقتال كفار برغواطية (3) ثم صار رباط
شاكرا «معجما للصالحين من قديم ولاسيما في رمضان يفدون إليه من كل
حده» (4) . كذلك أقام المسلمون رباطا آخر في شمال تلمسان ، على ضفة نهر

(1) سورة الأنفال . الآية 90

(2) سورة آل عمران . الآية 200

(3) برغواطية بطن من رابطة مصودة كانوا يسكنون بلاد تلمسان فيما بين نهر أم الربيع شمالا
ونهر أبي زروال جنوبا . وقد حكم النظام البرغواطيين في بادئ الأمر ثم كانوا هم
أضداد ميسرة المظفري الحفري الذي تولى على المغرب عام 122 هـ واشتغل مذهب الجوارح
الصغرية وأعلن نفسه خليفة . وبعد هلاك ميسرة تزعم أحد قراد جيشه أبو عبيد
خلف أمر برغواطية وأسس مذهبهم . ثم خلفه ابنه صالح الذي ادعى الخلافة
واسم البرغواطيين ديانة جديدة . وقد لقي المسلمون عنقا كبيرا من البرغواطيين
خلال عدة قرون إلى أن خضع شوكتهم المرابطون .

(4) يوسف بن الزيات ، المشوف ، 26 .

ابن رقرق ، أو وادي سلا كما يسميه ابن حوقل في كتابه **المسالك والممالك** . وكانت مدينة سلا القديمة قد خربت في أوائل القرن الرابع الهجري «والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها . وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف انسان يزيدون ويتقصون ورباطهم على برغواطة ...» (1) وتكاثرت الربط في المغرب ولاسيما على السواحل الى أن صارت تعد بالعشرات .

وخصص الخطيب ابن مرزوق التلمساني المتوفى عام 1379/781 الباب التاسع والثلاثين من كتاب **المسند الصحيح الحسن** للكلام على الربط التي انشأها السلطان أبو الحسن المريني (731 - 1331/752 - 1352) على السواحل المغربية والجزائرية ، إذ كان القراصنة الاوربيون كثيرا ما يأتون يسفّنهم الى هذه السواحل ويختطفون منها أهل البوادي ليستعبدوهم في بلادهم . فكانت الربط التي أسسها أبو الحسن المريني تمتد من آسفي جنوبا الى آخر المغرب الاوسط وأول بلاد افريقية - تونس - «إذا وقعت النيران في أعلاها اتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة . وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحو من شهرين ، وفي كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلّاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين الا والتفتير يبدو في المحارس فأمنت السواحل في أيامه السعيدة ...» (2) .

وتأتي الرابطة بمعنى الرباط سواء في الاطلاق على مكان الجهاد أو مكان العبادة ، وإن كان بعضهم يسمي الجيش المقيم في الربط رابطة . (3) وقد سمي المؤرخون «رابطة» المكان الذي أقام فيه عبد الله بن ياسين وجماعة من اللمتونيين الصنهاجيين في إحدى الجزر الساحلية بأقصى الجنوب الغربي ، وذلك في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . وتلاحق الصنهاجيون برباط ابن ياسين لينقطعوا معه فيه الى عبادة الله تعالى ، وليتعلموا منه أمور دينهم الى أن بلغ عددهم نحو ألف رجل فدعاهم لجهاد القبائل الزائغة عن تعاليم الاسلام ، وتطور أمرهم الى أن كونوا دولة المرابطين . وقد ذكر ابن الزيات التادلي المتوفى عام 1230/627 في كتابه **التشوف** أحد عشر رباطا وتسع رابطات ، أكثر اسمائها بربرية . مثل رباط (تيطنططر) - عين القطر - الذي يقع على ساحل المحيط الاطلنطي جنوبي مدينة الجديدة .

(1) ابن حوقل ، **المسالك والممالك** . ص 56 .

(2) الخطيب ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن** . ص 49/157 .

(3) محمد بن علي الدكالي . كتاب في الرباطات . ص 2 .

على بعد نحو II كلم ، وهو اليوم خراب ويسمى تينط . وكرباط (تينمسل)
بالاطلس الكبير ، الذى هو دار الميلى بن توهرت ، وكرباط (تانوتن) من بلاد
دكالة ، وكرباط (تاسماطت) من عمالة مراکش ، وكرباطة (آبندور) خارج
سجلماسة ، وكرباطة (تاعنفاطت) بالقرب من ساحل آلفا : الدار البيضاء .
أما الزاوية فهي عبارة عن مكان معد للعبادة ، وإيواء الواردين المحتاجين
وأطعمتهم . وتسمى في الشرق خانقاة وهو لفظ أعجمي يجمع على خانقاعات
أو خانقاوات أو خوانق . وقيل في تعريف الزاوية المغربية أنها : «مدرسة
دينية ودار مجانية للضيافية . وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في
العصور الوسطى» (1) ولم تعرف الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس
الهجرى ، وسميت في بادىء الأمر (دار الكرامة) ، كالتي بناها يعقوب المنصور
الموحدي في مراکش ، ثم أطلق اسم (دار الضيوف) على ما بناه المرينيون من
الزوايا ، كالزاوية العظمى التي أسسها أبو عثمان المريني في خارج فاس
وهي التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته . وقد جدد الدلايون بناءها أيام انتشار
نفوذهم في العاصمة الإدريسية . فظن بعض المؤرخين أنهم مؤسسوها (2) ومن
أقدم الزوايا التي حملت هذا الاسم في المغرب زوايا الشيخ أبي محمد صالح
الماجرى (33/631 - 1234) في آسفي ، وقد تعددت زواياه حتى بلغت ستا
وأربعين ، وانتشرت فيما بين المغرب ومصر ، إذ كان هذا الشيخ يشجع
أصحابه على حج بيت الله الحرام ، واستكثر من اتخاذ الزوايا في الطريق التي
يسلكها ركب الحجاج ليأووا إليها في مراحل سفرهم الطويل . وفي القرن
الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادي) تكاثرت الزوايا في المغرب ، ولمت حولها
مدارس استقر فيها طلبة العلم ، الأمر الذي حدا بملوك بني مرين أن يشيّدوا
كذلك مدارس بجانب المراكز التعليمية الكبرى خصوصا جامع القرويين بفاس .
وقد أقرده الخطيب ابن مرزوق التلمساني الباب الواحد والأربعين من
كتاب **المسند الصحيح الحسن** لذكر المدارس الكثيرة التي أسسها السلطان
أبو الحسن المريني (3) .

وتطور أمر الزوايا بالمغرب خلال القرن العاشر الهجرى «السادس عشر
الميلادي» حيث تغلب النصراني على المسلمين في الأندلس وساموهم سوء

(1) دائرة المعارف الإسلامية ، العدد التاسع من المجلد العاشر ، ص 332 .

(2) محمد بن علي الدكالي السلوي ، **الكناسة العلمية** ، ص 278 . وقد ذكر ابن بطوطة زاوية
أبي عثمان في موضعين من رحلته (الطبعة الأولى بمطبعة وادي النيل - القاهرة عام 1287م)
في صفحة 22 وصفحة 177 . وقال أنها أعظم زاوية شهدها في المغرب والشرق تقع
على يد الدير الحص (وادي الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديد) . ولا يوجد في
هذا الموقع اليوم إلا بقايا أسوار يظن أنها أطلال تلك الزاوية العظمى .

(3) الخطيب ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن** ، ص 358 وما بعدها .

العذاب ، ثم امتدت أطماعهم الى احتلال الشغور المغربية وضعفت الدولة الوطاسية عن الدفاع عن حوزة الوطن . هنالك بدأت الزوايا تتدخل في شؤون البلاد السياسية وتدعو الى الجهاد ومقاومة الاجنبى . ووجد نداء الصوفية آذانا صاغية ، فهب الشعب يندود عن حمى البلاد وحمل السلاح معهم فقادوه في معارك ظافرة انتهت بطرد البرتغال من الشغور التي كان يحتلها في الجنوب ، ونصب رجال الزوايا الشريف أبا عبدالله القائم السعدى (915 - 1510/923 - 1517) ملكا على المغرب . وقد كان تأسيس الزاوية الدلائية في عهد الدولة السعدية هذه .

3 - أصل الدلائيين

نطلق كلمة (الدلاء) على الارض التي أسس فيها المجاطيون زاويتهم بالجنوب الغربى للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا . ولفظ الدلاء عربى (جمع دلو : اناء يستقى به الماء) . استعمله بهذا المعنى - مقصورا وممدودا - كتاب عاشوا في الزاوية الدلائية ، مثل الحسن اليوسى ، ومحمد المربط الدلائى . واذا كان من المستغرب اطلاق هذا الاسم العربى القح على بقعة تقع في وسط بربرى صرف فانا لاندرى كذلك لهذه التسمية سببا ولا تاريخا ، اللهم الا ما يبدو من تقارب لفظى بين الدلا وتادلا . الامر الذى يجعلنا نفترض أن الاسمين كانا مترادفين لسمى واحد . ويؤيد هذا الافتراض أن عبد العزيز الفشتالى - وهو معاصر للزاوية الدلائية - أطلق لفظ الدلا على تادلا حينما تحدث عن توزيع المنصور الذهيبى لاقاليم المملكة على أبنائه ، فقال : «... وعقد للمولى زيدان أصغرهم على الدلا ، ثم بدا له أن يدل كلا منهما بالآخر فنقل المولى أبا الحسن للدلا وعقد له على أعمالها وسفغها له ببلاد أدخسان (1) جارتها والمناخمة لأعمالها» (2) ونحن نعلم من سائر المصادر التاريخية أن ولاية زيدان وأبى الحسن ابنى المنصور كانت شاملة لاقليم تادلا كله . ولعل الزاوية الدلائية بعد أن اشتهرت خصوصا عندما تزعمت الحركة السياسية بالمغرب اختصت باسم الدلا ، بينما بقيت السهول المجاورة لها تسمى تادلا . ونجد المؤرخ أبا القاسم الزيانى (يبربر)

(1) أدخسان : جبل في الأطلس المتوسط بالقرب من خنيفرة . وهناك قلعة تدعى أيضا أدخسان .
انظر أبا القاسم الزيانى ، الترجمة الكبرى ، ص 463 .

(2) عبد العزيز الفشتالى ، مناهل الصفا ، ص 191 .



صحن مسجد ابن بكر في الزاوية الدالية القديمة

عن سيادة محسن



بقايا صومعة مسجد أبي بكر في الزاوية الدلالية القديمة

أحيانا لفظ الدلا فيكتبه (يدلا) (1) وذلك ما نجده جاريا على ألسنة سكان تلك الناحية حتى اليوم .

ينتسب الدلائيون الى قبيلة مجاط ، احدى فروع صنهاجة التي هي جدم من البرانس الذين يرجع اليهم مع البتر جميع انساب البربر (2) . ولا عبرة بما ادعاه بعض المؤرخين المتأخرين من رفع نسب الدلائين الى أبي بكر الصديق (3) وإنما هم - بناء على انساب الدلائين أنفسهم - من قبيلة لتونة الصنهاجية التي كانت تسكن بأقصى الصحراء المغربية ، وفصيلتهم القربى هي بنو الطالب ، ويقال لهم بلسان البربر (آيت ينيدر) في عداد قبائل الاطلس المتوسط . وكانت مساكن مجاط قبل انتقالهم الى الدلا على ضفاف نهر ملوية (4) العليا فيما بين تونقيت وعيدلت . ثم تفرق المجاطيون بعد ذهاب عزهم أيدي سبأ ، واستقروا في جهات مختلفة بالمغرب كما سنراه في الباب الأخير .

وأول من استوطن من المجاطيين أرض الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي ، ثالث أجداد الشيخ أبي بكر مؤسس الزاوية الدلائية . وذلك في أواخر القرن الثامن الهجري . بناء على القاعدة التي ذكرها ابن خلدون من أن كل مائة سنة لا يسعها الا ثلاثة آباء . (5) وكان بنو مريس يعظمون السادات الدلائين غاية ، وربما قاصوا وأجلسوا أحدهم في مكانهم (6) .

(1) أبو القاسم الزباني ، البستان الطريف في دولة أولاد مولاي الشريف . ورقة 1/5 .

(2) ابن خلدون ، المعبر (القسم الذي نشره دسلان) ج 1 ، ص 106 .

(3) رفع نسب الدلائين الى أبي بكر الصديق محمد بن أبي بكر اليازغي في حقائق الأزهار الندية ، وعبد الودود التازي في نزهة الأخيار المرقصين ، وسليمان الحوات في البدور الضاوية .

(4) ذكر الأستاذ أحمد بن قاسم التصوري في كتابه : تاريخ زيان تفاصيل مهمة عن مجرى نهر ملوية . اختصرها فيما يلي : نهر ملوية من الأودية العظام بالاطلس المتوسط ومنبعه من عين تسمى (عين سيث) في الاطلس الكبير ببلاد آيت يحيى مركز تونقيت في سفح جبل يسمى (توجيط) ثم يهبط ماؤها نحو الشمال ويلتقي بعيون أخرى فتشكون منها أودية صفار ، كزادي (توالث) ووادي (أتركمير) الكل من دائرة عيدلت . فيهبط الجميع قاصدا الشمال من تحت مدينة عيدلت على نحو 30 كم غربا . وهنا يظهر تضخم نهر ملوية ويتجه نحو (الأقصاي) على 50 كم شمال عيدلت ثم مركز ميسور على 80 كم من عيدلت ثم مركز أوطاط الحاج . ومنه يدخل تراب المغرب الشرقي فيصل الى مدينة كرسيف حيث تطلق عليه جبال رشيدة . ويستغل نهر ملوية من أوائل منبعه في قبائل بربرية من دائرة عيدلت كآيت يحيى ، وآيت عياش ، وآيت يزدك .

(5) ابن خلدون ، المقدمة . طبعة دار الكتاب اللبناني 1961 ، ص 304 .

(6) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 1/5 .

ولا يعرف للشيخ عمر المحاطي ولا لابنه أحمد تاريخ ولادة ولا وفاة ، وإنما يذكر لأول اجتهد في العبادة ، ولثاني علم وصلاح . أما الشيخ سعيد ابن أحمد بن عمر فقد كان حياً عام 953 هـ (1546 م) وذكر في حقه صاحب **نزهة الفكر** (1) أنه « كان طالباً قارئاً فاضلاً خيراً ديناً فائقاً مكثراً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مولعاً بها (. . .) وكان له عند أمراء وقته التعظيم التام ، والتوقير الكثير والاحترام . لما كان عليه من الاشتغال بالعلم والدين ، وما سلف من العلم والصلاح في آبائه الأقدمين ، رحمة الله عليهم أجمعين . وكانت عنده ظواهر (كذا) علوكية من بنى مريين وبنى وطاس وغيرهم تتضمن الاحترام والتوقير والتنزيه عن الوظائف الجارية على العامة والتحرير وتنضمن قطاعات (كذا) لأرضين له ببلاده واستمرت بأيدي بنيه من بعده من أولاد الشيخ سيدي أبي بكر إلى أن كانت رحلتهم لتلمسان فققدت » (2) .

وهناك ظهير للسلطان محمد الشيخ السعدي (951 - 964/1544 - 1557) يوصي بتعظيم سعيد بن أحمد الدلائي ، ويشير إلى وجود ظواهر قديمة عنده ويقره على التصرف في اقطاعاته (3) . ولا نعرف عن الشيخ محمد بن سعيد الدلائي ، الذي يدعى بلسان قومه (حمي) إلا أنه كان مؤسس الحال ، مستقيم السيرة ، سنياً تقياً ، خلف ولدين هما أبو اسحاق إبراهيم ، وأبو الجمال أبو بكر مؤسس الزاوية .

4 - تأسيس الزاوية الدلائية :

لنعرف بالضبط متى وجدت زاوية الدلاء ، غير أنه يمكننا الاطمئنان إلى القول بأن تأسيسها كان في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري ، حوالي عام 974 هـ 1566 م أسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي (4) . فقد ذكرت كتب التراجم أن هذا الشيخ كان يكرم

(1) نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر لعبد السلام بن الطيب القادري المروفي عام 1110 هـ أحد المصادر المهمة التي اعتمد عليها صاحب **البدور الضاوية** .

(2) نقله عن نزهة الفكر سليمان الحوات في **البدور الضاوية** ورقة 1/7 .

(3) انظر نص هذا الظهير في ملحق رقم 1 .

(4) الشيخ أبو عمر القسطلي من ذرية الشاعر الأندلسي الشهير ابن دراج القسطلي كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعر بلاطه . ونسبه إلى قسطلية : مدينة بالاندلس يقال لها قسطلية دراج . وبعد الإمام ابن حزم في **الجمهرة** أسرة هذا الشاعر من بين برابر صنهاجة . توفي الشيخ القسطلي عام 1566/974 ودفن برياض العروس بمراكش . وفي الخزائن الملكية كتاب مؤلف مجهول يضم طائفة من كلام الشيخ القسطلي في التصوف .

الوحدة رقم 5



منظر عام لزاوية آيت اسحاق
المبينة على انقاض الزاوية الدلائية الحديثة

صوير المؤلف

الواردين على زاويته بمراكش بحسب اقدارهم وطبقاتهم ، ويقدم لهم من صنوف الاطعمة ما لا يستطيع عمله الا كبار المؤسرين وأزباب الدولة . وقد أمر الشيخ القسطلي أبا بكر الدلائى بائخاذ زاوية له فى أرض الدلا يطعم فيها الطعام على نحو ما يفعله هو بمراكش . فلم يسع أبا بكر أمام الحاج شيخه الا أن يبنى الزاوية الدلائية البكرية (1) ويفتح أبوابها فى وجه المريدين والزائرين .

ولا يقتصر مدلول الزاوية الدلائية على هذا المسجد الخاص الذى أسسه أبو بكر وإنما يشمل كافة القرية القائمة حوله بدورها وأسواقها ومساجدها وسائر مرافق الحياة الضرورية لها . وهو أمر نجد له مثيلا فى اخواتها الباقية لعصرنا الحاضر ، كزاوية سيدي حمزة بجبل الفياشى قرب ميدلت ، والزاوية الناصرية بشامكروت ، وزاوية آيت اسحاق بنفسها التى قامت على أنقاض الزاوية الدلائية الحديثة . ولا شك فى أن الزاوية الدلائية باعتبار مدلول القرية ، لم توجد دفعة واحدة ، وإنما اجتازت مراحل فى تشييد مبانيها خيلة حياة الشيخ أبى بكر الدلائى الذى كانت له المآثر الحسان ، التى لا يصدر عنها الا عن سلطان ، كبناء القناطر ، وحفر العيون وإجراء مائها ، وتوسعة الاودية وبنائها ، وشراء الرباع فى غالب البلاد وتحسيسها على الطلبة والضعفاء والمساكين ، وتشييد مباني الزاوية حتى كانت فى عداد المدائن ، التى يكل اللسان عن وصف ما لها من المحاسن (2) .

ولقد تفرعت عن الزاوية الدلائية هذه ، مدينة أخرى تقع جنوبها على بعد نحو 12 كلم ، أنشأها فى سفح الجبل حفيد الشيخ أبى بكر ، السلطان محمد الحاج بن محمد الدلائى عام 1048/1038 ، فورثت عن قرية الدلاء القديمة اسم الزاوية الدلائية البكرية . وسماها بعض المؤرخين مدينة الدلاء زاوية محمد الحاج (3) أو مدينة أزغار (4) وعناك نرى من القرن الحادى عشر يدل بوضوح على وجود زاويتين دلائيتين اثنتين ، احدهما عاصمة الامارة الدلائية والاخرى قرية فيها قبور الدلائيين . وذلك فقرة من رسالة (5) وجيها الفقيه

11 تدعى الزاوية البكرية ايضا نسبة لمؤسسها الشيخ أبى بكر الدلائى .

12 سليمان الحوات ، البدور الضاوية . ورقة 1/11 .

13 أبو الحسن الرضاوى ، الترجمة الكبرى . التى جمعت أخبار العالم بوا وبحرا ، ص 144 .

14 عبد الله العياشى ، الاحياء والانتعاش ، فى تراجم سادات زاوية آيت عياش ، ورقة 99 .
وأخبار كلمة بربرية تدل على البسيط من الأرض .

15 هذه الرسالة طويلة تستل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . انظرها بتامها فى الاحياء والانتعاش من ورقة 47 الى ورقة 263 .

محمد بن عبد الجبار (1) إلى شيخه أبي سالم العياشي صاحب الرحلة المشهورة وكان إذ ذاك غائبا بالحرمين الشرعيين . يتحدث له عن المسغبة التي حدث بالمغرب عام 1071/1061 بقول فيها : «والقرى التي حول الزاوية مدينة الدلاء ودار المغرب في تلك الأزمنة قد خربت كلها إلا ما كان من ثلاث قرى . منها قرية تعرف بالدلاء وفيها قبور أولئك الملوك ..» (2)

ونجد في شعر أبي علي اليوسى تلميذ الزاوية الدلائية إشارة إلى المدينتين الدلائيتين العليا والسفلى : لقد قال مرة حينما طلع إلى الزاوية الدلائية القديمة :

رحلت وقد نزلت على الدلاء وخلفت الحضيض إلى العلاء
وخلفى عصبة يدرون غيبى معيب الغيث عن قوم ظمءاء
فقل لهم إذا ظمءوا استغيثوا بهجر لا يكدر بالدلاء (3)

5 - موقع الزاوية الدلائية :

لقد وقع اضطراب كبير في تحديد موقع الزاوية الدلائية بسبب تخريبها وانطامس معالمها . فأشار إليها بعض مؤرخي القرن الماضي إشارات عامة غامضة . كقولهم أنها تقع على ثلاث مراحل من فاس مكتنفة بين بجاية وصكورة وتادلا (4) وجاء الأوروبيون في مطلع هذا القرن يتحدثون عن الزاوية الدلائية وموقعها بأحادية متضاربة (5) ثم نشر أحد جهابذة مؤرخينا في السنة الماضية كتابا قال فيه : «لا يعرف بالضبط موقع هذه الزاوية الآن ، وانما المحقق أنها كانت تقع بساحة وادي أم الربيع قريبا من تادلا . ولعلنا لانحصى إذا عينا لها بلاد تافسا المعروفة اليوم بالشاوية ، ومن ثم شهر بعض الدلائيين بنسب المسناوي» (6) وذكر مؤرخ مغربي كبير آخر في مقال نشره

(1) محمد بن عبد الجبار تلميذ أبي سالم العياشي ، كان شاعرا لغويا فقيها له عدة مؤلفات انظر ترجمته في الإحيا والانتعاش . ورقة 229 .

(2) عبد الله العياشي ، الإحيا والانتعاش . ورقة 255 .

(3) محمد بن علي الدكالي السليوي ، مجموع فيه أخبار الدلائيين ، ص 25 .

(4) سليمان الحوات ، الدور الفضاوية ، ورقة 5/ب .

(5) H. De Castries, Les sources Inédites de l'Histoire du Maroc, France - Tome III, p. 574.

— Lévi Provençal, Les Historiens des Chorfa, p. 300.

— La Mission Scientifique du Maroc. Villes et Tribus - Rabat et sa région - Tome I, p. 77.

— La section Sociologique D.G.A.I. Archives Marocaines - Volume 28. Editorial.

(6) عبد الله كرون ، النبوغ المغربي ، ج 1 ، ص 269 .

القباب والقبلة لمسجد آيت السعالي - الزاوية الدلائية الحديثة -





مكتب قائد زاوية آيت اسحاق المني في موقع المسجد الاعظم
في الزاوية الدلائية الحديثة

منذ ظهور فقط أن الزاوية الدلائية درست معالمها لدرجة أنه لم يتوصل بعد الباحثون إلى تعيين المحل الذي كانت به (1).

والواقع أن هناك زاويتين دلائيتين ، قديمة وحديثة ما تزال أطلالهما قائمة الذات قائمة للعيان حتى اليوم . ويعرف سكان ناحية خنيفرة الزاوية القديمة باسم (آيت يدلا) أي أهل الدلاء ، ويروي شيوخهم بالتواتر ما كان لهذه البقعة الطيبة من ماض علمي مجيد . وعندما زرت هذه الزاوية لأول مرة يوم 25 ذي الحجة 1381/30 ماي 1962 صحبة الاستاذ أحمد بن قاسم المنصوري صاحب تاريخ زيان (2) التفت حولنا كثير من سكان الدلاء ، ومن بينهم شيخ فان يشرف على التسعينين ظل يحدثنا بلهجة البربرية عن أخبار الزاوية وصلحاتها وعلمائها حديثا تختلط فيه الحقائق بكثير من الأساطير .

تقع الزاوية الدلائية القديمة التي أسسها الشيخ أبو بكر الدلائي على ربوة في سفح جبل (بولور) بينه وبين جبل (تاغلايت) ، وتندرج في شرفها شعبة (اقا ايزم) أي شعبة الاسعد ، وتتفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيع في الشعاب . وفيها بقايا المسجد الذي أسسه أبو بكر الدلائي ، حيث يسرى الزائر صفين من السواري والجنابا قائمين بجهة القبلة ، والمنار المتهدم الذي لم يبق منه سوى العمود الداخلي الذي تلتفت حوله الدرج على ارتفاع بضعة أمتار، وجدران القبتين المشيدتين على خريجي الشيخين الدلائين أبي بكر وابنه محمد. وقد نبتت أشجار التين والعليق والشوك بكثرة في جوانب المسجد حتى غطته وجعلت التنقل في داخله متعبا (3).

أما الزاوية الدلائية الحديثة التي بناها السلطان محمد الحاج الدلائي فهي التي تقوم على أنقاضها زاوية آيت اسحاق الحالية . في الطريق التي تربط بين خنيفرة وقصبة تادلا (4) . وما تزال حتى اليوم آثار الاسوار العظيمة التي كانت تحيط بهذه المدينة مستدة على مسافات شاسعة . ترتفع أحيانا عن سطح الأرض قليلا وسماوية أخرى أو تخفى تحت ركام التراب . وتوجد داخل هذه الاسوار المتهدمة أسوار أخرى ما تزال قائمة بأبراجها ، تعلوها كانت تحيط

(1) محمد الخامس ، مجلة البيئة ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، يونيو 1963 ، ص 64 .
(2) انظر من قصيدة قالها الاستاذ المنصوري في زيارتنا لأطلال الزاوية الدلائية ، في ملحق رقم 4 .
(3) انظر النواحيات رقم 1 - 2 - 3 - 4 .
(4) تبعد زاوية آيت اسحاق عن خنيفرة بنحو 35 كلم ، وعن قصبة تادلة بنحو 64 كلم .

بقصر السلطان محمد الحاج الدلائي وفي داخلها مسجد جدد سقفه أخيرا ،
وبقايا أقواس الديوان (I) .

وقد نشر ر. هنري R. HENRY مقالا في مجلة هيسبيريس HESPERIS
سنة 1944 (2) تحت عنوان : أين كانت تقع الزاوية الدلائية ؟ تحدث فيه عن
الزاويتين ووصف ما وقف عليه من آثارهما ، مضيفا الى ذلك روايات استقاها
من لقيه قرية مصر وقائد آيت سخمان المكي أمهاوش وغيرهما ، وأثبت
ر. هنري كل ما سمعه من محدثيه دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتحقيق
والرجوع الى المصادر التاريخية للتأكد من صحة تلك الروايات ، لكن صاحب
المقال كان له على أي حال فضل السبق لاكتشاف موقع الزاويتين الدلائيتين ،
والنبيه الى بعض النصوص التي وردت في كتاب **الاحياء والانعاش** ، وهي
تحدث عن الزاوية الدلائية القديمة . ومدينة محمد الحاج عاصمة إمارة
الدلايين ، ويمتاز هذا المقال أيضا بما وصف صاحبه من أسوار مسننة
كأسوار فاس ، وقد اختفت هذه الأسوار اليوم تماما كما اختفى المسجد الأعظم
ومئذيه الشامخ وباب مجاط الكبير الذي كان يطل على وادي أهل آزموور
(أسف نابت زموور) وقنطرته (3) وذلك بسبب تحطيم جنود الاحتلال الفرنسي
هذه الآثار واستخدام أنقاضها في بناء المكاتب الإدارية والثكنات العسكرية .
وقد حدثني بعض شيوخ زاوية آيت اسحاق أنه شاهد هدم الفرنسيين الأسوار
القديمة وغيرها مستعملين في ذلك الألغام المتفجرة . وفي أثناء هدم صومعة
المسجد التي كانت قائمة وراء المكتب الحالي للقائد وبعد نقض أجزاءها العليا ،
سقطت دفعة واحدة على اثر تفجير لغم قوي فيها ، فغطت مساحة كبيرة من
الأرض وأدرك حطامها أحد جنود الكوم فمزق شلوه . ولما كان جنود الفرقة الثالثة
يحفرون أسس مباني الثكنات العسكرية بزاوية آيت اسحاق سنة 1941
اكتشفوا بعض القنوات التي كانت تجلب المياه الى مدينة محمد الحاج وتوزعها
تحت الأرض على الدور كما هو الحال بفاس .

اللوحة رقم 8



بقايا أسوار داخلية يظن أنها كانت تحيط بقصر السلطان محمد الحاج
في الزاوية الدلائية الحديثة (زاوية آيت اسحاق)

تصوير المؤلف



بعلبك فتحة وادي أهل الزمور (السيف) ناسية (مقبرة)
بجوار الزاوية الدائرية الحديثة

تصوير الزاوية

الباب الثاني

تعاليم الزاوية الدلالية

1 - الزاوية الدلالية كمركز ديني

- (أ) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلالية
- (ب) طعام الطعام في الزاوية الدلالية
- (ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف

2 - طريقة الزاوية الدلالية

- (أ) سند الدلائيين في الشاذلية
- (ب) أفكار الزاوية الدلالية
- (ج) مريدو الزاوية الدلالية

3 - علاقة الزاوية الدلالية بغيرها من الزوايا

- (أ) الزاوية الناصرية
- (ب) الزاوية الفاسية
- (ج) الزاوية العياضية

1 - الزاوية الدلائية كمركز ديني

رأينا في الباب السابق أن تأسيس الزاوية الدلائية القديمة كان لنشر الطريقة الشاذلية ولاطعام الفقراء وأبناء السبيل . وقد انقطع الشيخ أبو بكر الدلائلي أزيد من ثلث قرن في زاويته لارشاد المريدين الوافدين عليه من كل حدب ، والقاء دروس وعظية كان يبكي خلالها حتى تبطل لحيته البيضاء ، فيتأثر الحاضرون أيما تأثر وتمتلئ قلوبهم خشوعا وانابة الى الله . ثم خلف أبا بكر بعد وفاته أبنائه الصالحاء ، فساروا على نهج والدهم في الوعظ والارشاد ، واطعام الواردين على زاويتهم ، والحذب على رجال العلم والدين ، حتى بلغت الزاوية الدلائية في عهدهم شأوا بعيدا في الشجرة والمجد لم تبلغه زاوية من قبل أو من بعد . وسنلم في هذا الباب بترجمة الشيخ أبي بكر ، وعادات الدلائيين في اطعام الطعام والاحتفال بالمولد النبوي ، قبل أن نشير اشارة خاطفة الى طريقتهم الصوفية ، وعلاقة زاويتهم ببعض الزوايا التي عاصرتها .

أ) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية

ولد أبو بكر بن محمد المعروف بحمى بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المجاطي بالدلا عام 36/943 - 1537 - تقريبا - وكان هذا العام يسمى (عام بوعقبة) لمقابلة أحمد الوطاسي وجيشه من أهل فاس مع أبي العباس الاعرج السعدي ومقاتلة أهل مراکش على مشرع بوعقبة من وادي العبيد بتادلا فكانت الوقعة الحاسمة التي قضت على الوطاسيين وتسلم على أثرها السعديون عرش المغرب . وهكذا يكون شيخ الدلاء قد عرف النور هو والدولة السعدية في عام واحد . ويروي بعض المؤرخين أن شيخ تادلا الصالح أبا الحسن علي بن إبراهيم البوزيدي (1) كان من الحاضرين في ربيعة العقيقة التي أقامها محمد بن سعيد المجاطي لمولوده . وأشار عليه بهذا الاسم . ونشأ أبو بكر نشأة صالحة فحفظ القرآن الكريم في كتاب قرينه وارتحل الى مدرّس أبي عباد (2) لتعلم المتون العلمية ثم انتقل في طلب العلم الى مكناس وفاس حتى بلغ في أقصر مدة أقصى الامنية ، فتضلع في قواعد الشريعة وتبحر في موارد الحقيقة (3) .

(1) الشيخ أبو الحسن البوزيدي دفين أقرض المشهور ببسيط تادلا . توفي عام 1540/950 .

(2) مدرّس . يعني قرية صغيرة . ويقع مدرّس أبي عباد في منتصف الطريق بين الدلا وأبي المجد .

(3) سليمان الحوات . البدور الضاوية ورقة 1/9 .

على أن أبا بكر منذ صباه لم يكن شغوفا بالعلوم الظاهرة شغفه بصفاء
الباطن وسمو الروح فأقبل على عبادة الله والتعرف على الصالحين من أوليائه
وكان اتصاله بالشيخ أبي عمر القسطلی نقطة تحول في حياته ، انصرف بعدها
نهائيا عن الاستغفار بالثرثرة الطائفة التي خلفها له والده منقطعاً إلى الدعوة إلى
الله وإرشاد العباد وهدايتهم . ويذكر المؤرخون قصة طريقة لهذا الاتصال ،
وهي أن أبا بكر الدلائلي سافر إلى مراکش حاضرة السلطان عبد الله الغالب
السعدي (905 - 981/1557 - 1574) لتجديد الطائفة القديمة المتضمنة
لاحترام الدلائليين وتعظيمهم . فلما وصل إلى القصبة التي هي مقر سكنى الملك
وخاشيته ، جعل يتردد هل يتوجه إلى البلاط أولاً لقضاء ما جاء من أجله .
أم يبدأ بزيارة الشيخ أبي عمر القسطلی الذي سمع عنه كثيراً ورغب في
التعرف عليه . وبينما هو محتار في أمره إذ خرج من باب القصبة عبد أسود
من عبيد السلطان ولم يكذب يراه حتى تقدم نحوه غاصبا يريد أن يضربه بعصاه
وهو يقول : «أهذا موضعك ؟! أهذا موضعك ؟!» ففر أبو بكر إلى الشيخ أبي
عمر ونال من عنايته واهتمامه ما لم يكن له بالحسيان وأخذ عنه عند الشاذلية
وبقي يختلف إلى زيارته طيلة حياته مع وفد المريدين من قبائل زعيم وتادلا .
وقد رأينا في الباب السابق أن الشيخ أبا عمر القسطلی هو الذي أمر أبا بكر
بأنخذ زاوية له في الدلاء يرشد فيها المريدين ويطعم الفقراء والمساكين والطلبة
والزائرين . فكان يطعم الطعام الذي لم يعبد في بلاده وينزل الناس منازلهم ،
ويعطى لكل قوم ما يناسبهم ، كما كان شيخه (أبو عمر القسطلی) يفعل . فإذا لأمه
أحد في التفرقة بين الناس قال له : من جعل الناس سواء ، فليس حمقه دواء
وما قصده أحد إلا أفاض عليه من سيبه ، يعطى عطاء من لا يخاف الفقر :

فلو رأى من مضى بعض مكارمه لم يذكر في الندي معناه ولا هرماء (4)

وبعد أن أسس أبو بكر زاويته في الدلاء اجتهد في تكبير العمارة من
حولها فبنى الدور والدكاكين ومسائر المرافق الضرورية وحبس الرباع على
الطلبة والمساكين حتى صارت من أحسن المدن وأكثرها سكاناً وأشهرها ذكراً ،
يقصدها الناس من مختلف الجهات ويلتقى فيها العلماء والطلاب الوافدون
قبائلون من التعظيم والاكترام ما يجعلهم يرغبون في المقام بها طول ما يمكنهم
من الزمن وتعدد المجالس العلمية في مسجد الدلاء الرحب ، وتقوم سوق العلم

14 محمد الأفراني ، صفوة من النضر ، ص 46 . والشطر الأول من النسخ غير موجود ويستقيم
أو كتبنا «يوماء» بدلاً من «بعض» . ويقتصر البيت إلى معنى من إرادة إهمال أو إهمال
العزاديين العزاديين المشهورين .

فيه على قدم وساق . ولما قامت الفتنة بين أبناء المنصور الذهبي . واسود أفق المغرب وانقطعت فيه السبل وتغلب الأقوياء على الضعفاء . وكثر السلب والنهب . لانعدام السلطة التي تسهر على حفظ النظام . كان الشيخ أبو بكر بيا له من المنزلة الرفيعة عند القبائل البربرية يكف أيدي الجناة عن الجرائم . وينصف المظلوم من الظالم . ويدفع بالتي هي أحسن . وقد اتفق جميع من كرمه لشيخ الدلاء على أنه كان نقي الظاهر والباطن نظيف الملابس . شديد بياض الثياب . جميل الهدى كثير السلام . خافض الطرف قليل الكلام . حسن العشرة شديد المحافظة على العهد . كريم الأخلاق داعيا إلى المحبة والتسامح والتصافي . يعقد في زاويته مجالس للوعظ والإرشاد يفتتحها دائما بقوله : «روى الحسن عن أبيه الحسن ، عن جده الحسن ، أن أحسن الحسن الخلق الحسن» (5) .

وكانت وفاة أبي بكر الدلائي يوم السبت 3 شعبان عام 1021/29 شتنبر 1612 ودفن في مسجده في الدلاء (6) .

ب) اطعام الطعام في الزاوية الدلائية

كان محمد بن سعيد الدلائي مؤسس الحال . كثير الحرث والماشية كما كان ابنه أبو بكر العالم الصالح محببا إلى الناس . يقبلون عليه ويلتفون حوله . وكان يجد في سعة حال والده ووفرة أملاكه ما يقرى به ضيوفه الكثرين . ويطعم به زواره الوافدين . حتى ضجر الوالد من كثرة ما يذبح ابنه من الماشية وما يستهلكه من مطاعم الحبوب . فلامه على الإفراط في الانفاق ونصحه بالاعتدال . غير أن أبا بكر لم يغير من خطته واستطاع أن يفتح والده بأن عمله ليس من الأسراف في شيء (7) . وما زال كرمه يمتد ويطرد إلى أن آل إليه ترات

(5) أحمد بن يعقوب الولاي . مباحث الأنوار . ورقة 55 .

ويعني بالحسن المذكور أولا الحسن الشبي . وبالحسن المذكور ثانيا أبا الحسن بن علي ابن أبي طالب . وبجده الحسن الرسول الكريم . ويراد به الوصف بالحسن فقط . إذ ليس الحسن من أسمائه عليه السلام . ولم يعنه أحد من الحفاظ سند هذا الحديث ولا متنه ولعل اختيار الشيخ أبي بكر له كان سبب التماسي وحسن السجع زيادة على ما يدعو إليه من حسن الخلق .

طرح ترجمة الشيخ أبي بكر الدلائي عند محمد المراني في الصفوة . ص 45 - 47 وفي نزهة العادي . ص 24 وما بعدها . وجملة الهدى للناسي في منع الاسماع . ص 7 من كراسة 18 وما بعدها . ومحمد القادري في نشر الثاني . 112 : 1 .

هناك أسطورة تقول بأن أبا بكر اتفق مع والده على أن ما تقدمه الأغنام من الذكور يسلح للإناث . ويترك ما تقدم من الإناث فصارت الغنم بعد ذلك لا تلد إلا الذكور . أدرك أبو عبد الله أن في الأمر حسرا وسطر له الأمر

والده بعد وفاته . وأمره شيخه القسطل بالاطعام . فجعل يصرف ثروته
الواسعة في اكرام الوافدين على زاويته . تمده حقوله الشاسعة في الدلاء وفي
بلاد غريس بتافيلالت بما يكفيه من الحبوب طول السنة وتعطيه قطعان الاغنام
والابقار من انتاجها ما يستجيب لحاجيات مآدبه اليومية . « كان كثير الاطعام
بالانواع المختلفة من الطعام . أمرا خارجا عن الوصف . مينا للعادة والالف .
فكانت مراجله دائما تغلى ، وطباخه لم يزل يفرغ ويملى :

في جفان كالجوابى وقندور راسيات
هكذا يفعل دأبا بالوفود الزائرات

بل كان يطحن كل يوم خمسا وعشرين صحيفة من القمح وعشرين
تليسا (8) ثم كان يطعم كل انسان تارة بما اشتهاه في نفسه . وتارة بما
يناسبه مع أبناء جنسه . فليس الحضري عنده كالبدوي ، ولا الضعيف
كالقوي .. » (9)

وقد سار محمد بن أبي بكر الدلائى على نهج والده في الاطعام وتوسع
عمله فيه . فكانت له قيمات من النساء على الطعام يدفع لهن من الدقيق ومما
يلزم للطبخ بقدر ما تحت أيديهن من اماء الخدمة . ويوظف عليهن من الصحوون
ما يناسب ذلك . فاذا حضر وقت الاطعام دفعت كل منهن ما عندها . وكوفئت
عليه ان كان جيذا . والا عوقبت على فساد عملها . ويروى مترجمو محمد بن
أبي بكر الدلائى عن كرمه المدهش قصصا غريبة . ويذكرون أرقاما عالية لمن
كان يجلس الى مائدته بمناسبة أو بغيرها فمن ذلك أنه كان يطعم في سنة من
سنى الغلاء سبعة آلاف من الفقراء كل يوم . زيادة على الواردين عليه والمقيمين
عنده من طلبة العلم وغيرهم . وأطعم في يوم واحد احنفل فيه بسابع المولد
التبوى الشريف سبعين ألفا من سكان الزاوية وغيرهم من الوافدين عليها
لحضور ذلك الموسم دون أن يقوم من موضعه طيلة اليوم الا للصلوات (10) .

(8) الصفحة مكيال بقدر بثلاثة فطاطير . والنبيس كيس مزدوج يصنع من صوف أو شعر أو وبر
تنتقل فيه الحبوب على ظهور الدواب .

(9) سليمان الحوات . البدور الضاوية . ورقة 15/ب .

(10) انظر تفاصيل ما كان يقدمه محمد بن أبي بكر الدلائى لضيوفه من أطعمة كثيرة . والاولى
العظيمة التي يهيأ فيها الطعام . عند سليمان الحوات . البدور الضاوية . ورقة 1/48
وما بعدها .

واستمر الحال كذلك بالزاوية الدلائية بعد وفاة محمد بن أبي بكر إذ كان تولد السلطان محمد الحاج المآثر العظيمة في أكرام الوفود وقد خصص خمسمائة بغلة لحمل الدقيق من الأرحى إلى الزاوية ، واتخذ قصعا عظيمة يطعم فيها الناس .

ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف

أدركت الزاوية الدلائية شهرة عظيمة أيام الشيخ محمد بن أبي بكر ، فكان عيد المولد الشريف مناسبة يقصدها الناس فيه سواء منهم العلماء والأدباء ، والأغنياء والفقراء ، والسوقة والرؤساء ؛ فينزلون على الرحب والسعة ويتألفون من حفاوة ابن أبي بكر وأكرامه ما تقر به أعينهم وترتاح له أفئدتهم . ويقضون في تلك البقعة الطيبة أياما يظل المنشدون فيها يرددون القصائد والمقطعات والموشحات في مدح الرسول الكريم ، خصوصا برودة الإمام البوصيري وهمزيته . ويقوم الشعراء بالقاء قصائد ينظمونها خصيصا لهذه المناسبة لاسيما منهم شاعر الزاوية أحمد الدغوغى (11) الذي كان يذيل مولدياته بمدح الشيخ محمد بن أبي بكر والدعاء له فيرتاح لذلك الشيخ وتطيب نفسه (12) . وقد شجع الشعراء على نظم القصائد والتفنن في صوغها ورفعها إلى محمد بن أبي بكر بهذه المناسبة ، ما كانوا يلقونه منه من جزيل الصلات ، وكريم المكافآت . وكان لا يشيب منهم إلا من مدح الرسول عليه السلام وأشاد بمفاخر الإسلام ، فقد روى أن الأديب عمرو بن قاسم الأندلسي الرباطي (13) جاء إليه في أحد هذه الأعياد بقصيدتين أحدهما في مدح النبي الكريم ، والآخرى في مدح الشيخ محمد بن أبي بكر ، فلما انقضى الموسم وحضر هذا الأديب لوداعه أعطاه الشيخ صرة فيها مائة دينار بيده اليمنى ، وقلسا بيده اليسرى قائلا له : هذه الدنانير جائزتك على مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا القلنس جزاؤك على مدح محمد بن أبي بكر إذ لا يستحق أن يمدح .

(11) أحمد الدغوغى من موالى أهل الدلاء ، نشأ فيهم وبرع في الأدب وكان مداحا عجاذا لا يكاد يسلم من هجوه أحد ، ترجم له الإفراني في **نزهة الحادى** ص 283 ولم يذكر أنه تاريخ وفاة .

(12) انظر إحدى المولديات التي كانت تلقى في الزاوية الدلائية في ملحق رقم 3 .

(13) عمرو بن قاسم هذا هو جد الأديب المشهور محمد بن عمرو الرباطي الذي عارض شمسقمية ابن الروان . وقد ظل عمرو بن قاسم يتصل بالدلائيين ويمدحهم مدة طويلة وقد مدح السلطان محمد الحاج الدلائى بقصيدة بطيئة تشتمل على 32 بيتا مطلعها :

يا حبيبا روح البرايا وانتهى شمسنا إلى حيث السهى والمنهى
انظرها في **كناسة ابن علي الدكالى السلاوى** ، ص 270 وما بعدها .

2 - طريقة الزاوية الدلائية

(أ) سند الدلائيين في الشاذلية .

تعتبر الطريقة الشاذلية المتصلة بالامام أبي القاسم الجنيد (I4) من أسلم الطرق الصوفية وأقربها الى السنة . وأكثرها انتشارا بالمغرب ، حتى انها لتعتبر الطريقة الرسمية في هذه البلاد ، الى جانب المذهب المالكي في الفقه . والعقائد الاشعرية في التوحيد (I5) . وقد أخذ الشيخ أبو بكر الدلائي طريقة التصوف كما تقدم عن الشيخ أبي عمر القسطلي المراكشي الذي أخذ عن الشيخ عبد الكريم الحاحي المعروف بالفلاح (I6) تلميذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع المراكشي (I7) أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (I8) .

ويتصل سند محمد بن أبي بكر الدلائي بالشيخ الجزولي من ثلاث طرق ، تتجمع كلها عند الشيخ عبد العزيز التباع . فقد أخذ محمد بن أبي بكر الطريقة الصوفية على شيخه أبي عبيد محمد الشرقي (I9) عن أبيه أبي القاسم الزعري

(I4) أبو القاسم الجنيد الشرقي عم 377 هـ يتصل سند بالحسن البصري التابعي الذي أخذ عن جماعة من الصحابة . من حديثه في السند الذي حقه الرسول الكريم بعلوم الخواطر وخبايا النفوس .

(I5) يقول عبد الواحد بن عاشر في مقدمة رجزه المرشد المعين الذي يدرس في جميع المعاصم الدينية بالمغرب :

في عقد الاشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد المسالك

وأخر باب في المرشد المعين يتعلق (بعبادي التصوف وهوادي التعرف) .

(I6) توفي عبد الكريم الفلاح عام 334 هـ ودفن بقبلة القاضي عياض بمراكش . كان المكيان السعديان محمد وأحمد الشيخ يزوران في زاويته . توجد ترجمته في : دوحة الناصر ، ص 34 وفي مجتمع الاسماع ص 3 من الكراسة 5 .

(I7) توفي عبد العزيز التباع بمراكش عام 414 هـ وألف فيه وفي شيخه الجزولي أبو عبد الله محمد المهدي القاسم كتاب مجتمع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع .

(I8) الشيخ الجزولي هو محمد بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن سليمان عرف بسببه الذي حقه قبل محمد بن سليمان . شيخ الطائفة الجزولية ومؤلف كتاب دلائل الخيرات . كان يربط أسنى أولا . ثم انتقل الى افوغال حيث مات مسجورا عام 65/870 - 1460 وقد نقله السعديون بعد ذلك الى ضريحه الحالي بمراكش . وترجمته مفصلة في كتاب : مجتمع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع ، وفي دائرة المعارف الاسلامية . العدد 12 من المجلد 6 ، ص 447 وما بعدها .

(I9) أبو عبيد محمد الشرقي يتصل نسبه بعمر بن الخطاب ، توفي عن سن عالية عام 1010 / 2 - 1002 هـ وفي جليليان (أبو الجعد الحالية) .

عن عبد العزيز التباع ، كما أخذ عن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي (20)
عن عبد الرحمن المجذوب المكناسي (21) عن أبي حفص الخطاب (22) عن عبد
العزيز التباع ، وأخذ محمد بن أبي بكر الدلائي أيضا عن عبد الله بن حسون
السلوي (23) عن أبي محمد الهبطي (24) عن عبد الله الغزواني (25) عن عبد
العزيز التباع ، عن الشيخ الجزولي .

أما الشيخ الجزولي فيتصل بسنده بالامام أبي الحسن الشاذلي (26) عن
طريق محمد بن عبد الله أمغار (27) عن أبي عثمان سعيد الهرتاني عن عبد
الرحمن الرجرجي ، عن أبي الفضل الهندي ، عن عنوس البدوي راعي الابل ،

(20) انتقل الشيخ أبو المحاسن من القصر الكبير إلى فاس في أواخر القرن العاشر الهجري
(السادس عشر الميلادي) حيث اتخذ زاوية عظيمة ، تخرج على يده فيها كثير من أهل
الفضل والصلاح . وهو أحد المجاهدين الذين شاركوا في معركة وادي المخازن الشهيرة
توفي بفاس عام 4/1013 - 1605 وخصه والده أبو حامد محمد العربي بكتاب : «مراة
المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن» .

(21) عبد الرحمن بن عياد الصنهاجي الشهير بالمجذوب ، توفي في بلاده دكالة عام 68/976-1369
وحمل إلى مكناسة الزيتون فدفن بها .

(22) عمر الخطاب دفين زرهون ، متصوف كبير ترجم له في جملة رجال القرن العاشر الهجري ،
محمد بن عسكر في «دوحة الناشر» ص 64 ولم يذكر له تاريخ وفاة .

(23) عبد الله بن حسون الخالدي ، انتقل من مدينته سلاسل بأحواز فاس إلى مدينة سلا وأخذ
عنه فيها كثير من أهل الفضل والدين وهو الذي حمل تلميذه أبا عبد الله العياشي
على الجهاد ضد النصارى المحتلين للشعور المغربية وتوفي عام 4/1013 - 1605 .

(24) عبد الله الهبطي ، أصله من صنهاجة طنجة من قبيلة جنة توفي عام 55/963 - 1556
وقبره مشهور بزاويته بأحواز شفشاون .

(25) كان عبد الله الغزواني طالبا للعلم بفاس ، ثم سلك طريق القوم وصحب الشيخ التباع ،
وأقام مدة بقلعة الهبط - صنهاجة طنجة - ثم فاس ، وأخيرا انتقل إلى مراكش حيث
توفي عام 28/935 - 1520 ودفن بحي القصور .

(26) أبو الحسن الشاذلي ينصل نسبه بالمولى إدريس بن عبد الله دفين زرهون وقد ولد بقبيلة
غمارة قرب سبتة عام 96/503 - 1197 وتلميذ للشيخ عبد السلام بن عيسى دفين
جبل العلم بالقرب من تطوان . وقد أخذ عن الشاذلي خلق كثير بالمغرب والمشرق ،
وكانت طريقته في التصوف بسيطة تشمل على أذكار جميعها في أحزاب ، منها حزب
الحزب ، وحزب البحر ، والحزب الكبير ... وتوفي الشاذلي بضمية مصر في سفره إلى الحج
عام 58/950 - 1239 أنظر ترجمة الشاذلي في : «علي سالم عمار ، أبو الحسن الشاذلي
والعربي الفاسي مراة المحاسن ومحمد الهندي الفاسي مهجع الاسماع في فصول سفره وهي :

L'Encyclopédie de l'Islam.

(27) محمد بن عبد الله أمغار الصمعي كان يعيش في رباط تيطنطغر جنوب مدينة الجديدة ، لقبه
الجزولي بأرض دكالة وأخذ عنه . ترجم له ابن الزيات في «الشوف» ص 190 - 193 ولم
يذكر له تاريخ وفاة .

عن الامام أحمد القرافي ، عن أبي عبد الله المغربي (28) وأبي العباس المرسي (29) وكلاهما عن أبي الحسن الشاذلي (30) .

ويتصل سند الدلائيين بالامام الشاذلي أيضا من طريق الشيخ أحمد زروق . فقد أخذ محمد بن أبي بكر الدلائي عن أبي المحاسن الفاسي عن عبد الرحمن المجذوب كما سبق . ومن شيوخ عبد الرحمن المجذوب علاوة على عمر الخطاب أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي الملقب بالدوار . كان بهلولاً مجذوباً توفي عام 34/941 - 1535 ودفن خارج باب الفتوح في فاس . وتلمذ أبو الحسن الصنهاجي للشيخ ابراهيم بن علي الحجام من برابرة سوس الاقصى صاحب المزاراة المشيرة في جبل زرهون وقد اتصل ابراهيم الحجام بالشيخ أحمد زروق وسلك على يده طريق القوم وكانت وفاته عام 926/1520 . أما الشيخ زروق فهو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي . كان من أكابر الفقهاء والمتصوفين جمع بين الحقيقة والشريعة وعرف بمحتسب الصوفية ، وألف كتباً عديدة أشهرها شروح لأحزاب الامام الشاذلي ولرسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وتوفي بمسراتة ذات الرمال من أطراف برقة عام 899/1493 . أخذ الشيخ زروق عن أبي العباس أحمد بن عبد القادر ابن عقبة اليماني الحضرمي ثم المصري المتوفى عام 895/1490 صحبة نحو خمسة عشر شهراً وأدرك على يده درجة عالية . وتلمذ ابن عقبة لأبي زكريا يحيى بن أحمد القادري الذي أخذ عن الشيخ علي بن وفا المتوفى عام 807/1404 دفين القرافة الصغرى بمصر ، عن والده محمد بن وفا المتوفى عام 765/1364 عن شرف الدين داوود الباخل ، عن تاج الدين بن عطاء الله المتوفى عام 769/1309 صاحب الحكم المشيرة وأخص تلاميذ الشيخ أبي العباس المرسي مريد الامام أبي الحسن الشاذلي .

(28) نقل أبو أحمد الفاسي في كتابه مرآة المحاسن ص 194 عن شيخه أحمد بن يوسف الفاسي سند الجزولي إلى الشاذلي كما ذكرت هنا . وقال : «وليس أعرف من هؤلاء الشيوخ أحدا سوى الشيخ أبي عبد الله انصار ، وأما الامام القرافي فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة ، والتاريخ يقبله ان كان هو المراد وأما أبو عبد الله المغربي فلم أجده ذكراً في لطائف الثمن . ولأنك أنهم لم يسبقوا أصحاب الشيخ أبي الحسن . وقد تخرج له في المغرب رجال من الصديقين والاولياء . ثم رجع إلى مصر وأخذ عنه عالم من الدسرة . والامام القرافي ان كان هو الفقيه المالكي صاحب أنوار البروق في أنوار الفروق ، والذخيرة فإنه توفي بمصر عام 684هـ (1285م) انظر ترجمته في الاعلام للشيخ خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية (بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع) ج 1 ص 90 .

(29) أبو العباس أحمد بن عبد الجبار ، ولد ونشأ في مرسية بالاندلس واليه نسب . وهو أشهر مریدی الشاذلي صحبه في رحلته إلى المشرق وأقام معه بالاسكندرية إلى أن توفي بها عام 685/1287 .

(30) انظر جداول اتصال الشاذلي بالجديد من طرق متعددة في باب مصادر تصوف الشاذلي من كتاب علي سالم عمار ، أبو الحسن الشاذلي .

أبو الحسن الشاذلي

رحمه الله



انصال الدلائل بالامام الشاذلي عن طريق الجزولي وزروق

(ب) أذكار الزاوية الدلائية

رأينا أن طريقة الدلائيين جزولية زورقية شاذلية ، وهي تمتاز على العموم بالمحبة الصادقة في النبي الكريم ، والاكتثار من الصلاة عليه والتسليم . وقد استبرأ أجداد الدلائيين بتعلقهم بالرسول عليه السلام ، خصوصا منهم سعيد بن أحمد الدلائى الذى كان «مواظبا على قراءة دلائل الخيرات لا يفارقه في أكثر الأوقات ، وكان يأمر أولاده بها (الصلاة على النبي عليه السلام) ويرغبهم فيها ويحضهم عليها حتى انه كان يسافر لنواحي البلاد فيأتى بالطرف والفراخ ويقول لهم مرغبيا ومدربا من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فله كيت وكيت من تلك الاشياء المشتبهات ...» (31)

ولما تصدر أبو بكر الدلائى للمشيخة في زاويته ، لم يلتزم تلقين أذكار مخصوصة لمن يريد الأخذ منه ، كما كان الشأن عند معاصريه من شيوخ الصوفية ومن أتى بعدهم ممن سلك هذا الطريق ، وإنما كان يأمر مريديه بالثوبة بشروطها المعروفة ، من الاقلاع عن الذنوب ، والعزم على عدم ارتكابها مرة أخرى ، وتلافى ما يمكن تلافيه من الحقوق المترتبة من قبل ، والاكتثار من الاستغفار . ومع ذلك فقد كانت له وظيفة لنفسه ولمريديه وهي : استغفر الله ، وسبحان الله والحمد لله . لا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا

بالله العلى العظيم . وكل واحدة من هذه الكلمات يقولها مرة ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ : اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، مائتى مرة . لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله الملك الحق البين سيدنا محمد رسول الله الصادق الامين صلى الله عليه وسلم . وكان يسمى ذلك بالوظيفة لان طريقته انما هى شاذلية ولا تلقين فى الطريقة الشاذلية كما قال القسطلانى» (32) .

وكانت أوراد الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى من الاذكار التى كان يوظفها على المردين فى الليل والنهار : استغفر الله العظيم (مائة مرة) اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى الى صراطك المستقيم . وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم (مائة مرة) لا اله الا الله (مائة مرة) صباحا ومساء . ومن الادعية التى كان يرددها الشيخ

(31) نقله عن نزهة الفكر سليمان الحوات فى البدور الضاوية ورقة 6/ب .

(32) سليمان الحوات . البدور الضاوية ورقة 1/20 .

محمد بن أبي بكر كثيرا في الزاوية الدلائية : اللهم لا مانع لما أعطيته ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . اللهم اختتم بالسعادة آجالنا ، وافرن بالعافية غدونا وأصالنا ، واجعل إلى جنتك مصيرنا ومآلنا . وتقبل بفضلك أعمالنا . واجبر برحمتك أحوالنا ، واجعل في طاعتك أشغالنا ، الا هنا ، قطرة من بحر جودك تكفيننا ، وغرفة من بحر احسانك تغنيننا ، فيها نحن أسارى الذنوب بين يديك واقفون وعلى ما عودتنا من فضلك واحسانك معولون ، اللهم احفظنا في ظاهرتنا وباطننا ، وعرضنا لنفحاتك القدسية . ولا تكلنا للاصدقاء ولا نفسنا للاعداء وكن لنا بما كنت به لاجبائك وأصفيائك (33) .

وكان الشيخ أبو بكر الدلائي يأمر مريديه أن يصلوا على النبي عليه السلام بهذه الصيغة : اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . ثم لما حج محمد بن أبي بكر الدلائي واتصل في مصر بالشيخ محمد البكري وأخذ عنه طريقته الصوفية كان من جملة ما رآه محمد عن هذا الشيخ (صلاة الفاتح لما أغلق) فجعل محمد بن أبي بكر يلقيها لمريديه في الزاوية الدلائية بدلا من الصيغة الاولى التي كان عليها أبوه . والمعروف أن صلاة الفاتح لما أغلق هي الصيغة التي يلتزمها التيجانيون في وردهم حتى اليوم ، بل اننا نجد الورد الذي كان يلقيه محمد بن أبي بكر الدلائي يعلق تماما والورد الذي لقنه الشيخ أحمد التيجاني لأصحابه . فكل الوردين يشتمل على مائة من الاستغفار . ومائة من صلاة الفاتح لما أغلق ، ومائة من الهيلة . وقد قال أحمد بن بابا العلوي التسنحيطي في منهية المرید عن الورد التيجاني :

أركانها استغفر الله مائة وصل مثلها على خير الفئدة
وكون ذي الصلاة بالفريضة (34) مفضل برتب عديدة
ومثل مائة ولتختتم بنسبة الارسل للمعظم (35)

ولاشك ان كلا من الدلايين والتيجانيين استمدوا من البكرين شيوخ
طريقة الساذلية بمصر .

(33) محمد بن علي الدكالي السلاوي : الكناسة العلمية ، ص 73 .
(34) التراء بالفريضة : صلاة الفاتح لما أغلق . إذ كان الشيخ أحمد التيجاني يسميها (الباقوة الفريضة) .
(35) التراء من التراء : محمد العربي الساج : بغية المستفيد كشرح منهية المرید ، ص 100 .
وما بعدها

وقد كتب الامام الشرقى بن أبى بكر الدلائى الى شيخ الطريقة الناصرية محمد بن ناصر الدرعى يسأله أن يرشده الى أذكار يتلوها فى الليل والنهار فأجابه ابن ناصر برسالة جاء فيها :

«... فإذا أصبحت وإذا أمسيت فاتل هذه الادعية سبعا سبعا : اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تدرأ بها عنا كل شر باطن وظاهر ، انك أنت الله القوى القاهر . اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تجلب بها الى كل خير باطن وظاهر ، انك أنت الله القوى القادر . سبحان ربى الاعلى الوهاب ، اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة . اللهم انى أسألك العفو والعافية ، فى دينى ودنياى وأهلى ومالى ، اللهم استر عورتى وآمن روعتى ، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى ومن شمالى ويمينى ومن فوقى ومن تحتى أعوذ بك أن أغتال . اللهم يا حى يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ...» (36) .

ج) مريدو الزاوية الدلائية

طالت حياة أبى بكر الدلائى ، وظل منتصباً للمشيخة أزيد من ثلث قرن ، وكان ذا سند عال فى الطريقة ليس بينه وبين الامام الجزولى الا ثلاثة شيوخ . كما كان سمح الخلق ، كريم المائدة ، فتصده الناس من كل حذب وصوب . واعتلأت زاويته بوفود المريدين الراغبين فى الاخذ عنه وعن ابنه محمد . والانتساب اليهما . وإذا كنا لانستطيع تحديد عدد مريدى هذه الزاوية العظيمة فانه يمكننا أن نذكر بعض النابغين منهم ممن تأهل للمشيخة وانتفع به الناس ، وأكثرهم من برايرة الاطلس المتوسط .

ومن أشهر مريدى الزاوية الدلائية محمد بن أبى بكر العياشى المتوفى عام 1067/1657 وهو والد الرحالة أبى سالم العياشى . أخذ محمد العياشى عن الشيخين الدلائيين أبى بكر وابنه محمد ، وطالت صحبته لهما وانتفاعه بهما حتى تهيأ للمشيخة وأذن له أبو بكر الدلائى فى ارشاد قومه وتعليمهم واطعام المحتاجين منهم . فأسس الزاوية العياشية أو الحمزاوية كما

تسمى اليوم في السفح الجنوبي الشرقي لجبل العياشي بالاطلس الكبير (37) وأخذ عن الشيخ أبي بكر الدلائي أيضا أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الدادسي المتوفى عام 52/1002 - 1653 بواويزغت من جبال تادلا . كان قوى الحال كثير التواجد لا يتمالك عند تلاوة القرآن . ولما تصدر لشربة المريدين كان أكثر ما يحضيم على المحافظة على أداء الصلوات في أوقاتها . وحفظ السنن من الغيبة والهدر . (38) :

كما تتلمذ للشيخ أبي بكر الدلائي محمد بن يعقوب الولالي المتوفى عام 1650/1000 وهو جد أحمد بن يعقوب مؤلف كتاب **مباحث الانوار** . وكان رجلا بربريا لا يخلو لسانه من ضعف في بعض مخارج الحروف . ومع ذلك فإن شيخه أبا بكر الدلائي كان يعجبه أن يستمع اليه وهو يتلو القرآن . لما كان عليه من قوة اليقين والوقوف عند حدود الله . وكان ابن يعقوب يكثر من زيارة أبي بكر بالرغم من بعد المسافة بين بلديهما (مسيرة ثلاثة أيام) ولم يتخذ محمد بن يعقوب لنفسه زاوية خاصة مكتفيا بزاوية شيخه الدلائي . وبارشاد قومه وحماهم على الجادة أينما تيسر له ذلك (39) . وتتلمذ للشيخ أبي بكر أيضا أبو علي الحسن بن علي التاسكدلي المتوفى عام 00/1005 - 1597 . ما كاد أبو علي يرجع إلى قرنته الجبلية بعد أخذه عن أبي بكر الدلائي وتزوده بنصائح حتى جد في تبديل عوائلها الرديئة الممكنة من عامة أهل البلد . وحبب اليهم العلم بعد أن كانوا لا يكثرئون به مكتفين بمجرد حفظ القرآن الكريم وتلاوته . وكان قوى البنية مفتول العضلات فأنكب على العمل يجد يباشر الاشغال بنفسه لأصلاح الطرقات وتبنيدها وحفر الأماكن الوعرة وتسجيلها . لأن بلده يقع في جبال وعرة مكسوة بالثلوج (40) . كما

(37) انظر ترجمة محمد بن أبي بكر العياشي وأخباره مع الدلائل في : أبي صالح العياشي **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** . الصفحات الأولى . وعبد الله العياشي . **الأحياء والانتعاش** . الفصل الأول من ورقة 16

(38) انظر ترجمة أبي عبد الله الدادسي في : محمد الإفرائي . **صفوة من النثر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر من الهجرة** . الجزء الثاني من 100

(39) ترجم أحمد بن يعقوب الولالي في **مباحث الانوار** ورقة 44 وما بعدها لجد محمد بن يعقوب وذكر كثيرا من أخباره . غير أنه لم يشر إلى تاريخ وفاته .

(40) انظر ترجمة أبي علي التاسكدلي في : سليمان الحرات . **البدور الضاوية** . ورقة 23 . وتاسكدلي قرية بجبال الأطلس المتوسط جنوب مبدلت . تابعة إداريا لمركز تونغيت

تلميذ لأبي بكر الدلائى من شيوخ القرى الجبلية أبو الحسن علي بن إبراهيم
 دفين تدغة ، وأبو الحسن علي بن يوسف دفين أركو وسليمان الغياثى صاحب
 الكاف (41) . وقد زار الحافظ أحمد بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسى
 المتوفى عام 1021/12 - 1073 الشيخ أبا بكر فى زاويته بالدلاء فى شهر محرم
 عام 1012/1609 وأخذ عنه ونال من إكرامه وتعظيمه ما يناسب مقامه العلمى
 الرفيع ، ولما رجع الى فاس سأل الناس عن شيخ الدلاء فقال : «أخذ الناس
 بالأوصاف ، وأخذ أبو بكر بالاتصاف» (42) . ألف الحافظ أحمد الفاسى فى
 أسانيد شيخه أبي بكر الدلائى كتابا خاصا (43) . وكان محمد بن أبي بكر
 الدلائى ينسب كثيرا على الإمام أحمد الفاسى ويصفه من بين حفاظ عصره الثلاثة
 بأنه (الحافظ الضابط الثقة) .

3 - علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا

تكاثرت الزوايا فى المغرب خلال القرنين العاشر والحادى عشر للهجرة
 (السادس عشر - السابع عشر للميلاد) حتى كاد عددها يفوق عدد المساجد ،
 واختلط فيها أمر الصالحين بمدعى الصلاح من ذوى الأغراض الفاسدة
 والمفسودين ، وعسر بذلك تمييز الطيب من الخبيث . غير أن هناك بعض
 الزوايا التى أجمع الناس على صلاح أهلها لاستقامة سلوكهم ، وظهور نتائج
 أعمالهم الدينية والعلمية . وأشهر هذه الزوايا فى القرن الحادى عشر الهجرى
 ثلاث : الزاوية الدلائية ، والناصرية ، والفاسية ، ولم تكن هذه الزوايا بمعزل
 عن بعضها بالرغم من تباين مواقعها ، ولكنها كانت تتصل عن طريق الزوار
 والرسائل ، والاخت والعطاء . فكان بينها من أجل ذلك تفاعل أمر تقاربا فى
 وسائل العمل وتمائلا فى النتائج . وما أشبهها فى تلك الظروف الحالكة
 جنارات شامخة تنبع بالإيمان والعرفان فى وسط المغرب وشماله وجنوبه .
 ومن المقرر عند الأشياء أن العلم إنما أحياء بالمغرب ثلاثة من الشيوخ ،
 سيدى محمد بن أبي بكر الدلائى ، وسيدى محمد بن ناصر فى درعة ، وسيدى
 عبد القادر الفاسى (44) . وإلى جانب هذه المراكز الدينية العظيمة كانت
 الزاوية العياشية - وهى ربيعة الزاوية الدلائية - تقوم بدور مماثل فى

(41) ذكر هؤلاء المريدون الثلاثة الأخيرين سليمان الحوات فى البدور الضاوية . ورقة 33 ريب
 وقال أنه لم يقف على تراجيعهم . وتدغة (بضم الداء) قرية بجوار تنفس من عمالة
 برزازات .

(42) أبو حامد الفاسى فرة المحاسن . ص 153 .

(43) عبد السلام بن سودة . دليل مؤرخ المغرب الأقصى . ص 327 .

(44) محمد بن أحمد الفاسى . المودع الهنى . ورقة 2/ب .

منحدرات الاطلس الكبير المطلّة على أراضي تافيلالت ووحدات الصحراء . على انها وان لم تبلغ ذلك الشأو البعيد فانها قامت بتثبيتها في الارشاد والتهديب . وظلت محتفظة حتى عصرنا الحاضر بذخائر نفيسة في مكتبتها العلمية العامرة . وقبل أن أورد نتفا من أخبار الزوايا الثلاث وتعاليمها وما كان لها من صلة مع الزاوية الدلائية أود أن أشير إشارة عابرة الى بعض الظواهر المشتركة بينها . فقد أسست كلها في عصر ازدهار الحركة الصوفية بالمغرب وفي زمن متقارب (أواخر القرن العاشر الهجري) باستثناء الزاوية العياشية التي تأسسها قديلا الى أوائل القرن الحادي عشر . بدأت بسيطة في بيت أو مسجد صغير ثم اتسعت مبانيها الى أن صار بعضها عبارة عن مدينة أو قرية كبيرة . وكان الغرض الرئيسي لمؤسسي هذه الزوايا صوفيا محضا يرعى الى هداية الناس وتهذيب أخلاقهم بنشر تعاليم الطريقة الشاذلية ثم تطور نشاطها فأصبحت مراكز علمية هامة تشد اليها الرحال .

(أ) الزاوية الناصرية

تقع الزاوية الناصرية بتماكروت على ضفاف وادي درعة وادي الاطلس الكبير ، بعيدة عن مركز زاكورة بنحو 22 كلم في جنوبها الشرقي . أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الانصاري (45) عام 75/983 - 1576 . واستقر بها حفيده الصوفي الصالح أحمد بن ابراهيم الانصاري (46) مع شيخه عبد الله ابن حسين الرقي (47) الذي كان يلقي فيها أوراها الشاذلية . وقد جاء أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي (48) الى زاوية تماكروت عام 30/1040 - 1031 لأخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله بن حسين . وأقام ابن ناصر في هذه الزاوية

(45) أبو حفص الانصاري أحد أعيان درعة وزعماءها . ووالد الصالحة سموية الانصارية أم الشيخ أحمد بن ابراهيم الانصاري . وهو أول من نزل من أفراد قبيلة تماكروت ، وأسس زاويتها في التاريخ المذكور . وكانت وفاة أبي حفص الانصاري عام 1010/2 - 1002 .

(46) أحمد بن ابراهيم الانصاري ، الدرعي العابد الزاهد ، قتل عام 1052/1042 .

(47) عبد الله بن حسين الرقي - نسبة الى الرقة : ولد على شاطئ نهر الفرات بالعراق - كان يعرف بالنياب . وهو من أكبر صلحاء درعة ، أخذ عهد الشاذلية عن الشيخ أحمد بن علي الحاجي الدرعي المتوفى عام 89/998 - 1500 . تلمذ الشيخ الكبير ابن ناصر الفازي الدرعي المتوفى بسجلماسة عام 73/981 - 1774 . وكانت وفاة الشيخ عبد الله ابن حسين بتماكروت عام 35/1045 - 1036 .

(48) الشيخ محمد بن ناصر يتصل نسبه بجعفر بن أبي طالب . هاجر أجداده الى درعة في صدار القرن العاشر الهجري . وولد محمد بن ناصر ونشأ بطرية المظن في درعة . ثم انتقل الى تماكروت في التاريخ المذكور وعمره إذ ذاك نحو 29 سنة وألقت اليه رايها بنت وفاة الشيخين الرقي والانصاري ، ونسبت اليه فعرفت بالزاوية الناصرية . وبها كانت وفاته عام 74/1085 - 1075 . وخلقه فيها أبناؤه وما زالوا هناك حتى اليوم .

مدة بطلب من الشيخ عبد الله بن حسين ، وأقبل على التدريس ونشر العلم فيها ، وقصده الطلاب من مختلف جهات الصحراء ، وقد تصدر أحمد الانصارى للشيخ الصوفية بزاوية تاهكروت بعد وفاة أستاذه الرقي ، غير انه لم يلبث ان مات فتبلا بيد أحد منافسيه من زعماء درعة ، فاستقل حينئذ الشيخ محمد ابن ناصر بهذه الزاوية وأصبح يشتغل فيها بتدريس العلم للطلبة وبترسية المريدين . وتحمل الشيخ ابن ناصر كثيرا من شظف العيش «وصبر في هذه المدة غاية الصبر على معيشته وكسوته حتى كان ينام مع أهله على التراب ، لعدم ما يشتري به حصيرا يفرشه ، وربما افترش ليفا أو جريد نخل » (49)

وكان محمد بن ناصر يميل الى البساطة في تعليمه ، ويقتصر على حل مشاكل المتون وتقريبها لأذهان الطلاب ، مجتنباً كثرة النقول والخلافات المتشعبة ، فانتفع به كثير من الناس . ومن أشهر تلاميذه الامام أبو علي البوسى والقاضى عبد الملك التجموعى ، والرحالة أبو سالم العياشى (50) وغيرهم . وقد حج ابن ناصر مرتين ، واشتهر أمره بالشرق مثلما اشتهر بالغرب ، وكثر أتباعه والآخذون عنه فيهما . ولم تكن له أوراد معينة يلقيها لجميع أتباعه ، وإنما كان يراعى حالة المريدين ويسلك بهم سبيل التدرج في الاذكار . ويمكننا أن ندرك على الاجمال طريقته في التلقين وتحري السنة من صدر رسالة أجاب بها بعض طلبة تلمسان حين كتبوا اليه يسألونه الدخول في زمرة ، وأن يبعث اليهم بحديث السبحة والخرقه والضيافة (51) . قال : « وأوصيكم بتقوى الله ولا تترجوا ولا تخشوا الا الله . وأما السبحة والضيافة والخرقه فليس عندنا فيهن رواية . وإنما طريقتنا الذكر ، وهو نحو ما ذكره

(49) أحمد الناصري السلاوى ، طلعة الشرى ، ج 1 ، ص 133 .

(50) ستائر تراجيم في الابواب التالية .

(51) يقول بعض الصوفية ان للسبحة والخرقه والضيافة أصلاً في السنة ، ويذكرون أحاديث في الموضوع عنها ما رواه الدبلى في مسند الفردوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نعب المذكر المسبحة » . ولجلال الدين السيوطى رسالة سماها : النجاة في استعمال السبحة ، ذكر فيها أن جمعا من الصحابة كانت لهم سبحة ، كعائشة وأبي هريرة وأبي الدرداء . وكذلك بعض العارفين الاولين كالجيد ومعروف الكرخى وغيره القادر الجليل . ويقال أن الرسول عليه السلام كما قرأ بن عبدة توسل من ثيابه لما سأل ذلك . ويروى شيوخ الصوفية لبس الخرقه بسند متصل ينتهى الى علي بن أبي طالب وأويس القرنى . انظر في هذا الموضوع : أحمد المجرى : النهاج الواضح ، ص 134 وما بعدها .

الشيخ السنوسي في آخر شرح العقيدة الصغرى (52) فإن رغبتم في الدخول في السلسلة ، فصححوا التوبة وشروطها وعليكم بتقوى الله والتوكل عليه في جميع الأمور ، والتأهب ليوم النشور ، والتزود لسكنى القبور . وإذا فرغتم من الأذكار الماثورة بعد صلاة الصبح فقولوا : استغفر الله مائة مرة ، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، كذلك ، لا إله إلا الله ، ألف مرة . هذا إذا كان ممن يعاني القراءة وكان ذكراً وأما امرأة فحسبها من الهيلة مائة مرة ، وإن كان عامياً فليذكر الهيلة سبعة آلاف مرة ، ويزاد عند تمام كل مائة ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا هو الورد بين الصبح والصبح .. (53) وهكذا نرى أن محمد بن ناصر كان يراعى أحوال الناس من التفرغ والاشتغال ، فيأمر الرجل العادي أكثر مما يأمر به الطالب المقيم بدروسه . ويخفف عن المرأة كثيراً لضعفها ومسؤوليتها في البيت . وهناك مسائل أخرى تدل على شدة تمسك شيخ الناصرية بالسنة ، وتعززها ورد في الرسالة من عدم اتخاذ السبحة والخرقاة والضيافة لعدم رواية شيء ثابت في شأنها . من ذلك أنه ترك قراءة الفاتحة بعد الصلوات ، لنفسه السبب ، واقتصر على اذان واحد يوم الجمعة . ولم يكن يدعو في الخطبة لأمير المؤمنين ، الأمر الذي كاد يجر عليه شراً مستطيراً إذ بعث إليه السلطان الرشيد بن الشريف بكتيبة من الجيش للبطش به ولكن الله سلم .

وإذا أردنا أن نوازن بين الطريقتين الناصرية والدلائية ، وجدنا أنهما تلقيان في نواح كثيرة ، فكلتا هما تتصلان بالامام الشاذلي عن طريق الشيخ أحمد زروق ، وإن كان سند الدلائين أعلى وأوسع . لاخذهم عن شيوخ عديدين وانفرادهم بطريقة الشيخ الجزولي دون الناصريين . وتنشأ به أرواد الزاويتين كثيراً . ويأمر كل من شيخى الدلاء وتامكروت مرديه بالتوبة أولاً ، والاكتفاء من الاستغفار ، والهيلة ، والصلاة على الرسول الكريم . ويتفق الدلائيون والناصريون في صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الدلائين يرددون فيها ثلاث كلمات هي «عبدك ونبيك ورسولك» فيقولون : اللهم صل

(52) أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي عالم تلمسان المتوفى عام 895/89 - 1490 له كتب في العقائد : كبرى ووسطى وصغرى ، وصغرى الصغرى . ويعرف الصغرى باسم البراهين وقد طبعت مراراً في مجموع التون بقباس ، ومصر . ويشير ابن ناصر في رسالته إلى قول السنوسي في آخر أم البراهين عندما تحدث عن كلمتي الشهادة : «فعلى العاقل أن يكفر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الإيمان حتى المزج مع معناها بلحمه ودمه ...»

على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . بينما يقولها الناصريون بدونها كما وردت في الرسالة السابقة (54) وان اقتصت كل منهما بادعية فانهما لم تفتنا متشابهتين في التزام البساطة ومراعاة السنة . وعدم الاتيان بالعبارات الصوفية الغامضة . والكلمات البهيمية المحتملة لكل تأويل .

هذا ولم يتعلم الناصريون للدلائيين مباشرة . غير أن الشيخ محمد بن ناصر درس العلوم اللغوية والفقهية على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي (55) تلميذ محمد بن أبي بكر الدلائي . وكان أبو الحسن هذا كبيرا ما يضيق ذرعا بظنك عيش تامكروت ، ويقصد شيخه ابن أبي بكر في الدلاء ، فينال من عطاياه وهداياه ما ينقلب به الى أهله مسرورا . وبعت الشيخ محمد بن ناصر مرة مع أستاذه أبي الحسن بقصيدة يمتدح فيها شيخ الزاوية الدلائية محمد ابن أبي بكر ، منها :

له يدان يهد للظلم مقمصا ويد جود تفيد الناس أمورا
كانما هاتف الحق يخاطبه انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا (56)

فكان لها الوقع الطيب في نفس ابن أبي بكر ، وقال أبو الحسن من عرفه فرفى ما كان يعبد منه . والى ذلك كانت هناك اتصالات ومراسلات بين الناصريين والدلائيين أثرنا في الفصل السابق الى بعضها . ولعل الامام أبا علي اليوسي كان أهم صلة تربط بين الزاويتين فقد درس بتامكروت على الشيخ محمد بن ناصر وأخذ عنه عهد الشاذلية وهو ما يزال حدثا في مستقبل العصر . ثم التحق بالزاوية الدلائية واستقر بها نهائيا تلميذا ثم أستاذا ، ولم تنقطع صلة اليوسي بشيخ تامكروت طيلة العشرين سنة التي قضها في الدلاء . وقد امتدح اليوسي الشيخ محمد بن ناصر بقصيدة دالية بلغة يبلغ عدد أبياتها 340 . مطلعها :

(54) كانت هذه القصيدة للعلامة علي النبي غلية السلام معمولا بها في الزاوية الدلائية الى أن تفرغ محمد بن أبي بكر الدلائي صلاة والفاح لما انحلوا بعد اخذ عن الشيخ المكي كذا كذا في الفصل السابق

(55) الحسن علي بن يوسف بن أحمد بن عبد الحليم الدرعي التامكروني . الامام الغائب الحليل المجتهد المتفنن في جملة من العلوم العقلية والنقلية كان جل دراسة الشيخ محمد ابن ناصر عليه . ترجم له محمد المكي الناصري في الدرر المرصعة ، ص 253 ولم يذكر تاريخ وفاته .

في البيت الأول ، و (الحق خاطبه) بدلا من يد في الشطر الثاني من البيت الثاني ، و (الحق خاطبه) بدلا من الحق يخاطبه في البيت الثاني .

عرج بمنصرج البضاب السورد بين البضاب وبين ذات الارمد
واحد من الجزع الذي يحضيه أجداث أصداء العشير الهمد (57)

ب) الزاوية الفاسية

الشيخ الأول لهذه الزاوية هو أبو المحاسن يوسف الفاسي . ولد ونشأ
بمدينة القصر الكبير وأخذ فيها عن الشيخ عبد الرحمن بن عياد الدكالي
المعروف بالجنوب التقدم ولازمه الى أن توفي عام 68/976 - 1369 . فتصدر
بعده أبو المحاسن الفاسي للمشيخة وتربية المريدين . وانتقل الى مدينة فاس
عام 80/988 - 1381 وسكن بدار في أقصى الدرب الجديد من حي المخفية
بعده الأندلس . كان يسكن في أعلى الدار ويجمع المريدين في أسفلها . ثم
اشترى دورا مجاورة لها وأسس فيها مسجدا ومئذنة وزاوية . وبعد مدة أمر
أبو المحاسن أصحابه بتطوان وبناء رابطة هنالك لاورادهم وأحزابهم واجتماعهم
لذكر والتذكير . فبنوها في العيون منها وقام الرسم بها أحسن قيام . ولم
يزل الصلوات راتبة بها ورسوم الخير من تلاوة وذكر وغيرها ثابتة فيها واسم
الزاوية جاريا عليها ووقف الناس عليها أوقافا (58) .

وهكذا أسس الشيخ أبو المحاسن الفاسي في أواخر القرن العاشر
البحري (السادس عشر الميلادي) زاويتين أحدهما بحي المخفية بفاس ،
والأخرى بحي العيون بتطوان كان يجتمع فيهما أصحابه من المريدين . وقد
رتب لهم الشيخ أورادا يقرؤونها جماعة على لسان واحد جهرا في ثلاثة أوقات :
الأول بعد صلاة الصبح . ويقرؤون فيه حزب الفلاح (59) والمسبحات العشر

(57) البضاب : الضباب الطيفة . الارمد : تراب على لون الرماد . والجزع : منعطف الوادي .
والأصداء جمع صدى : والمراد به هنا جملة الميت .

وتشتمل هذه القصيدة كلها على مقدمات لغوية جزلة حتى يظن أنها من شعراء
البحريين . وقد جعل لها الرئيس شرحا سماه نيل الاعاني في شرح التهاني . طبع
بمطبعة التقدم بمصر عام 1329 .

(58) أبو محمد العربي الفاسي . مرآة المحاسن ص 43 .

(59) حقة الحزب كما قال الشيخ زروق في شرح حزب البحر للامام الشاذلي : «هو السورد
المعروف أيضا بـالحزب» وهو في الاصطلاح مجموع اذكار وأدعية وتوجيهات وضعت
لذكر والتذكير والتعبد من الشر . وطبق الخير واستحتاج المعارف وحصول العلم مع
جمع القلب على الله سبحانه بذلك ولم يكن في الصدر الأول ولا من بعده بشرى لكن
جرت على أيدي مشايخ المتصوفة وحزب الفلاح هو من جمع الشيخ محمد بن سليمان
الجزولي انظره في ملحق 4 .

والمعشرات التسع (60) ، ووظيفة الشيخ زروق (61) والحزب الكبير (62) .
و الثاني في العتسي . ووردت المسبغات العشر ووظيفة الشيخ زروق . إلا
أنهم يستبدلون عبارة (أصبحت وأصبحنا وما أصبح) بقولهم (أمسيت وأمسينا
وما أمسى) . والثالث بعد الغروب . ووظيفته حزب الفلاح ثم حسبنا الله ونعم
الوكيل سبعين مرة (63) ثم صلاة الشيخ عبد السلام بن مشيش (64) .

وهناك زاوية فاسية أخرى أسسها يحيى القلقليين (65) بفاس أخو
الشيخ أبي المحاسن وتلميذه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي المشهور
بالمارف بعد تأسيس زاوية المخفية بقليل . ظل أبو زيد الفاسي يسير في
زاويته على النهج الذي يسير عليه أخوه أبو المحاسن في زاوية المخفية إلى أن
توفي فخلفه فيها حفيد أخيه . عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن ، وكان من
أخص تلاميذه وأقرب الناس إليه وأكثرهم استفادة منه . وقد عني الشيخ عبد
القادر الفاسي بزاوية القلقليين عناية خاصة وانكب فيها على تدريس العلوم
وتربية المريدين ، ثم جدد له الولي اسماعيل بناء هذه الزاوية ووسعها على
النحو الذي هي عليه الآن . وكان المريدون على عهد الشيخ عبد القادر الفاسي
يجتمعون فيها للذكر مرتين في اليوم ، فيقرؤون حزب الغداة بعد صلاة الصبح
إلى طلوع الشمس وهو يشمل على ما تقدم من حزب الفلاح والمسبغات والحزب
الكبير مع زيادة ذكر لا اله إلا الله خمسمائة مرة ، ثم محمد رسول الله عشر
مرات ، ثم اسم الجلالة خمسمائة مرة ، ثم محمد رسول الله في اثنا عشر
لم يقرؤون هذا الدعاء ثلاث مرات . اللهم احبنا عليها يا مولاي ، وامننا عليها
يا مولاي ، وأثبتنا عليها يا مولاي عند الشبهة والرجوع اليها ويختتمون بـ لا اله
إلا الله مرة ، وبقراءات الماتحة وبصرفون وقد يقرأ بعض المريدين حزبين من

(60) المسبغات هي عبارة عن عشر جمل من الأذكار تتلى كل منها سبع مرات ، وهي من الشعارات
القديمة للصوفية ذكرها الغزالي في الاحياء . والمعشرات التسع من اذكار اتباع الشيخ
الجزولي تتلى كل جملة فيها عشر مرات . انظر المسبغات والمعشرات في ملحق رقم 4 .

(61) وظيفة الشيخ زروق في : العربي الفاسي . مرآة المحاسن . ص 55 - 56 .

(62) الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وأوله على ما عند ابن عطاء الله وابن عباد والشيخ
زروق «بسم الله الرحمن الرحيم . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام عليكم»
انظره في : العربي الفاسي . مرآة المحاسن ص 58 - 59 .

(63) حسبنا الله ونعم الوكيل) سبعين مرة لم يكن يقرأها المريدون في حياة الشيخ أبي
المحاسن ، وإنما زادها ولده الحافظ أحمد بعد موت والده .

(64) انظرها في ملحق رقم 4 .

(65) لم يدفن الشيخ أبو المحاسن في زاويته بالمخفية . ولا أخوه عبد الرحمن بزاوية القلقليين
وإنما دفنا خارج باب الفتوح بروضتهما المشهورة .

القرآن الكريم . ثم يجتمع المريدون في الزاوية أيضا بعد صلاة المغرب لقراءة حزب الفلاح وحزب الشيخ عبد القادر (66) الجيلالي وصلاة الشيخ عبد السلام ابن عثيش . كما كان المنشدون كثيرا ما يختلفون الى زاوية القلقليين للترنم بالامداح النبوية والاشعار الصوفية بحضرة الشيخ عبد القادر الفاسي «ولا يستعملون شيئا من السماع حتى يقدموا قبله قراءة القرآن ، وكان يحب كلام الششتري (67) باللحون ، وكلام سيدي عبد الرحمن المجدوب وغيره ، ولا ينكر شيئا من ذلك ولا يحب آلة مع ذلك سدا للذريعة .. وكان يرخص فسي الرقص ولكن لذي حال غالب ، ومع ذلك يأمر بالسكون ، وينهى عما يؤثر في العقول من السماع ، ولا يمنع شيئا في الفرح بالمولد النبوي من الرقص والسطح» (68) .

وهناك صلات متينة ووسائل قربي تجمع بين الزاويتين الفاسية والدلائية منذ عهودهما الاولى ، فأبو المحاسن الفاسي هو أحد الشيوخ الاولين في السلسلة التي تصل محمد بن أبي بكر الدلائي بالامامين أحمد زروق ومحمد بن سليمان الجزولي . وقد تعلم الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي على شيخ زاوية الدلاء أبي بكر . وخص أسانيده في طريق القوم بتأليف سبقت الإشارة اليه . وأقام أخوه أبو حامد محمد العربي الفاسي مدة طويلة في الزاوية الدلائية ، يدرس الحديث على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي . ويلقى دروسا في

(66) الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الشريف الحسني المعروف بالجيلاني المتوفى ببغداد عام 1106/65 - 1106/65 صاحب الطريقة الجيلانية المنتشرة في جميع البلاد الاسلامية الى أن طغت عليها الطريقة الشاذلية في المغرب منذ القرن السابع للهجرة . وقد ازداد قدم الشاذلية زموجا بالمغرب في القرن التالي مع الشيخ محمد بن سليمان الجزولي الذي كان يعد أئمة بالآلاف وأخذ عنه جل شيوخ عصره في هذه البلاد ثم تأكد ذلك في القرن التاسع للهجرة مع الشيخ أحمد زروق شارح أحزاب الشاذلي ومجدد طريقته في شمال إفريقيا غير أن بعض شيوخ الامام زروق يرتفع سندهم الى الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن المعلوم أن عبد القادر الفاسي أخذ عن عم والده أبي زيد عبد الرحمن الفاسي العارف الذي يتصل سنده بالشيخين الجزولي وزروق معا ، ولعل ذلك يفسر ما نراه هنا من قراءة مريد الزاوية الفاسية لحزب الشيخ الجيلاني ، هذا بالإضافة الى أن الشيخ عبد القادر الفاسي كان فوقيا متحررا يختار من كل ما يراه صالحا وكان كثيرا ما يستشهد بقوله تعالى : «وامر قومك يأخذوا بأحسنها» .

(67) أبو الحسن علي بن عبد الله النعمري الششتري شاعر أندلسي - متصوف تنقل في البلاد وكان ينسب في أسناده ما يصل الى 400 فقيه يخدمونه ، وله تأليف منها العقاليد الوجودية في اسرار الصوفية وشعره وموشحاته وزجلته في نهاية الحسنى بوجه كثير منها في ديوانه المصنوع بصر . توفي الششتري بقرية الطينة القريبة من ميساط بعصر عام 1269/668 .

(68) عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، تحفة الاكابر ، الباب الثاني عشر ، غير مرقم .

مختلف العلوم على الطلبة الى أن تخرج على يده كثير من العلماء الدلائيين على ما سيأتي في الباب الثالث : وله مراسلات مع الدلائيين ، ومقامة أدبية وقصائد في مدح استاذة محمد بن أبي بكر الدلائلي . كما شد الرحلة الى المدينة الادريسية كثير من أقطاب الشيخ أبي بكر الدلائلي للاخذ عن الامام عبد القادر الفاسي حفيد الشيخ أبي المحاسن خصوصا في الوقت الذي كانت فاس خاضعة لنفوذ السلطان محمد الحاج الدلائلي . ومن أشهر المتخرجين على يد الشيخ عبد القادر الفاسي الطيب بن المستاوي الدلائلي مفتي الزاوية البكرية وفقهها الكبير . وبعد النكبة التي أصابت الدلائيين كثير عدد طلبتهم في زاوية القلبيين بفاس وكاتبهم وجدوها أشبه ما تكون بزاويتهم القديمة ، ففيها تعقد المجالس العلمية وحلقات الأذكار وتنشد الأشعار والموشحات والأزجال الصوفية . وإذا كانت الزاويتان الفاسية والدلائية تتحدان في سلوك نبج الشاذلية فإن أذكار الزاوية الدلائية تمتاز بالبساطة والسير مع ما يناسب موقعها في وسط البادية ومريدتها من أعراب تادلا ، وبرابرة زيان ، إذ لا يعقل أن يكلف هؤلاء بحفظ أحزاب الشاذلي والجزولي ووظيفة الشيخ وروق وغيرها من الأذكار المعقدة الطويلة ، بعكس الحال في زاوية فاس التي كانت تستقبل مريدتين متحضرين يتوفر عليهم على مبادئ علمية تؤهلهم لإدراك الأحزاب السابقة وغيرها من السبعات والعشرات . ولعل هذا مما تمتاز به الطريقة الشاذلية التي لاتعين أذكارا لمريدتها في كل مكان ولا تقيدهم حتى بقراءة الأحزاب التي وضعها الشاذلي نفسه تاركة للمشيوخ مجال الاختيار لما يناسب الحال ، فتعددت بذلك مظاهر هذه الطريقة واختلفت صيغ أذكار مريدتها لاتجمعهم الا سنة الرسول الكريم التي هي المبدأ الاساسي الذي لا يمكن انحيد عنه في هذه الطريق .

ج) الزاوية العياشية :

تسمى الزاوية العياشية اليوم زاوية سيدي حمزة ، وتقع في سفح جبل العياشي ، على ضفة أحد روافد وادي زيل بعيدة عن ميدلت بنحو 60 كلم جنوبا . أسسها محمد بن أبي بكر العياشي عام 1044/34 - 1035 بأشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائلي . وهو الذي أذن له في إطفاء الطعام بالزاوية ، وكان (محمد بن أبي بكر العياشي) يعطي الأوراد للناس ، ويقصدونه من القبائل البعيدة (60) ونحن وان لم نعر على ما يبين لنا هذه الأوراد التي

كانت تلقى في زاوية آيت عياش ، فاننا لانشك في أنها كانت قريبة مما يتلقاه المريدون في زاوية الدلاء . فشيوخ ابن أبي بكر العياشي كلهم شاذليون ، وأكثر إقامته كانت في الزاوية الدلائية ، أخذ فيها أولا عن الشيخ أبي بكر الدلائي ، ثم عن ابنه محمد من بعده كما سبقت الإشارة الى ذلك . وقد تكاثروا ووردوا على الزاوية العياشية حتى ضاق مسجدوها بالمصلين يوم الجمعة ، فوسعوه ، ووجدوا إنشاء عام 1066/55 - 1656 .

ولما آل أمر الزاوية العياشية الى أبي سالم العياشي أخذ يشتغل فيها بتدريس العلم . وسار على نهج والده في الاتصال بالدلائيين وتعظيمهم ، وله معهم مساجلات أدبية شعرية ونثرية ، ومراسلات علمية ، أهمها الاسئلة التي وجبها الى مفتي الزاوية البكرية الطيب بن المسناوي الدلائي وتلقى عنها أجوبة صافية (70) ولم تلتقط صلة العياشيين بالدلائيين حتى بعد تخريب زاوية الدلاء ، إذ نجد حمزة بن أبي سالم العياشي يأخذ العلم في فاس عن محمد المساوي الدلائي ، ويؤلف كتابا في ترجمته (71) وإلى حمزة لهذا تنسب الزاوية العياشية لأن عنايته بها كانت بالغة فعمل على تنشيط الحركة العلمية فيها ، وبذل كل ثروته في اقتناء الكتب واستنساخها . وكادت الزاوية العياشية تلقى نفس المسير المحزن الذي لقيته أختها بالدلاء ، فغرب السلطان الرشيد أهلها عنها الى فاس وتركها قاعا صفصفا كزاوية الدلاء ، وظل يصم أذنيه عن مراسلات العياشيين في الرجوع الى ديارهم . بعد أن استوخموا حاضرة المولى ادريس ، وكانوا يسكنون أخصاصا فوق حي الفخارين داخل باب الفتوح . لظلة ذات يدهم وعدم تعودهم على عيش المدن . وقد رجع آل عياش الى زاويتهم بأذن من السلطان اسماعيل بعيد توليه الملك في أوائل عام 1083/1672 . وما زال جبل العياشي يحتضن حتى اليوم هذه الحزاة العلمية العظيمة وهي بحق مفخرة كبيرة لبلاذنا ، وشاهد ناطق بساقيها العلمي المجيد ؛ وحيدا لو صرفت العناية الى تنظيمها وتيسير سبيل الاستفادة منها والكشف عن كنوزها النفيسة .

(70) أخرجه الاسئلة وأجوبتها في : سليمان الحوات البدور الضاوية . ورقة 1/166 الى
ورقة 1/170

(71) عند السلطان في سورة . دليل مؤرخ المغرب الأقصى . ص 202

الباب الثالث

الزاوية الدلائية باعتبارها مركزا علميا

1 - الأهمية العلمية للزاوية الدلائية

- (أ) العلوم التي كان يدرسها الدلائيون
- (ب) تفوق الدلائيين في اللغة وقواعدها

2 - أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

- (أ) محمد بن أبي بكر الدلائى
- (ب) بقية أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

3 - أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها

- (أ) أحمد بن القاضى
- (ب) أساتذة آخرون درسوا في الزاوية الدلائية

4 - تلاميذ الزاوية الدلائية

- (أ) الحسن اليوسى
- (ب) أحمد المقرئ
- (ج) العربى الفاسى
- (د) علماء آخرون تخرجوا في الزاوية الدلائية

1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّيْ اللَّهَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعَلَى

فَالْعَبْدُ الْخَفِيرُ الْبَائِسُ

الْقَبِيرُ عَبْدُ مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ

الصَّغِيرُ عَبْدُ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ

الْحَبِيرُ عَبْدُ اللَّهِ

سَيِّدُ مُحَمَّدٍ خَاتِمِ السَّيِّدِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الْبَيْتِ

الْحَبِيرُ عَبْدُ اللَّهِ خَاتِمِ السَّيِّدِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الْبَيْتِ

لِيَوْمِ قَاتِلِي وَأَقَاتِي

وَيَسْتَعِينُ الْمَعَارِجَ الْفَقَاتِ

إِلَى مَعَالِي الْعَرْشِ الْفَاتِ

وَاللَّهُ أَشَدُّ أَنْ يَجْعَلَ خَالِصًا لِحَبِيبِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَجْعَلَ

وَيَسْتَعِينُ يَوْمَ لَا مَنَافِعَ مَا وَلَا يَنْفَعُ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِشَيْءٍ

1 - الاهمية العلمية للزاوية الدلائية :

عنى الشيخ أبو بكر الدلائى بالعلم والعلماء عنايته بالتصوف والمريدين، واهتم بالغ الاهتمام بتعليم أبنائه الستة ، فكان منهم من يدرس على العلماء الوافدين على الزاوية الدلائية ومنهم من ينتقل الى مدينة فاس ليدرس فيها ولما اضطربت أحوال المغرب بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي (1) وانتشرت الفتن بسبب اختلاف أبنائه وتنازعهم على الملك ، أخذ الناس يفرون من المدن الى البادية ؛ وكانت الزاوية الدلائية من أحسن البقاع التى يلتجئ اليها العلماء حيث يجدون الطمانينة وراحة البال وينعمون بكرم ضيافة أهلها ، فيتفرغون للعلم وتدارسه . وقد حصل أبناء أبى بكر على بضاعة علمية غير مزجاة فتصدوا للتدريس فى زاويتهم وأقبل عليهم الطلاب من كل حدب وصوب .

ونطور أمر الزاوية الدلائية فى الثلث الثانى من القرن الحادى عشر الهجرى وكثرت فيها المدارس التى ازدحمت بالطلاب ، حتى كان يسكن فى البيت الواحد طالبان فاكتر (2) ينفق محمد بن أبى بكر عليهم جميعا ، وكان لطلبة العلم «بالمدرسة التى بازاء جامع الخطبة ألف وأربعمائة مسكن» (3) وتكاثر عدد العلماء المشتغلين بالتدريس فى مساجد الزاوية الدلائية سواء من أبناء الزاوية نفسها أو من العلماء الطارئين عليها ، وتكونت فيها خزانة كتب عظيمة شبيهها بعضهم بخزانة الحكم المستنصر بالاندلس «وجميعها عشرة آلاف سفر» (4) .

وقد أجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية للزاوية الدلائية على أنها بلغت فى هذا المضمار شأوا بعيدا ، وبذت فاسا فى تلك الفترة وفاقتها ، وقد قال الأستاذ عبد الله كنون فى هذا الصدد : «ان الثقافة الادبية واللغوية كانت فى الناحية التى درس فيها اليوسى أقوى منها فى فاس . بل اننا نقول ، ان الثقافة اللغوية المتينة التى كانت موجودة فى زاوية الدلاء ، حيث درس اليوسى هى التى أحييت ذماء الادب فى المغرب بعد عدم ...» (5)

(1) توفى المنصور الذهبي عام 1502/1503 .

(2) أحمد بن يعقوب الولاى . مباحث الانوار الورقات 1/7 و 25/ب و 33/ب مع الاشارة الى ان أحمد بن يعقوب هذا كان طالبا يسكن فى بيت مدرسى بالزاوية الدلائية .

(3) عبد السلام القادري ، تقايد تاريخية ص 11 .

(4) عبد السلام القادري ، تقايد تاريخية ص 11 .

(5) عبد الله كنون ، خل ويقل ، ص 275 .

١. العلوم التي كان يدرسها الدلائيون

اشتغل الدلائيون بكل ما كان معروفا لعهدهم من العلوم الدينية واللغوية والفلسفية ، وبرز منهم علماء أفذاذ في جميع الميادين وسأشير هنا إشارة خاطفة إلى كل صنف من أصناف الفنون التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية .

القراءات

اشتهر الشرقي بن أبي بكر الدلائى من بين اخوته بالتفوق في علم لغات وكان مختصا بتدريس هذا الفن في الزاوية الدلائية مع أنه كان يشارك في كثير من العلوم الأخرى ومجازا من قبل شيخه أبي حامد العربي المسمى إحازة عامة . فكان الشرقي يلقي الطلبة في التجويد ، ويعلمهم القراءات السبع ، ويدربهم على تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة متقنة . وقد وصفه الإمام أبو علي اليوسى بأنه قطب رحي المقرئين في المغرب في قصيدة يمدحه بها :

قطب الرحي في المقرئين هذا الأفق ويا نجل قطب كان في مقعد صدق
.. ولم يعلموا أن لو خلا الغرب كله من الخير كان الخير يرجي من الشرقي

التفسير

كان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى فارس هذا الميدان ، وله فيه سند عا يوصله بأكثر المؤلفين في تفسير القرآن الكريم ، عن طريق مجيزه الإمام أبو عبد الله القصار (٦) وغيره من شيوخه . وبذلك يروى جامع البيان في تفسير القرآن عن مؤلفه أبي جعفر محمد بن جرير الطبري و تفسير الكشاف عن جاز الله محمود بن عمر الزمخشري ، و تفسير الرازي عن مؤلفه فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، و تفسير الثعالبي عن أبي اسحاق محمد بن أحمد الثعالبي و تفسير البيضاوي عن ناصر الدين أبي محمد عبد الله بن عمر البيضاوي كما يروى بنفس الطريقة تفاسير أخرى (٧) .

وكان محمد بن أبي بكر الدلائى يرجع إلى هذه الكتب وغيرها لينتقى

محمد بن قاسم القصار - عالم فارس في التفسير والحديث والفقه لم يؤلف كتابا بالمرغم من سنة مائة ، وروى في طريقه إلى عراقكس عام ١٠١٢/١٠١٣ فعمل بها ودفن بها . باب لؤمة أبي العباس السبتي .

١. محمد بن أبي بكر الدلائى ، الفهرست ، ورقة ١/١ ب .

مدرسة التفسيرية العالية في مسجد الزاوية الدلائية بين العشائين فيحضرها
العلماء والطلبة على السواء ، وينطلق في أملائه وشرحه بما يبهر عقول
الحاضرين .

الحديث

يعتبر محمد بن أبي بكر الدلائي من أكبر حفاظ المغرب وأعلمهم بالسنة
مع الضبط والاتقان بحيث تصحح نسخ الكتب الستة (8) من فيه ولا سيما
الصحيحان (9) وهو يروي من طريق شيخه الامام القصار أيضا صحيح
البخاري وبقيت الكتب الستة وموطأ الامام مالك ، ومسنده الامام أحمد بن حنبل ،
وشفا القاضي عياض وسائر منصفاف الحديث الشريف . وكانت مجالسه
الحديثية عظيمة الشأن يحضرها الى جانب الطلبة العلماء على اختلاف طبقاتهم
وحديثاتهم . ويذكر لنا أبو حامد محمد العربي الفاسي أنه حضر أحد هذه
المجالس لقراءة البخاري يوم الاثنين سادس رمضان المعظم عام 1043/1034 وقد
طال المجلس من قبل صلاة الظهر الى غروب الشمس عدا وقت الفريضة (10) .
وناهيك بدرس يستغرق القاؤه نصف يوم ! وأعظم بشيخ يستطيع أن يملأ
طوال هذه الساعات في مجلس يضم أمثال محمد العربي الفاسي ! وذلك كان
دأب ابن أبي بكر دائما ، يدرس صحيح الامام البخاري ويختمه كل سنة ،
ويحتفل بيوم الختم احتفالا كبيرا يحضره العلماء من البلدان البعيدة وينظم
الشعراء القصائد وتقدم فيه صنوف الأطعمة (11) .

وقد كان أخوا الشيخ محمد بن أبي بكر ، عبد الكريم ومحمد الخديم
الدلائيان محدثين حافظين كذلك ، فأكما بدورهما على تدريس مصطلح الحديث
وكتب السنة للطلبة ، وتخرج على يدهما كثير منهم .

التوحيد والفقه والاصول

اشتغل كثير من علماء الدلاء بالتوحيد والفقه وأصوله ، وكانوا يقومون

(8) الكتب الستة من صحيح الامام أبي عبد الله البخاري ومسلم النيسابوري ، وابن ماجه القزويني ، وأبي داود السجستاني ، وأبي عيسى الترمذي ، وأبي عبد الرحمن النسائي .

(9) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ورقة 51/ب

(10) نقله عن خط أبي حامد الفاسي . سليمان الحوات في البدور الضاوية ورقة 103/أ

(11) نقله عن الخط القضايد التي قبلت في ختم البخاري بالزاوية الدلائية في ملحق رقم 9

على تدريسها في زاويتهم مع الفنون الأخرى . ومن الكتب التي كانوا يعتنون بها في هذه المادة **جمع الجوامع** لتاج الدين السبكي . و **ورقات امام الحرمين** . و **المختصر** للشيخ خليل بن اسحاق المالكي . و **مختصر ابن الحاجب** . و **عقائد الامام السنوسي** لاسيما **العقيدة الكبرى** . وأشهر فقهاء الزاوية الدلائية وآخرهم هو الطيب بن المستاوي بن محمد بن أبي بكر امام المنقول والمعقول الذي كان يرجع اليه علماء عصره فيما يحدث من المشاكل الفقهية ويستفتونه في النوازل الطارئة . وقد تقدمت الإشارة في الباب الثاني الى الاسئلة التي وجبنا اليه الرحالة أبو سالم فقيه الزاوية العياشية وأديبها وهي تتعلق بمسائل أشكل عليه أمرها بعضها في فن الاصول من كتاب جلال الدين المحلي

التصوف

اشتهر عالمان دلائيان بتدريس التصوف وتربية الاذواق وهما الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائلي وأخوه عبد الرحمن . ومن كتب هذا الفن التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية رسالة **القشيري** . و **حكم ابن عطاء الله** . و **أحزاب الساذلي** . وألف محمد الخديم الدلائلي كتابا في التصوف كما يأتي في الباب السابع .

المنطق والتوقيت

اهتم الدلائليون بدراسة هاتين المادتين وأتقنهما كثير من علمائهم وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائلي الذي أخذهما عن الامام أحمد بن الفاضل . ومن الكتب التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية **مختصر السنوسي** في المنطق الذي جعل له الحسن البيوسي شرحا كبيرا . و **روضة الازهار** للجادري في التوقيت .

ب) تفوق الدلائيين في اللغة وقواعدها

لعل أهم فن تفرق فيه الدلائليون وبذوا فيه معاصريهم هو قواعد اللغة العربية التي كان لها الحظ الاوفر في حلقاتهم العلمية . وتفوق الاعاجم على العرب في هذا الميدان ظاهرة قديمة عرفت منذ العصر الاول لجمع اللغة وتكوينها . فابو عبيدة وأبو عبيد بن سلام . وحماد الراوية وخلف الاحمر وغيرهم من رواة الشعر الفدائي كلهم من الموال وكذلك كان سبويه والكسائي والفراء وابن السكيت وغيرهم من لحاة البصرة والكوفة . و **القاموس المحيط** الذي يرجع اليه اللغويون في العربية حتى يومنا هذا هو من تأليف مجد الدين الفيروزيادي الفارسي . وقد أقبل الاعاجم المسلمون على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والدين . وجدوا في تعلمها وتعليمها لغابتها عليهم وتفوقوا في

ذلك على العرب الذين كانوا يعتبرون أن العربية لغتهم الأصلية ولا حاجة إلى معاناة دراستها وتدوينها . ومن أشهر نحاة الدلائيين أبو العباس أحمد الحارثي ابن أبي بكر الدلائي الذي كان يداوم على اقراء **كتاب سيبويه** طول عمره ، والشاذلي بن محمد بن أبي بكر الذي كان متفرغا في دروسه لمادتي النحو واللغة . حتى قيل انه أقرأ **ألفية ابن مالك** مائة مرة ، و **مقامات الحريري** ثلاثين مرة يختمها كلها من أولها إلى آخرها ، ومن الكتب التي كانت تدرس بالزاوية الدلالية أيضا **كتابا المغني والتوضيح** لابن هشام ، و **الكامل للمبرد** ، و **الامالي** لابن علي القالي ، و **مختصر العين** لابن بكر الزبيدي ، و **الكافية** ، و **التسهيل** لابن مالك ، و **الكافية** ، و **الشافعية** لابن الحاجب . ويعد محمد الم رابط بن محمد بن أبي بكر الدلائي سيد قومه في هذا الباب فهو صاحب المجالس النحوية العالية التي كان يحضرها أمثال الحسن البيوسي وأحمد بن عبد القادر القادري وغيرهما من أكابر العلماء .

البلاغة والادب

يكاد يكون جميع علماء الدلاء من رجال الادب ، فهم يحسنون الانشاء والترسل ويحيدون قرض الشعر . وكان كثير منهم يلقن لطلبته دروسا أدبية في الكتب المتعارفة آنذاك مثل **المقامات الحريرية** و **الدواوين الشعرية** . كما كان أبو عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي يقوم بتدريس كتاب **تلخيص المفتاح** للمخطيب القرظي . وقد ذكر أحمد بن يعقوب الولاي انه كان يدرس مع زملائه الطلبة على الامام الحسن البيوسي في الزاوية الدلالية علوم البيان ، والمنطق ، والفقه ، والأصليين ، دون أن يذكر الكتب التي كانوا يدرسونها (12) .

2 - اساتذة الزاوية الدلالية من أبنائها

عرفت الزاوية الدلالية كثيرا من العلماء الذين انتصبوا للتدريس فيها . ونجد عند المؤرخين المعاصرين للزاوية ما ينمى عن وفرة العلماء فيها أسماء ازدهارها . غير أنه لا يمكننا تحديد عدد المدرسين لعدم افصاح المصادر عن أسماء الكثيرين منهم . وسأورد هنا تراجم مختصرة لبعض من قاموا بالتدريس في الزاوية الدلالية متحدثا أولا عن العلماء الدلائيين بأسطا القول قليلا في ترجمة محمد بن أبي بكر الدلائي ، ثم أخلص لذكر العلماء الذين وفدوا من فاس ومراكش وغيرهما على الزاوية الدلالية وأقاموا فيها للتدريس وأبسط القول كذلك قليلا في ترجمة أحمد بن القاضي .

(1) محمد بن أبي بكر الدلالي

أبو عبد الله محمد - بفتح الميم - ابن أبي بكر بن محمد بن سعيد
المحاطي الصنهاجي الدلالي ، واسطة عقد الأسرة وعالمها الكبير الذي جلب لها
الشهرة وخاتمة مشايخ المغرب ، انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا واستقل
سياسة الأمور الجديلة والرتب العليا . عالم حافظ ، ذاك متوسع في علم
التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفي غيرها ، رصين
العقل شديد الرأي جميل المعاشرة مراع لحقوق الصحبة ، كريم النفس عالي
الهمة ، فياض العطاء واسع المعروف . لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في ديوان
مستقل ، لم يجمع منها إلا ما يندر ويقل ، ولو صنف من أنواعها أصنافاً ، وألف
من أعدادها آلافاً ... (13)

ولد محمد بن أبي بكر بالدلاء - تقريباً - عام 1559/967 وحفظ القرآن
الكريم وأتقن رسمه وتجويده في العقد الأول من عمره ، وقرأ على والده
عباد بن العربية وأحكام الدين ، ثم أخذ عن العلماء الوافدين على الزاوية البكرية
فدرس على أبي العباس أحمد بن القاضي الحساب ، والتوقيت ، وما كان
يعرف آنذاك بالعلوم الأدبية الثمانية ، وهي اللغة ، والنحو ، والتصريف ،
والعروض ، والقوافي ، وصناعة الشعر ، وأخبار العرب وأنسابها . ومن أهم
الكتب التي قرأها محمد بن أبي بكر الدلالي على ابن القاضي **المفني** لابن هشام ،
و **الكامل** للمبرد ، و **الأمالي** لأبي علي القائي ، و **مختصر العين** لأبي بكر
الزبيدي ، و **كتاب القلصادي** في الحساب و **روضة الأزهار** للجادي . وأخذ عن
أبي علي الحسن الدرعي . المعروف بالدروي الفقه والاصلين (14) والمنطقي
والبيان . في كتب **جمع الجوامع** للسبكي ، و **عقائد السنوسي** ومختصره في
المنطق . وتزوج محمد بن أبي بكر الدلالي مبكراً مصهراً إلى أسرة الشرفاء
الشيوخيين المعروفين بجمال الخلق والخلق والذين اشتهر منهم علماء وأدباء
حظوا برتب سامية في بلاط المرينيين ومن بعدهم . وقد ذكر ابن الأحمر (15)
في **تسير الجمان** نسب الشيوخيين و ترجم لأديب منهم يسمى محمد بن يوسف
ونقل عنه ذلك أحمد المقرئ في **أزهار الرياض** فقال : «وأقارب هذا الشريف
لم يزلوا إلى الآن وأهم مصاهرة مع ولينا الفقيه المحدث ، الحاج الرحالة البركة

(13) العربي السبي ، مرآة المحاسن ، ص 144 .

(14) المرآة بالاصلين ، الدلائل وأصول اللغة .

(15) أبو الجوزة اسماعيل بن الأمير أبي الحجاج يوسف بن الأحمر المتوفى عام 1404/807 وثب
كتابه **تسير الجمان** على قسمين قسم في أخبار المغرب وقسم في أخبار الأندلس .
وخصص باباً في تسير كتاب أبي حريز .

المدة الصالح الناصح أبي عبد الله سيدي محمد بن الولي الصالح سيدي أبي بكر بن محمد صاحب الدلاء (16) أبقى الله علاهم ، وأعانهم على ما أولاهم» (17) وقد رحل محمد بن أبي بكر الدلائي للقاء شيوخ التصوف بمختلف أنحاء المغرب والأندلس ، فالتقى بمحمد بن مبارك بناسنات (18) وبعبد الله بن حسن بن سلا ، وبعبد الله الملواني بتاغيا (19) وبأبي عبيد محمد الشرقي في أبي الجعد وسلك على يدهم طريق القوم متدرجا في مراقبي الكمال الروحي . ثم توجه إلى الحج عام 1005 فلقى بالفاخرة الشيخ محمد زين العابدين البكري (20) ولارمه طيلة المدة التي قضاها في مصر وأفاد منه كثيرا ، ثم بعد رجوعه من الشرق سافر إلى فاس وأخذ عن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي عهد الساذلية ، وحضر مجالس الإمام محمد بن قاسم القصار في التفسير والحديث والتصوف . ويطول بنا الكلام لو تعرضنا لذكر كل ما أخذه ابن أبي بكر الدلائي عن القصار ، ونكتفي بالإشارة إلى أنه نال منه اجازة عامة (21) وروى عنه بالسند المتسلسل المتصل بالمؤلفين أحد عشر تفسيراً للقرآن الكريم ، والكتب الستة وسائر مصنفات الحديث وغير ذلك من المؤلفات التي تشمل عليها فهرست الإمام القصار (22) . ورجع محمد بن أبي بكر في أواخر عام 1012/1013م إلى الدلاء عالما عاملا صالحا مصلحا ، فنصدي للتدريس بالزاوية ، إلى جانب أخوته الخمسة وغيرهم من العلماء الوافدين ، وأسهم بدوره في افادة الطلاب الذين تكاثروا عندهم اذذاك بالزاوية حتى ضاقت بهم بيوت المدارس .

وخلف محمد بن أبي بكر أباه بعد موته عام 1021/1022 في القيام بشؤون الزاوية البكرية . فسار على نهجه في اطعام الطعام ، واکرام العلماء

(16) تلقى المصححون المنتدبون من قبل لجنة المؤلفات والنشر بالفاخرة لتحقيق كتاب **أزهار الرياض** في الثماني (ج 1 ، ص 294) على كلمة (الدلاء) بقولهم «كذا وردت هذه الكلمة في الأصلين ولم تفهم المراد منها ولم نعلم على مرجع آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الأحمر ليعارض به هذا النص» وهكذا نرى نتيجة الاصل الذي لحق الدلائيين مع ما كان لهم من العلم والجاه فحسب لهم اشفاقهم بالمغرب واكرام اخوانهم بالشرق .

(17) أحمد المقرئ ، **أزهار الرياض** ج 1 ، ص 294 .

(18) ناسنات قرية جبلية تقع بجنوبي ومارس ، في طريق وادي زم وتبعد عنه بنحو (6) كلم .

(19) تاغيا المراد بها قرية ملوان الواقعة في آيت حديدو فوق مبدلت ، وليس المراد تاغيا المشهورة اليوم التي فيها ضريح مولاي بوعزة بين وادي زم وولجاس .

(20) الشيخ أبو السرور محمد زين العابدين البكري الحيدري شيخ الطريقة الساذلية بمصر توفي عام 1007/1008 .

(21) أنظر نص الاجازة في ملحق رقم 6 .

(22) توجده فهرست الإمام القصار مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 71 ج

والنفس ، وسعى مثله في تهذيب الاخلاق ، وترقية الاذواق مجتهدا في اصلاح الاحوال العامة بالانتصار للمستضعفين من قومه وجيرته ، وانصافهم من الظالمين المتغلبين عليهم من ذوي قرابتهم ، فأصابه من شرور الفتنة وعنت البغي ما جعله يبتعد عن الدلاء مدة مهاجرا الى تاغيا ، ولكنه لم يستسلم وظل ينشد العدل والامن ، مستعملا طرق الترغيب والترهيب تارة ، وملتجئا الى حد السيف أحيانا ، الى أن خضدت شوكة الفئة الباغية وسادت الطمانينة لهم نادلا والاطلس المتوسط . وتوسع محمد بن أبي بكر كثيرا في تشجيع العلوم بالزاوية البكرية ، وشيد بها مدارس جديدة لايواء الطلبة المتكاثرين ، ربح عدد غير قليل من أحفاد أبي بكر الدلائي وتخرجوا من زاويتهم علماء زوايا وسعراء وأقبلوا بدورهم على التدريس فيها ، فقامت في هذه القرية الجبلية النائية ، الآمنة المطمئنة سوق علمية نافقة رابحة ، في الوقت الذي كان فيه فاس ومراكش وغيرهما من المدن العلمية التقليدية تعاني من ضروب الجن وأحوال الفتن ألوانا ، حتى تعطلت صلاة الجمعة في القرويين فضلا عن مجالس العلم . وظلت الزاوية الدلائية في هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب تقوم بدورها المشرف في احتضان الثقافة العربية ، والمحافظة على التراث العلمي والدني . فوسع صدرها الرحب للعلماء والطلاب من مختلف الآفاق وتنفق من سعيها بغير حساب .

وإذا كان محمد بن أبي بكر درس علوما كثيرة ، عقلية ونقلية كما رأينا ، فانه برز في التفسير والحديث ، حتى كادت مجالسه العلمية تقتصر عليهما ، وكان يحفظ صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن وغيرها ، ويعرف الروايات المختلفة ورجال الاسانيد مع كثير من الضبط والتحري والصدق وعدم المبالاة في الجبر بالحق ، وهو القائل عن محدثي زمانه : «حفاظ المغرب ثلاثة : حافظ ثقة ، هو أحمد بن يوسف الفاسي . وحافظ ضابط غير ثقة ، وهو أحمد القرني . وحافظ غير ضابط ولا ثقة وهو عبد الله بن طاهر الحسني» (23) وقد تناول الناس هذا الحكم بالتعليق ، واستغل به المؤرخون والمحدثون فكتبوا في تأييده أو الرد عنه صفحات عدة في مؤلفاتهم الى عصرنا الحاضر ، دون أن يجروا احدا منهم على الغرض من ابن أبي بكر أو النيل من ثقته وعدالته . ويمتاز محمد

ذكر هذه العبارة جل من ترجم لابن أبي بكر ، كالفادري في ثمر الثاني ج 1 ص 165 وقد سبق التعريف بأحمد الفاسي ، وستأتي ترجمة القرني . أما عبد الله بن طاهر الحسني فهو المحدث الحافظ تلميذ الامام القصار ورفيق الشيخ ابن أبي بكر الدلائي في الطلب ، توفي عام 1044/1634 ودفن في بلاده مدغرة من أعمال سجلماسة وينسب الى مدينته قبة . ارجع في موضوع مقالة ابن أبي بكر الدلائي في حفاظ زمانه الى الكتابي ، فهرس الفهارس ، 1 : 296 - 300

ابن أبي بكر أيضا بفصاحة العبارة وسلاسة الأسلوب والقدرة على الانطلاق في الحديث ، والاستمرار في الاملاء والتقارير ، حتى كان درسه أحيانا يستغرق نصف يوم ، دون أن يشعر المستمعون اليه بسأم أو ملل . ويمكننا أن نعرف قيمة هذه الدروس إذا علمنا أن ممن كان يحضرها ويستفيد منها أحمد المقرئ ، وأبو حامد العربي الفاسي ، وعبد الواحد بن عاشر ، ومحمد البوعناني ، وعلي ابن عبد الواحد الأنصاري السلاوي ، ومحمد المرابط ، وغيرهم من أعلام العلماء وأكابر المؤلفين . ولم يكن تكوين ابن أبي بكر من النوع العادي القاصر على مجرد الرواية والتحمل والحفظ الآلي ، وإنما كان تكويننا حقيقيا أعطاه شخصية علمية مستقلة ، جعلته يكون لنفسه طريقة خاصة في فهم الحديث ، ويرجع إلى أصوله الأصيلة ، سالكاً سبيل المحدثين الأولين في انتقاد الرواية ورجائها ، وتعديلهم وتجريحهم والعمل على استخراج الأحكام الفقهية من الكتاب والسنة . وقد أعطى من القدوة على إقامة الأدلة ما كان يصل به إلى الاستنباط من مسالك اللغة فتكاملت عنده أدوات الاجتهاد ، التي يجب عليها في تحقيق المناط وتحقيق الاعتماد . حتى كان لا يشق له غبار في المباحثة والمناظرة ، ولا يعبر له غيب في المذاكرة والمحاضرة (24) .

وقد رأينا عرضاً في البابين السابقين جوانب متعددة من شخصية هذا العالم الصالح . وعرفنا شيئاً عن كرمه ومواظبته على تدريس صحيح البخاري في مسجد الدلاء واحتفاله بالمولد النبوي الشريف ، وسنقف على جوانب أخرى من شخصيته في الأبواب التالية ، غير أنه ينبغي ألا يفوتنا هنا أن نعرض بإيجاز لما كان عليه من رقة الطبع ودقة الاحساس وعمق الشعور . ومن بليغ تأثره بالمواعظ ما حكاه عنه تلميذه أحمد بن يعقوب الواللي بقوله : وحضرته يوماً تقرأ بين يديه همزية البوصيري - شكر الله له معييه - صبيحة يوم المولد النبوي أو سابعه . وقد بلغ من ينشدها إلى حيث ذكر الصالحين وأنه يحاول أن يصل إليهم وقد فاقوه مع كبر سنه (25) فجعل يبكي رحمه الله بكاء شديداً حتى بكى لبكائه من حدوه . ثم غلبه حاله فقام يذهب

(24) سليمان الخوات ، البدور الضاوية ، ورقة 50 ب .

(25) لعله يشير إلى أبيات الحمزية التالية :

كنت في نومة الشباب فما استيقظت إلا ولمتني شيطان
وتعديت أفتنى أثر القنوم فطالت حسافة واقنوماء
فورا السائرين وهو أمامي ليل وعمره وأرض عراء

حافيا . وما شاء الناس الى منزله . . . (26) . وقد ازداد طبع محمد بن أبي بكر الدلاني رقة في سنيه الاخيرة وأخذ يكثر من الانصات الى السماع (27) ويتأثر به غاية التأثير فبلغ ذلك شيخه أحمد بن القاضي فكتب اليه :

عهدك ما تصبو وفيك شبيهة فمالك بعد السيب أصبحت صابيا

فاجابه محمد بن أبي بكر بقوله :

عم لاج برق الحسن فاختطف الحشا فليبتسه من بعد ما كنت آيبا

ولما دنا أجل محمد بن أبي بكر الدلاني جمع أولاده بين يديه وكان يستمر من بعضهم الاستشفاف الى الامارة والجاه . وأوصاهم بعدم الانسياق مع الأهواء . والجري وراء الأطماع . وقال لهم : ان الله عز وجل أخبر عن قول طالوت لقومه : ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه وانه غي الا من اغترف غرفة بيده (28) وأنا أقول ولو من اغترف غرفة بيده . ولم يؤلف محمد بن أبي بكر الدلاني على ما كان عليه من علم وتحقيق الا كتابا جمع فيه أربعين حديثا نبويا . رغبة في نيل الثواب الوارد في ذلك . ومماثل مختلفة من أصول الفقه وفروعه بعث بها الى تلميذه أحمد المقرئ بالمشرق . شأنه في ذلك شأن شيخه الامام القصار الذي لم يترك بعد وفاته الا تلاميذ في ورقات بعث بوزنها ذهبيا على ما قيل .

وتوفي محمد بن أبي بكر يوم الاربعاء 11 رجب عام 1046/10 دجنبر 1036 من سن تنازع الثمانين . ودفن ضحى الغد الخميس قرب روضة والده بالدلاء وشيد على ضريحه الملك السعدي محمد الشيخ بن زيدان (1045 - 1063/1070 - 1053) قبة حسنة بعث لبنائها من مراكش وصيغه الامين مبارك السوسي مرودا بالمال والمواد اللازمة ومعها عدد من العمال والصناع . فبنيت على أحسن ما يمكن من النسيق والتزيين والتزييق (29) وكتبت بأعلى مشهد الدربوز ملك من نظم الاديب محمد بن سعيد السوسي المرغتي . وهي :

هذا ضريح التقى والمنجد والكرم هذا الولي الوفي للعهد والذم
هذا المحب لأهل الله قاطبة محمد بن أبي بكر الرضوي العلم

أحمد بن يعقوب الولاى . مباحث الأنوار . ورقة 59/أ
المراد بالسماع الأشعار والموشحات والأزجال التي تنشد ملحنة على حسب الطبع الموسيقية .
سورة البقرة . الآية 247
ملخص الحوات . الدور الضاوية . ورقة 101/ب .

له سار في رجب لله عام مشوا (30) به الى جنة الرضوان والنعم
من اجل ذاك عام في تسييد روضته محمد الشيخ مولى العرب والعجم
وقد تهدم سقف هذه القببة ، ولم يبق منها اليوم الا جدرانها العارية من الجص ،
سار ليائها الحبر افقية في الجدران ، وقائمة او منحرفة في أقواس الابواب
برجوة في جياتها الأربع . وبوسطها ساريتان مربعتان ، بينما يوجد القبر
بجوارها كسائر القبور العادية مغطى ببقايا القرميد الاخضر الذي كان يزين أعلى
القببة . وقد قيلت في مدح محمد بن أبي بكر الدلائي قصائد شعرية وقطع
سرية لوجعت لكونت ديوانا أدبيا ضخما (31) .

ب) بقية أساندة الزاوية الدلالية من أبنائها :

عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي

من أحد العلماء النابغين في العهد الاول للزاوية الدلالية وفيها أخذ العلم
عن أبي علي الحسن بن أحمد الدرعي الشخير بالدرعي وأبي العباس أحمد بن
محمد بن القاضي الكناسي وذلك قبل أن يرأس الى فاس ليأخذ عن الامام
محمد بن قاسم القصار ويدرس عليه التفسير والحديث وغيرهما ويثاب منه
إجازة عامة . وقد رجع عبد الرحمن الى الدلاء عالما كبيرا فتصدر للتدريس
واقبل عليه الطلبة من أبناء الزاوية وغيرها . وكان يدرس لهم التفسير ،
والحديث وعلم الكلام والفقه ، وأصوله والنحو ، والتصوف . ولا نعرف الكتب
التي كان يعتمد عليها عبد الرحمن الدلائي في هذه المواد ، غير أنها في الغالب
لا تخرج عن الكتب المتداولة في الزاوية مما أشرنا اليه في الفصل السابق
وكان عبد الرحمن ناسكا سالكا سبيل والده في الزهد والاعراض عن الدنيا ،
والطبع في آخر حياته لعادة ربه في حلوة خارج الزاوية . وبها توفي عام

(30) عنه عروف كلمة (مصر) بحساب الجمل 1046 . ان الشين بالف ، والميم بأربعين والواو
بستة . والتواريخ الشعرية تبني غالبا على هذا الحساب الابجدي البسيط

(31) توضح محمد بن أبي بكر للمصنف أبو حامد الفاسي في مرآة المعاسن ص 223 - 227 . ومحمد
الأفراسي في الصفوة ص 67 - 68 . ومحمد القادري في نشر الثاني / ج 1 ، ص 170
وما بعدها . وسليمان الحوات في البدور الضاوية بإسهاب من ورقة 25 / ب الى ورقة 101 / ب
ومحمد بن أحمد الفاسي . شرح درة التيجان . مخطوطة ج . ح . رقم 1433 في 7-8
والكناسي في فهرس الفهارس ، ص 204 وما بعدها . وأخبار محمد بن أبي بكر الدلائي
منقولة في أكثر الكتب التي ألف في القرون الثلاثة الأخيرة .

انظر قصيدة مدح بها العربي الفاسي شيخه محمد بن أبي بكر في ملحق رقم 9

توفي الم رابط الدلائي بفاس عام 1089/1078 (35).

أحمد الجارثي بن أبي بكر الدلائي

هو أحد نحاة الزاوية ولغويينها . قضى حياة الطلب كلها في الدلاء آخذاً عن علماء فومعه ، وعن الموافدين على زاويتهم مثل أحمد ابن القاضي ، وأحمد بن عمران الفاسي ، وعلى بن عبد الواحد الانصاري السلوي ، وأبي حامد العربي الفاسي . وقد أجازوه هذا الأخير اجازة عامة (36) «وكانت له اليد الطولى في التاريخ ، والحساب ، واللغة ، والبيان ، والادب والاصول ، والفقه والحديث» (37) . غير أن النحو واللغة غلبا عليه ، فكان يقرئ كتاب سبويه طول عمره كما رأيناه في الفصل السابق وألف في الاصول شرحاً على مختصر ابن الحاجب ، وترك تقايد كثيرة في التفسير والحديث . وتوفي بالدلاء عام 1051/1041 .

المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي

هو أبو عبد الله محمد المسناوي «الفقيه المحدث الاستاذ الكبير» ، الوارد من حياض المجد منها يروي ويصير» (38) نشأ في الدلاء ثم انتقل الى فاس قبل ان يبلغ الحلم ، وأكب فيها على تحصيل العلوم بجد واجتهاد آخذاً عن الامام محمد القصار ، وعبد الواحد بن عاشر الانصاري وغيرهما . ولم يرجع الى الزاوية الدلائية الا وهو عالم بارع في الفقه ، والاصول ، والتفسير ، والحديث ، وعلم الكلام ، والقراءات ، واللغة ، والنحو ، والادب ، فأخذ يلقن هذه العلوم لتلاميذ الزاوية . وأقبل عليه طلاب العلم اقبالا كبيرا الى أن قتل غدرا خارج الزاوية عام 1050/1049 . وقيل في فيه مرات كثيرة ، منها مريية ولده الطيب التي مطلعها :

غوائل هذا الدهر مرهوبة الفتك فان سر في حين فأكشره مبك (39)

(35) ترجم أحمد الم رابط الدلائي محمد القادري في نشر الثاني ، 2 : 33 . وسليمان الحوات في الدور الضاوية ، من ورقة 133 الى ورقة 164 . ومحمد بن جعفر الكتاني ، سلسلة الانفاس ، (4 : 90) وما بعدها .

(36) انظر نص الاجازة في سليمان الحوات ، الدور الضاوية ، ورقة 102/ب

(37) نفس المصدر في نفس الورقة .

(38) محمد بن الطيب القادري ، نشر الثاني ، ص 190 .

(39) انظر ترجمة المسناوي ومرييته في : سليمان الحوات الدور الضاوية من ورقة 123/2هـ الى ورقة 123/3 ومحمد القادري ، نشر الثاني ، ص 190 .

أبو عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي

علامة أديب ، تم تكوينه العلمي بالزواوية الدلائية على يد علماء قومه وغيرهم ، كأحمد بن عمران وأبي حامد العربي الفاسي . كان أبو عمر عالما مشاركاً في الحديث ، والفقه ، والأصليين ، والنحو ، والبلاغة ، والأدب . ودرس كل هذه الفنون بزاوريتهم ، غير أنه كثيراً ما كان يدرس لتلاميذه كتب تلخيص المفتاح ، و جمع الجوامع ، و ألفية ابن مالك ، كما رأينا في الفصل السابق . وله آثار نثرية وشعرية كثيرة تدل على رسوخ قدمه في ميدان الأدب . توفي أبو عمر بالزواوية الدلائية عام 1069/1658 (40)

أحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي

عالم أديب ، درس في الزواوية الدلائية على علمائها المتوافرين دون أن يرحلها ، ثم اشتغل بالتدريس فيها . كان مؤسس الحال ، عظيم الخاء ، يتقلب في رغد العيش وينعم بالحياة المترفة الى جانب أخيه السلطان محمد الحاج ، متخذاً بطانته من أدباء الزاوية وشعرائها ، الى أن زارهم الشيخ محمد بن عبد الله السوسى (41) عام 1071 هـ / 1663 في طريقه الى حج بيت الله الحرام ، فأخذ عنه أحمد الدلائي وصلاح حاله ، ورق قلبه ، وأعرض عن الدنيا وزخرفها الى أن مات بالدلاء عام 1075/1665 (42)

الطيب بن المسناوى الدلائي

« كان اماماً كبيراً ، وأديباً ماهراً شاعراً ، وعالماً عاملاً ، وفاضلاً كاملاً » (43) درس في الدلاء أولاً على أبيه وأعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزواوية

(40) توجد ترجمة أبي عمر وبعض رسائله وتضائده في : سليمان الخواتم الهدور الضاوية ، من ورقة 1/128 الى نهاية ورقة 1/30 ب .

(41) الشيخ محمد بن عبد الله السوسى اشتهر أمر ولايته بمراكش ، وبنى به الى السعديين فأوقفوه عن نشاطه الصوفى ، ثم توجه الى اليقاع المقدسة للمعجزة فيها ، ودرس في طريقه بالزواوية الدلائية فأقام تحت سلطانيها محمد الحاج عشرة أيام . وفيه ألف أحمد بن يعقوب الولالى كتابه مباحث الانوار في أخبار بعض الاخيار . وتوفي الشيخ محمد السوسى سنة 1079/1668

(42) ترجم لاحمد الدلائي محمد بن يعقوب الولالى في مباحث الانوار ، ورقة 33/ب . وسليمان

الخواتم في الهدور الضاوية ، ورقة 1/165

(43) محمد القادري ، نشر الثاني ، ج 1 ، ص 264

كان شيخ حدود الأبار ، ومحمد بن سودة ، ومحمد العربي الفاسي وغيرهم .
ثم بعد الرحلة إلى فاس وهي إذ ذاك خاضعة لنفوذ الدلائيين ، فأقام فيها معززا
مكرما واحداً عن علمائها . خصوصاً منهم الشيخ عبد القادر الفاسي . وطال
مقام الطبيب الدلائي بفاس إلى أن تمكن من المعارف تمكننا متينا فرجع إلى الزاوية
الدلائية . وتصدر للتدريس والفتوى . وازدهم الطلبة على حلقاته العلمية .
ولم يقصر براعته على الناحية الفقهية الدينية وإنما كان إلى ذلك أديبا ماعرا
بعد الانتشاء ، طوّل النفس في الشعر تصل إحدى قصائده إلى 175 بيتا مع
مئة لغوة وسمو تمكير ورقة أسلوب . توفي الطبيب بالذلاء عام 1077/1080 .
ورثاه أبو العباس أحمد بن عبد القادر التاستاوتي بقصيدة حزينة مطلعها :

اليوم أن المدمعي أن يهيمعا ولميجتي بالوجد أن تنقطعاً (44)

الشرقي بن أبي بكر الدلائي

هو أحد أعلام الدلائيين المشاركين في مختلف الفنون ، الجامعين بين
العلم والدين والأدب . كانت دراسته كلها بالزاوية الدلائية على علماء قومه
وغيرهم . وأجازته أبو حامد محمد العربي الفاسي إجازة عامة . واختص من بين
أساتذة الزاوية كما رأينا في الفصل السابق بتدريس علم القراءات والنجويد .
وهو يفتن إلى جانب ذلك اللغة . والنحو . والبلاغة . والأدب . والتاريخ .
والطبل . والتفسير . وألف في السيرة والبلاغة كما سيأتي في الباب الأخير .
وتترك آثاراً أدبية رفيعة . وكانت وفاته بالذلاء عام 1079/1068 (45)

الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي

كان أعجوبة الزمان ، في الحفظ والاتقان ، يجيد الشعر ، ويسرع في
الشعر (46) قرأ في الزاوية الدلائية وحدهما على علمائها من أهله وغيرهم .
الأمام أبي حامد الفاسي . والشيخ أبي العباس بن عمران . وتبع في اللغة
وبواعدها وآدابها . وكرس حياته لتدريس الفقه ابن مالك ، ومقامات الحريري
حتى قيل أنه أقرأ الأولى مائة مرة والثانية ثلاثين مرة كما رأينا . وقد خرج

(44) انظر ترجمة الطبيب الدلائي وبعض آثاره الشعرية والشعرية وما قيل فيه من رثاء في
سليمان البحرات البذور الفاوية من ورقة 107/ب إلى ورقة 118/أ .
(45) انظر الشرقي محمد القادري في نشر الثاني ص 127 . وسليمان البحرات في البذور
الفاوية . ورقة 108/أ . ومحمد الكتاني في سلوة الأنفاس ج 2 ، ص 94 وما بعدها
(46) محمد القادري . نشر الثاني ، ج 2 ، ص 135 .

الشاذلي مع قومه بعد تخريب الزاوية الدلائية الى فاس ودرس بها فتخرج على يده علماء كثيرون ، منهم الاخوان القادريان عبد السلام والعربي ، وادريس المنجرة . وخلف الشاذلي أخاه محمد الم رابط في الخطابة بالمدرسة البوعنانية ، وفيها كان يلقي أكثر دروسه منصدا للافتاء وإبداء النظر في المشاكل الفقهية والنوازل العويصة ، ثم تخلى عن هذه الخطة تورعا منه ، ومات بفاس عام 1691/1103 (47) .

محمد بن الشاذلي

أديب بليغ وعالم مشارك ، تكون على يد علماء الزاوية الدلائية ثم درس فيها أيام عمه السلطان محمد الحاج . وكان ميله الكبير الى علوم البلاغة والادب ، وله قلم بارع في الترسيل ورقة متناهية في الشعر . ولما أخرج مع قومه من الزاوية الدلائية بقي يحزن اليها طول عمره ، ويتنقل في البلدان يكتب الى والده وأخوته مراسلات رفيعة طويلة يستبليا دائما بقصائد رصينة حزينة ومما جاء في مطلع إحدى رسائله :

أحمل أنفاس الصبا عيقت نضرا تحية مشتاق تهيجه الذكرى
متى صفت باللسان تملئ شجونها مطوقة أذكت بأحشائه جمرها ..

وكانت وفاة محمد الشاذلي عام 1695/1107 (48) .

3 - أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها :

(أ) أحمد بن القاضي

أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي نسبة الى مكناسة القبيلة البربرية الزناتية ، لا الى مدينة مكناس . وجدته الاعلى موسى بن أبي العافية الذي حارب الادارسة في مستهل القرن الرابع للهجرة وأمعن في قتليم

47 - ترجم للشاذلي : محمد القادري في نشر الثاني ، 2 : 155 وما بعدها وسليمان الحرات في البدور الضاوية ، ورقة 131 . ومحمد بن جعفر الثاني في سلوة الانفاس ، 2 : 96 .
48 - نشر ترجمة محمد بن الشاذلي في : محمد القادري ، نشر الثاني ، 2 : 154 . وسليمان الحرات في البدور الضاوية ورقة 230 . ومحمد بن جعفر الثاني ، سلوة الانفاس ، 2 : 89 .

وتسريدهم حتى كاد يفنيهم (49) . ولد أحمد ابن القاضي في فاس عام 1553/960 . وتخرج على يد أكابر علمائها مثل القصار ، والسراج ، والمنجور ، ورحل إلى الشرق فحج وجاور في الحرمين الشريفين مدة ، وأخذ في مصر عن الإمامين سالم السنيهوري (50) وبدر الدين القرافي (51) وغيرهما . وكان حافظا ، ضابطا ، محققا ، مؤرخا . خياريا ثقة . سيال القريحة بالشعر ، حسن العبارة . لطيف الإشارة ، مستجمع العلوم والآداب . عاهرا في معرفة علوم الأوائل . مشاركنا في غير ذلك للأئمة الأماثل وانفرد بعلم الحساب والفرائض في وقته شرقا وغربا (52) . واتصل أحمد بن القاضي بالسلطان أحمد المنصور الذهبي ، وخدمه ونال عنده الحظوة الكاملة . ثم ثاب له رأي في معاودة البلاد الشرقية للتطوع بحجة أخرى واستزادة العلم والتحصيل . وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا الإمام أمير المؤمنين أيده الله في الآفاق ، فجمع من مفاخر الدولة وفتوحها ومآثرها وأمداحها ما أمل بثه في الأقطار ونشره في المشارق لو ساعدته الأقدار ، واستأذن أمير المؤمنين أيده الله فأذن له ووصله . وتوخى الطريق على البحر ، فركب السفن من لغر تيطاون فاعترضتهم أساطيل العدو في بحر الزقاق فأسرتهم ، وحصل في ورطة عظيمة لولا ما تداركه من الطاف الله تعالى وشمله من عناية مولانا أمير المؤمنين ..» (53)

وهكذا نرى ابن القاضي يقوم في رحلته الثانية هذه بمهمة علمية سياسية وطنية في آن واحد . فيجمع الوثائق الضرورية ويسافر إلى الشرق ليذيع محاسن الخليفة المنصور ، وينشر مآثر الدولة السعدية فيما قد يعقده من محاسن للتدريس ، أو يصنفه من الكتب ، لولا طالع النحس الذي أوقعه في

(49) نسب ابن القاضي للمدة في كتابه جذوة الأنفاس إلى موسى بن أبي العافية . واستنكر عمله عند الأشراف الإدارية . (وقد استنكر صاحب سلوة الأنفاس (1 : 133) في صفحة نسبة ابن القاضي إلى ابن أبي العافية . لما ذكره بعض المؤرخين من أن يوسف بن تاشفين اللمطوني استأصل شذية ذرية ابن أبي العافية . ويظهر أن ذلك يعني قتل عدد كبير من آل ابن العافية لا استئصالهم . إذ يصعب القضاء على جميع النسل بعد نحو قرن ونصف خصوصا وإن آل أبي العافية كانت لهم مجالات واسعة للانتشار في المغرب الأقصى والأوسط . وزيادة على بلاد الأندلس التي كانت تربطهم بعربها روابط عتيقة

(50) أبو النجاة سالم بن محمد السنيهوري . نسخ المالكية بمصر في وقته . له حاشية على مختصر الشيخ خليل . توفي عام 1010 = 1007 م .

(51) بدر الدين محمد بن يحيى المروزي القرافي . قاضي المالكية بمصر . خارج مختصر الشيخ خليل . و فاعوس الفيروزيادي . و عوطا الإمام مالك . ومؤلف ذيل ديباج ابن فرحون في طبقات المالكية . توفي عام 1009 = 1000 م .

(52) محمد بن عبد الكتاني . سلوة الأنفاس 1 : 134 .

(53) عبد العزيز النضالي . مناهل الصفا . ص 368 .

أبدي القرائصة الأفرنج . وظل ابن القاضي في الأسر أحد عشر شهرا (54) عانى خلالها شدة عظيمة ، وبلاء كثيرا ، وصور لنا ما كان يعامل به النصارى من أراحم المسلمين من التجويع والاعراء والضرب والتكليف بما لا يطاق ، مدفوعين بالتعصب الديني الأعمى وبالرغبة في الحصول على الفداء والشراء . وقد كتب ابن القاضي أيام محنته مرارا إلى الخليفة أحمد المنصور يشكو له بسوء حاله ويرجو منه العمل على تخليصه من ورطته . ومما جاء في إحدى قصائده الاستعطافية قوله :

وكن يا امام العدل في عون حائر أسير كسير ذي جناح مذل
لقد مزقت أبدي الزمان وربسه ودارت عليه الدائرات كجلجل
وأخنى عليه الدهر من كل وجهة وداست عليه النائيات بأرجل

ولما استرد أحمد بن القاضي حريته بفضل أحمد المنصور الذهبي ألف فيه كتاب **المتقى المقصور على محاسن الخليفة المنصور** ، كما أهدى إليه كل الكتب التي ألفها بعد ذلك ، ومدحه بقصائد عديدة . وتولى ابن القاضي خطة القضاء في مدينة سلا ثم عزل فرجع إلى مسقط رأسه فاس واشتغل بالتدريس .

وقد أقام ابن القاضي في الزاوية الدلائية مدة غير قصيرة يدرس العلم ويفيد الطلبة . وأخذ عنه في هذه الفترة محمد بن أبي بكر الدلائي وأخوته علوم الأدب والحساب والتدقيق وغيرها ، وكان لابن القاضي طريقة مفيدة في التدريس ، يقتصر على المهم من المسائل ، ولا يتوغل في التفصيلات المتشعبة العقيمة ، معنيا باللب والجوهر ، خصوصا في الفقه الذي تكثر فيه عادة الأوهام والاحتمالات . فكان يقرئ **مختصر الشيخ خليل** ويختمه كل أربعة أشهر ، بينما لا ينتهي منه غيره إلا في سنوات . واشتغل في آخر عمره بتدريس **صحيح البخاري** في جامع الأبارين بفاس ، فكان الذي يسرد الحديث بن يديه هو الشيخ عبد الواحد بن عاشر صاحب **المرشد المعين** ، ويحضر مجالسه الحديثية الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي ، والامام أحمد المقرئ صاحب **نفح الطيب** وغيرهما من أكابر العلماء .

تأليف ابن القاضي :

ألف أحمد بن القاضي كثيرا من الكتب في الفقه ، والفرائض ، والحساب الهندسة ، والمنطق ، والتاريخ . ويذكر أصحاب التراجم أن المادة التي كان يتقرب فيها ابن القاضي على معاصريه هي الرياضيات ، غير أن كتبه في هذا

الفن قد ضاعت للأسف الشديد أو لم يعثر أحد عليها بعد فيما أعلم (55) .
وبالعكس من ذلك بقيت لنا جل الكتب التي ألفها في التاريخ والتراجم . ولعل
أهمها هو **جدوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس** وبدأه بمقدمة تحدث
فيها عن موقع المغرب في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة التي رسمها حكماء
اليونان القدماء . وذكر مزايها هذا الاقليم الاوسط بقوله : « وهو أعمرها ، وفيه
ارض بابل وجزيرة العرب ، وفيه بغداد فلاعتداله اعتدله أبدان أهله ، فسلموا
من شقرة الروم وسواد الزنج وغلط الترك وجفاء الجبال . وكما اعتدلوا في
الخط اعتدلوا في العطشة والذكاء والعلم » (56) . وتنبه للوحدة الجغرافية لبلاد
أفريقية الشمالية ، فقال ان أول بلاد المغرب من ناحية الشرق جبال برقة التي
على آخر أعمال مصر وأول أعمال القيروان مستديلا على ذلك بأن جبل درن
(الاطلس الكبير) يمتد عبر الجزائر وتونس ولا ينتهي الا في برقة ثم انتقل
للكلام عن حكم ارض المغرب هل فتحها صلحا أو عنوة . واستعرض أقوال
الفتيا مرجعا انها « مختلطة » هرب بعضهم عن بعض فمن بقي بيده شيء كان
له (57) وبعد ذلك تكلم عن قدوم ادريس الاول الى المغرب ومبايعة قبائل
أوربة له ، وازتياد ادريس الثاني فحضر سايس الذي أسس فيه مدينة فاس
يوم الخميس فاتح ربيع الاول عام 192 ، بدأ بعدوة الاندلس وأدارها بالسيور
ثم بعد سنة بنى عدوة القرويين . وقد تتبع ابن القاضي مراحل بناء المدينة بما
لبها من المساجد والدور والاسواق والاسوار والابواب ، وتعرض للتغييرات
الطارئة على فاس عبر القرون والدول . ثم سار على النهج الذي اختطه لنفسه
في المقدمة عندما قال : « أذكر على ترتيب حروف المعجم ملوكها (فاس) وعلماءها
وأعلامها ، وما لهم من نظم وتأليف ، ومن أخذوا عنه أو أخذ عنهم . سواء كان
من الغرباء القادمين عليها أو من أهلها . الا أنني ان شاء الله تعالى أفرد في كل
حرف ترجمة للغرباء والوافدين عليها » (58) .

وكتاب **المنتقى المقصور على محاسن الخليفة المنصور** هو كاسمه خاص
سعيد الملك السعدي أحمد المنصور الذهبي ، ألفه ابن القاضي بعد فكائه من

11 هذه كتابة هذه الترجمة وقتت في الخزانة الملكية بالرباط على نسخة من كتاب **الأكسير**
في صناعة التكسير في الهندسة لأحمد بن القاضي .

12 السخنة الخطية من جدوة الاقتباس خزانة الرباط ، د 2362 ، ورقة 3/1

13 من المصدر . ورقة 3/1 وتجدد الإشارة الى أن أكثر ما ورد في مقدمة **الجدوة** وبعض
فصولها من الأخبار العامة منقول من **القرطاس** لابن أبي زرع ، أو من **زهرة الآس** لابن
الحسن الجزائلي أو من غيرهما . ونكمن أهمية كتاب ابن القاضي فيما اشتمل عليه من
أرجح اعلام فاس والوافدين عليها .

14 من المصدر ، **الجدوة** ، ورقة 2/1

الإسراء بما يجميل هذا الخليفة الذي بذل لتخليصه من أيدي الروم فدية عالية . ورتبه على مقدمة وستة وعشرين بابا وخاتمة ، تكلم في المقدمة على سبب المنصور وحقيقة الخلافة وما يجب للمسلطان على الرعية ، وتحدث في الباب الأول عن حسن خلق المنصور وعقله وكمال خلقه ، وفي الثاني عن معانته على التكاليف الشرعية ، وفي الثالث عن عدله في رعيته وقيامه بالشرعة ، وفي الرابع عن تعظيمه للمولد النبوي وهكذا إلى آخر الأبواب ، وذكر في الخاتمة « نكتا غريبة ، وطرفا عجيبة » يصفى إليها المنتهى والشايد ، والمالك في ربيع الأدب والبادي (59) ويظهر ابن القاضي في خلال الكتاب سلاسا مرحا منطلقا على سجيته يمزج التاريخ بالأدب ، ويستطرد القصة والخبر ، وينشد ما يستحضره من الشعر الذي يناسب الموضوع ، ويعتذر في باب الرابع عن عدم إيراد المولدات الكثيرة التي كانت تنشد بين يدي حبيبة المنصور لضياعها منه في المحنة التي أصابته عندما أسره الروم في البحر . ونجده في المقدمة يشير انشبا القاريء إلى طريقته هذه بقوله : « وقد أذكر بعض حكايات وقصائد ومقطعات أنشدتها وملح غريبة استغدتها ، ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب ، لأن النظر في فن واحد قد قرع عنه الشغف ، بخلاف ما إذا نطق بغيره فقد يسلي العيوس .

لا يصلح النفس إذا كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال (60)

أما كتاب **لقط الفرائد من حقائق الفوائد** فجعله ابن القاضي ذيلًا لوفيات ابن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ (61) وأرخ فيه لثلاثة قرون .

عدد أوراق المتنق المفقود : ورقة 2

المتنق المفقود : ورقة 1 . هذا وقد وقعت على ثلاث نسخ قديمة منبورة من كتاب **المتنق المفقود** ، أولاها مصورة عن مخطوط الخزانة الزيدانية بمكناس ومسجلة في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1057 د ، والثانية مخطوطة بالخزانة العامة أيضا تحت عدد 798 د ، والثالثة مخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط تحت عدد 1153 . وبين هذه النسخ بعض اختلاف في عناوين الأبواب وترتيبها على أن أقربها إلى الكمال التسمية الأولى المصورة . وبعد المقارنة وتكميل ما أمكن تكميله من نقص في بعضها بما تفرده به النسخ الأخرى تبين أن الأبواب المفقودة من الكتاب هي التاسع عشر ، والعشرون ، والواحد والعشرون .

أما **كتاب الخطيب القسنطيني** (741 - 40/810 - 1341 - 7 - 1408) هو القاضي المحدث أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن فقه القسنطيني . تلميذ الخطيب ابن مرزوق أحمد وأسد ابن مرزوق الحفيد . ارتحل من قسنطينة إلى المغرب وبقي فيه 18 سنة بعد خلافه الشيخ أحمد بن عاشر السلواي وألف تأليف كثيرة منها كتاب **الوفيات** الذي ذكر فيه وفيات الصحابة والعلماء والمحدثين والمؤلفين ، ورتبه على المشيخ من المشيخ . والذين يذكر وفيات العشرة الأولى من المائة التاسعة . وهذا الكتاب هو الذي لا بد من القاصي بلفظ **الفرائد** .

يتمتع من أول المائة الثامنة الى آخر المائة العاشرة . وقد أهداه كذلك الى ولي
نعمته الخليفة المنصور الذهبي . ولم يقتصر ابن القاضي في لفظ الفرائد على
ذكر وفات علماء الاسلام في الشرق والغرب . بل اهتم الى جانب ذلك باعطاء
نظرة موجزة عن يترجم لهم . فيذكر للبعض ما تولاه من المناصب خصوصا
القضاء وينسب الى ما للبعض الآخر من انتاج علمي أو أدبي . ويمزج ذلك بذكر
الاحداث البارزة في السنوات التي يؤرخها سواء كانت تتعلق بالسياسة
والعروب . أو بالتشييد والعمران . فعندما تعرض مثلا للسنة الخامسة من
المائة الثامنة (705) ذكر استيلاء أهل الاندلس على سبتة قبل أن يذكر وفاة
نوف الدين الدمياطي وغيره . وكذلك فعل في سنة 721 التي بطائفة من أسماء
العلماء الذين توفوا فيها ثم قال : «وبني أبو الحسن (62) مدرسة الصهرريج ،
وبني حولها سقاوية ... ودارا لسكنى شيوخ جامع الاندلس ، وجلب
إليه الى ذلك كله من عين خارج باب الحديد ورتب العلماء والاساتيد للمدرسة
العلم . وأسكنها بالطلبة ، وحبس ربعا كثيرة للنفقة عليها (63) وكانت وفاة
أحمد بن القاضي بفاس عام 1025/1010 .

62. أبو الحسن المريني (731 - 752/738 - 755) أو السلطان الأنجل كما كان يدعى
العمية . كان أما سودانية هو أعظم حثرك على مرين . استمد نفوذه الى افريقية الشمالية
أفريقيا والاندلس . وكانت له علاقات طيبة مع ملوك مصر والسودان وأسس كثيرا من
المدرسة والزاوية . توفي الفاس والنفقات .
63. أحمد بن القاضي . لفظ الفرائد . ص 140

جدول مؤلفات أحمد بن القاضي

الارقام الترتيبية	عنوان الكتاب	مكان الكتاب
أ - التاريخ والتراجم		
(1)	جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الاعلام مدينة فاس	طبع على الحجر بفاس عام 1309 هـ وتوجد منه نسخ خطية في خ. ع. (64) د 2362
(2)	درة الخجال في أسماء الرجال جعل ذبلاً لوفيات الاعيان لابن خلكان وضمنه تواريخ الاعيان من وفاة ابن خلكان عام 681 هـ الى أوائل القرن الحادي عشر	نشره ب. س. علوش بالرباط سنة 1934 .
(3)	درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك وهي أرجوزة ذكر فيها الملوك مرتبين حسب وفياتهم ، ومطلعها : الحمد لله الذي أبدى العبر في دول الملوك للذي عير	مخطوط خ. ع. د 52
(4)	الدر المملوك المشرق بدرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك وهو شرح الأرجوزة السابقة	مخطوط خ. ع. د 54
(5)	لقط الفرائد من حقائق الفوائد ذيل به وفيات ابن قنفذ	مخطوط خ. ع. د 270

مخطوطات خ. خ. 48 د	المتقى المقصور على محاسن الخليفة
و 764 د و 1057 د وهذا	أبي العباس المنصور
الاخير مقصور عن نسخة	
المكتبة الزيدانية بمكناس	
§	غنية الرائض في طبقات أهل الحساب
	والفرائض
كانت توجد في فاس	الفهرست المسماة رائد الصلاح
بخزانة الشيخ علل بن	
عبد الله القاسي	

الفقه و الفرائض

§	نيل الامل فيما به بين المالكية جرى
	العمل
§	القانون الوفي بجداول الخوفاي ،
	في الفرائض

الحساب و الهندسة

مخطوط الخزانة الملكية	الاكسير في صناعة التكسير ،
بالرباط عدد 5455	في الهندسة
§	المدخل في الهندسة
§	نظم تلخيص ابن البنا
§	الفتح النبيل بما تضمنه من أسماء
	العدد التنزيل
§	شرح منظومة في مبادئ الهندسة ،
	لابن ليون التجيني

المنطق

§	نظم منطق السعد
---	----------------

بها أساتذة آخرون درسوا في الزاوية الدلائية

الحسن الدرعي

أبو محمد الحسن بن أحمد الدرعي المعروف بالدرأوي ، العالم المعقول ،
مؤلف شرح صفري السنوسي في التوحيد ، وشرح لأهمية
الإمام الجواد السلوي في قواعد الجمل . اشتهر هذا العالم بالانكباب على
الدرسي وبذل الجهود في إفادة الطلاب ، والحرص على نفعهم . سواء في
رطة الأول بسرعة أو في فاس . أو في الزاوية الدلائية « وكانت له اليد الطولى
في معرفة المغالذ والمنطق ، وفي النحو . والقراءات . مع كمال التحقيق وجودة
الدقيق . أقام مدة في الزاوية الدلائية يقرئ حتى عم النفع به
عنه » (65)

وقد حظ الحسن الدرعي رحاله في الدلاء في السنوات الأولى لتأسيس
زاوية ونال من حضرة أبي بكر وزعامته ما يفيق بمقامه العلمي والدرسي ،
ومن عبه الطلبة يأخذون عنه وفي مقدمتهم محمد بن أبي بكر الدلائلي الذي
درس عليه التوحيد والفقه ، والاصول ، والمنطق ، والبيان ، وغير ذلك من
مفرد العلم ومعقوله . كما أخذ عنه كثير من اخوة محمد بن أبي بكر وغيرهم
وارتحل الحسن الدرعي في أواخر أيامه الى فاس حيث وافته المنية عام
97/1598 - 66 .

أحمد بن عمران الفاسي

أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الفاسي
العلمي العلامة المحدث الحافظ الأديب البليغ مفتي فاس ، والمدرس بجامعة
الزوين . كان أبوه علي قاضي الجماعة وجده عبد الرحمن من شيوخ الفقه
الحق وسبب محييه الى الزاوية البكرية انه أصابه عسر في فاس وضافت
عنه بالفسد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائلي نازكا عباله وأولاده بفاس
الذين هم لخرى أبناءه وغيرهم من الطلبة . فأرسل ابن أبي بكر الدلائلي الى
سورة الفقه بن عمران كثيرا من المواد الغذائية والحلايس والنقود ، دون أن

سنة الحوائج ، البذور الضاربة ، ورقة 25/ب

الحسن الدرعي محمد الدرعي في نشر الثاني : 441 وسليمان الحوائج ، في البذور
الضاربة ، ورقة 25/ب

عليه بقرى من ذلك ، ثم غمره بالعطايا حينما أزداد الرجوع الى مسقط رأسه . وكان الشيخ ابن عمران يحدث نفسه وهو في طريقه الى فاس انه سيأتي أهله بهذا الرزق الوفير ليبدل عسرهم يسرا ، فاذا به يجدهم في رغد من العيش لا عهد لهم به . فلما علم بجلية الامر أسرع بالرجوع الى الزاوية الدلائية وألقى عصا السيار بها ، واستقر مطمئن الخاطر مرتاح البال ، منقطعاً للتدريس والإفادة . وحضر الشيخ محمد بن أبي بكر يوماً مجلسه ، وهو غاص ببنية وادى قرابته ومودته فقال لهم : من أحبني منكم فليعط لهذا الشيخ ، يعني أبا العباس بن عمران . فأتى كل واحد من الحاضرين بما قدر عليه ، ثم بلغ ذلك النساء فأعطت كل واحدة منهن ما قدرت عليه من قرط أو سوار أو غيرها . ثم بلغ ذلك الخبر أهل السوق وأهل البوادي فانتقلوا اليه ، فكان الرجل يأتي بالفرس وغيره مما تيسر له فيعطيه له وقامت لذلك سوق عظيمة . (67)

ومن أخذ عن أبي العباس بن عمران بالزاوية البكرية محمد الجرابسط الدلائي وأبو عمر بن محمد الدلائي المتقدمان ، والحسن اليوسى الذى أخذ عنه كبرى الشيخ السنوسى مع شرحها فى التوحيد (68) .

وكانت وفاة أحمد بن عمران بفاس عام 1065/1654 (69) .

حمدون الأبار

أبو العباس أحمد المدعو حمدون بن محمد بن موسى الأبار الفاسى العلامة الخطيب البليغ ، شيخ الجماعة بفاس ، وخطيب جامع الاندلس . كان أهله من التجار المؤسرين فسلك سبيلهم أولا متجولا فى الاقطار للتجار وكسب الاموال ثم شغف بالعلم فانصرف عن ذلك الى الدرس والتحصيل . حتى صار اماما فى كثير من العلوم ، خصوصا النحو والفقه . وسار فى حياته العلمية سيرته من حياته التجارية . فجال فى البلدان ينشر العلوم . وحل بالزاوية الدلائية مدة يدرس لطلبتها مختلف الفنون حيث أخذ عنه فيها الطيب بن المستاوى الدلائي المتقدم وغيره ، وكان أكثر ما يقرئ مختصر الشيخ خليل و ألفية ابن مالك ويخرج به جماعة من الاعلام ، بل حل طلبه المغرب عليه انفعوا فى

شيماء الجوات ، البدور الضاوية ، ورقة 46/ب

الحسن اليوسى ، الفهرست ، ورقة 66/أ

نورجند ترجمة ابن عمران عنه : محمد الأفرانى ، الصفوة ، ص 414 ، ومحمد القادري نشر الناسى ج 1 ص 211 .

المختصر وله عليه حاشية هي موجودة بأيدي الطلبة . وله فتاوى كثيرة
مسننة (70) .

توفي بفاس عام 1071/1060 .

محمد بن سودة

أبو عبد الله محمد (71) بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة . الفقيه
الشارع الذي اشتهر بالعلم والدين وقيل عنه انه آخر قضاة العدل بفاس .
لقد عن خاله عبد الواحد بن عاشر وطبقته . وتعلم له كثير من اعلام فاس .
راقام مدة في الزاوية الدلائية يدرس فيها للطلبة ، وأخذ عنه هناك جم غفير .
في مقدمتهم الطيب بن المسناوي الدلائي . وتولى محمد بن سودة القضاء في
فاس بأمر من السلطان محمد الحاج الدلائي ، وكانت وفاة ابن سودة عام
1076/1065 (72) .

محمد بن سعيد المرغيشي

أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسسي المرغيشي نسبة الى
مرغيشة (وينطق السوسسيون اليوم بالغين خاء فيقولون مرخيت
ومرختي) وهي احدى فروع قبيلة الاخصاص المشهورة بناحية تيزنيت . كان
عنده بن سعيد موقتا حيسوبيا مدققا ، وهو صاحب النظم المشهور المسمى
بالقنع في التوقيت وشرحيه الكبير والصغير . انتقل الى مراكش وتصدى
لتدريس بمسجد الواسين مدة طويلة وقصده الناس للاخذ عنه . ثم انتقل
الى الزاوية الدلائية للتدريس فيها ، وقد قال عنه تلميذه الحسن اليوسسي :
حضرت عنده مجلسا واحدا في الفية ابن مالك أيام الحداثة ، ثم لقيناه بالزاوية
البكرية ، فجالسته مزارا ، وصافحني عن شيخه أبي محمد عبد الله بن علي بن
طاهر الحسنى وقال بسنده الى أنس بن مالك رضى الله عنه فأفصح بالجديث
ولم يفصح بالسند ... (73) وقد عمر محمد بن سعيد طويلا وكثر الآخذون

(71) محمد القادري ، نشر الثاني ، 228:1 انظر هناك ترجمة حمدون الابن

(72) هناك غلطان سوديان يسمي كل منهما محمدا ، الاب والابن ، لم أقص على بعض يعبر من
درس منهما في الزاوية الدلائية . وقد رجحت أن يكون هو الابن نظرا لذكر اسمه
مفروفا باسم حمدون الابن أثناء وجودها في الدلاء وصلا متعاضدان وتدرية وفائدهم
مقارب . أما محمد بن سودة الاب فانه توفي عام 1015/1006

(73) انظر ترجمة ابن سودة في محمد القادري ، نشر الثاني 250:2

(74) الحسن اليوسسي ، الفهرست ، ورقة 1/68

عنه ، واشتهر نظمه المقنع في جميع النواحي المغربية ووقع عليه اقبال كبير حتى اليوم . ومن تأليفه أيضا : الاشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة ، وكتاب المستعان في احكام الاذان ، واختصار السيرة اليعمرية ، والفهرست التي ذكر فيها أشيأه وأودعها كثيرا من الفوائد والفتاوى . وكانت وفاة المرغيني عام 78/1089 - 1679 (74) .

4 - تلاميذ الزاوية الدلائية

طلت الزاوية البكرية كعبة الطلاب يحجون اليها من كل أصقاع المغرب طيلة قرن كامل ، ويتنافسون في الاخذ عن علمائها البرزين الكبارين . ولا شك انها عرفت خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن عددا كثيرا منهم ، لا يتوفر لدينا من اسمائهم مع الاسف ، الا نزر يسير ورد ذكرهم عرضا عند من تعرض لهذه الراوية من المؤرخين أو أصحاب التراجم . وتلاميذ الزاوية الدلائية طائفتان ، طائفة لازمت الزاوية منذ أول عهدها بطلب العلم ، الى أن تخرجت منها ثم انتقلت بالتدريس فيها ، وهذا شأن أكثر الدلائين المتقدمين في الفصل السابق وبعض من سناتسى على ذكرهم هنا ، مثل محمد بن عبد الرحمن الصومعي ، وابن مسعود المراكشي . وطائفة أخرى كان لها سابق دراسة في فاس أو مراكش أو غيرهما من مراكز الثقافة ، ثم وردت على الزاوية البكرية وكرعت من حياض معارفها حتى رويت وتم تكويتها العلمي ، فاستقرت بها مستغلة بالتعليم والافادة ، كالامام الحسن اليوسي والاخوين العكاريين محمد وعلي ، أو غادرتها بعد مدة طويلة أو قصيرة لترجع الى منساقط رؤوسها أو لتلقى عنا التسيار في بلد آخر . كآبي حامد الفاسي ، وأحمد المقرئ ، وعبد الواحد ابن عاشر ، ومحمد ميارة وغيرهم . وسأورد فيما يلي تراجم مختصرة لمن لم يسبق التعريف بهم من تلاميذ الزاوية الدلائية .

(أ) الحسن اليوسي

أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي ، من قبيلة آيت يوسي البربرية . منجرة المغرب واشتهر من أنجبته الزاوية الدلائية من العلماء حتى ارتبط اسمه اسمها ووطن البعض أنه من آبائها . وقد تشلمد اليوسي لكثير من العلماء

آخر تراجم المرغيني في : الحسن اليوسي . الفهرست . ورقة 1/68 - 1/69 ومحمد القادري . نشر الثاني . ج 2 ص 37 - 41 ومحمد المكي الناصري . الدور المصنعة . ص 15 - 17 والسيرة اليعمرية ص نور العيون في تلخيص سيرة الامين المأمون . لاني الفتاح محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمرى الربيعي الاشجيلي المتوفى في القاهرة عام 734/1334 اقرأ مقال الأستاذ محمد المتوني . مكتبة الزاوية الحمراء . مجلة تطوان العدد 8 سنة 1963 ص 170 .

الدلائيين مثل محمد الم رابط ، ومحمد بن عبد الرحمن ، وأبي عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائى ؛ وأخذ عنه عدد وافر من أبناء الدلائيين وغيرهم من الطلبة الذين كانوا يقيمون فى الزاوية الدلائية . وكان دخول اليوسى الى الزاوية الدلائية حوالى عام 1060 وهو ما يزال شابا طالبا للعلم ، فتزوج فيها فسور وصوله اليها ، وانقطع عن ليلو الشباب ولغوه (75) ومكث بها نحو عشرين سنة طالبا ثم أستاذا وفيها أنجب الأبناء والبنات ولم يغادرها الا بعد أن أزعجه السلطان الرشيد عنها عند تخريبها . وقد انفرد اليوسى بوصف حادثة إخلاء الزاوية الدلائية وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين . يمتاز هذا العالم الكبير بقوة العارضة ، وشدة التحصيل ، وجدة الأسلوب ، فهو يسير فى كتبه خصوصا المحاضرات ، على غير ما عهد عند معاصريه من العلماء المغاربة وانك لتجد فى هذا الكتاب وغيره من مؤلفات اليوسى طريقة جديدة فى الكتابة ، تذكرك بطريقة أكابر الكتاب القدامى أمثال ابن المقفع ، والشيرد وأصرايينما ، فالألفاظ جولة متينة والأسلوب سلس منطلق لا تقيدده الأسجاع وغيرها من المحسنات البديعة اللفظية الامتلى أتت عفوا دون تكلف . أو وقعت فى رسائل خاصة لستدعى ذلك ؟ والمواضيع المطروقة جدية متنوعة متسلسلة يربط بينها رغم تباينها نوع من التعلق بحيث تتكامل ويستندى بعضها البعض الآخر .

ويحدثنا اليوسى نفسه فى فهرسته عن بعض الكتب التى درسها على أستاذه محمد الم رابط الدلائى بقوله : « حضرت عنده تلخيص المفتاح بمختصر السعد (76) ومواضع من الخلاصة (77) وصدرنا من تفسير القرآن بتفسير الجلالين (78) وأجازنى فى فنون العلم كلها ... » (79) ويروى لنا كذلك فى

(75) الحسن اليوسى . المحاضرات ، ص 141 . الفهرست ، ورقة 70 .

(76) تلخيص المفتاح : فى ثلاثة مدارس الناصى والتميمية فى هذا القرن السامى الهجرى حتى الآن لتركيته واختصاره . ومؤلفه هو الخليل الغزوينى جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الأناضولى المتوفى بدمشق عام 38/739 - 1339 . وكتبه التلخيص هذا صدره اختصارا للنفس الثالث من كتاب مفتاح العلوم ليوسف بن أبي بكر السكاكى المتوفى عام 620/1229 . وقد شرح متن التلخيص سعد الدين التفتازانى (نسبة الى تفتازان - قرية من أعمال خراسان) المتوفى عام 68/791 - 1389 . بمرحين ، مطول ، ومختصر . والى هذا الأخير يشير اليوسى .

(77) الخلاصة فى الآلية المشهورة ل محمد بن مالك الطائى الأندلسى .

(78) الجلالين المتشركان فى تفسير القرآن الكريم هما جلال الدين محمد بن أحمد المجلسى المتوفى عام 864/1459 وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى المتوفى عام 911/1506 .

(79) الحسن اليوسى . الفهرست ، ورقة 70 .

المحاضرات حادثة أدبية طريفة وقعت له عند وصوله إلى الزاوية البكرية وهي تدلنا على مدى قوة شخصيته وسرعة بديهته منذ حياته العلمية المبكرة ، إذ وجد شيخه محمدا المرابط قد ألف كتابا في الخطب الوعظية قرظها الناس واملحواها ، فكتب كل ما قدر له من نشر ونظم فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضا ، بوقع في مكتوبي لفظة القطائف والقطائف ، فاعترض علي ورام تبكيته وقال : يا لا تعرف القطائف إلا هذه المفروشات . فقلت له : إن القطائف هنا جمع لفظة بمعنى مقطوفة فقال هو صحيح في اللغة ، ولكن الأدباء لهم الاختيار ، ولهم الفاظ يستعملونها مخصوصة ، فلا يرتكب عندهم كل ما يقع في لغة ، فقلت له حينئذ : هذا أبو محمد الحريري (80) يقول في مقاماته :

ولا تعلموني بعد ما قد شرحته علي أن منعتهم في اقتطاف القطائف علي أن ما زودتم من فكاهة ألد من الحلوى لدى كل عارف فتلون وجهه رحمه الله وخجل ولم يراجعني بكلمة : فلولا معرفة المقامات واستحضار هذا البيت لأخجلني عوض ما كنت أخجلته» (81) .

ونعني من هذه المناظرة القصيرة أن اليوسى قدم الزاوية البكرية وقد حصل على نصيب لا يستهان به من المعلومات ، فكان يحفظ المقامات الحريرية ويستطيع أن يدلي بدلوهم مع الأدباء في تقرير كتاب لعالم كبير ، بل كان يحتاج تسويخ العلم ويحجهم على حادثة سنة . وهو أمر يذكرنا بمناظرة بديع الزمان النمداني لشيخ الأدباء أبي بكر الخوارزمي (82) . ويظهر أن هذه الحادثة كانت عامرة لم تنلها ذبول ، فالْيوسى أخذ مجلسه بين الطلبة في حلقة الشيخ المرابط العلمية ليستفيد منه طيلة مقامه بالزاوية الدلائية ، والاستاذ المرابط بدوره فدر في تلميذه النابغة نباهته وكفاءته وأحله المنزلة اللائقة بمقامه الممتاز ، ليحيزه بعد عشرين سنة من تلك المناظرة ويحليه بقوله : «الصدر الرئيس ، فارس الأفناء والتدريس ، شيخ الجماعة بالنيار البكرية ، والحضرة الدلائية ذو التدقيق المعهود ، أبو الحسين بن مسعود ، صاحب النباهة الشامخة ، والنزاهة

(80) أبو محمد النعمان بن علي الحريري المصري ، صاحب المقامات المشهورة المتضمنة على كثير من كلام العرب وثقاتها وأمثالها توفي عام 1123 - 510 هـ .

(81) الحسن اليوسى ، المحاضرات ، ص 141 .

(82) أنظر صورة هذه المناظرة الأدبية الطريفة عند ذكرى مبارك في النثر الفنى الطمعة الأولى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة عام 1332 هـ - 1914 م ص 133 وما بعدها .

بإلاهة ، والجلالة العليا ، والهمة التي نيطت بالثريا ..» (83) وقد انتقل
يوسى بعد تخریب الزاوية الدلائية الى فاس بأمر من السلطان الرشيد ،
وتصدر للتدريس فيها ، وأقبل عليه الطلبة والعلماء يأخذون عنه الا طائفة من
مأسيه فانهم تخلفوا عن مجالسه العلمية ، وفيهم يقول :

ما اصبحت فاس ولا اعلامها علمى ولا عرفوا جلالة منصبى
واصفوا لصبوا الى كما صبا راعى سنين الى الغمام الصيب
وليس هذا من باب الزهو والغرور وانما هو نوع من الصراحة البدوية
التي يتأثر بها اليوسى ، فهو يتحدث بنعمة الله عليه ، ويعرف قيمته ومكانته
العلمية ويعبر عما يحول فى خاطره بدون لبس أو تمويه . وقد ذكرنا فى
الكتاب الثانى أبحاثا أخرى مشابهة لهذه قالها اليوسى فى علماء الزاوية البكرية
وطلبتها حينما انتقل منها مرة الى قرية الدلاء .

وقد حظى اليوسى بتقدير السلطان الرشيد الذى كان يحضر بعض
بجالسه العلمية بالقرويين ، ويجالسه فى قصره مع خاصته ، ويحادثه بدون
كفة ، كما يذكر لنا ذلك اليوسى نفسه بقوله : «أصابنى مرة اسهال ، فدخلت
فى السلطان رشيد بن الشريف ، وكان يكرمنى ويجلسنى قرآ (كذا) تغييرا فى
رجلى ، فسألنى فأخبرته فقال : وماذا صنعت من علاج ، فقلت له ، ان الطبيب
يمنع لى شراب الريحان ، فتضاحك ثم قال : سببحان الله ، مالنا ولشراب
الريحان ، وأين عيده خذ سمويق الشعير واخاطه بالماء ، فذلك دواؤه ..» (84)
وكان السلطان الرشيد يعرف شدة تعلق اليوسى بالزاوية الدلائية وأهلها
فلاحة مرة على ذلك ، فأجابه اليوسى مستترا ومتقيا : لا ناقة لى فيها ولا جمل ..
على اليوسى يمتنع بحظوته فى البلاط العلوى حتى بعدما تولى الملك السلطان
اسماعيل وكان من بين العلماء الذين وافقوا على بيعته الر وفاة أخيه الرشيد
مراكس . ولليوسى مراسلات عديدة مع هذا السلطان العظيم أخلص فيها
الصالح لأمير المؤمنين ونبيه الى مواطن الضعف فى حكمه ، وخاطبه بصراحة
الطبي . ومنها رسالة مطولة فى 47 صفحة بعث بها اليوسى الى السلطان
مراكس عن كتب تلقاها منه يقول فى أولها : هذا وقد وردت على كتب سيدنا
الكرامة . ومراسمه الجليلة العظيمة ، فإذا عر قد أحسن فيها وأجاد ، وأبدا

وأعاد ، وبلغ من كل فصل المراد ، وفوق المراد ، ثم رأيت أن أمر سيدنا أيده الله بالجواب عن فصول الكتاب لا ينبغي أن يشمل ، ولعل فيه أن شاء الله فوائد تفصل فتحصل ... (85) وغادر اليوسى فاسا إلى مراكش حيث أقام ثلاث سنوات متصديرا للتدريس في مساجدها ونجده في عام 1082/1093 ينشوق للرجوع إلى مسقط رأسه ويحن إلى عشيرته ، وكان قد خلف الأهل في جبال الأطلس المتوسط ، والكتب وما معها في مكناسة ، والقبيلة في ملوية ، ويجرى يوما ذكر البيتين اللذين أنشدتهما سيدنا بلال رضى الله عنه ، فهاج به إلى الإوطان اشتياق ، فقلت على نحو هذا المساق :

إلا ليت شعري هل أبيت ليلة بسبب الشنين أو بسبب بنى ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبى وهل تتركن دايا وأدواؤها ورا. (86)

وقد تحققت لليوسى آمانياته الثلاث في الحياة ، فوفر حظه من العلم ، وكثر ماله ، وزار البقاع المقدسة (87) . وظل وفيا للزاوية الدلائية طيلة حياته يحن إليها ويذكر محاسن أهلها ، ولم يزل يرثيها أحد بمثل قصيدته الرائية الشهيرة التي يبلغ عدد أبياتها 162 ، ومطلعها :

أكلف جفن العين أن ينشر الدرا فيأبى ويعتاض العقيق بها حمرا
وأسأله أن يكتب الوجد ساعة فيفشى ، وإن اللوم آولة اغرا (88).

(85) الحسن اليوسى ، رسالة إلى المولى اسماعيل ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط 1348 د. ورقة 1/13

(86) الحسن اليوسى ، المحاضرات ، ص 126
المصيب (بضم السين) من الأرض : البعيد الشئ (وينطق به في اللسان المغربي الدارج بفتح السين مراد به هذا المعنى) ومصيب الشنين ، وبني ورا جوهضان بالأطلس المتوسط ، ونهر العبيد يقع في إقليم بني ملال وعليه سد بين الويدان المشهور ، ودأى : هي مدينة الصوامة المجاورة لبني ملال الحالية ، وكانت مشهورة بكثرة الأمراض والوحم .

(87) الحسن اليوسى ، الفهرست ، ورقة 1/64

(88) شرح هذه القصيدة هالمان دلايان في مجلده ضخيم يتحدث عنه في كلامنا عن مؤلفات الدلايين ، كما شرحها محمد بن المهدي بن سودة في 6 مجلدات ، أنظر هذه القصيدة تامة في ديوان اليوسى ، وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 3 ، ص 277 وما بعدها للتوسع في ترجمة اليوسى ارجع إلى محمد الأقراني ، نزعة الحادى ، ص 243 وما بعدها وإلى محمد القادري ، نشر الثاني ، 142:2 ، وإلى الكداني ، فهرس الفهارس ، 464:2 ، وإلى :

Lévi-Provençal, Les historiens des Chorfa, pp 269 - 272.

Jacques Berque, AL YOUSSEI, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle.

توفي اليوسى عقب رجوعه من الحج عام 1102/1690 ودفن في قبيلته
بمقبرة قرب صفرو .

جدول مؤلفات اليوسى

وضع الأستاذ بيرك فى آخر مؤلفه عن اليوسى جدولاً مفصلاً لكتب
يوسى اتى فيه على أسماء 33 مؤلفاً مع الإشارة الى المكتبات التى يوجد فيها
بعض هذه الكتب . وقد نقلت هنا هذا الجدول وأضفت اليه 14 مؤلفاً لليوسى
المفلى الأستاذ بيرك كما أشيرت الى مكتبات توجد فيها كتب لليوسى لم يلف
عليها . وجعلت على كل زيادة هذه العلامة X

اسم الكتاب	المكتبات التى يوجد فيها
------------	-------------------------

التوجيه

- | | |
|--|--|
| <p>(1) حاشية على شرح كبرى السنوسى
مخطوط ج. ع. ك 2645 . خزانة
القرويين بفاس 40 - 837 ، 732-40 ،
فى دار الكتب المصرية بالقاهرة .
222 . 266 . 473 . 502 ، IIII7
كلام . X وفى الخزانة الحمزاوية 69.
مخطوط ج. ع. ضمن مجموع I24I د
(من 8 - 9)
مطبوع على الحجر بفاس عام 1327 هـ</p> | <p>(2) أجوبة

(3) مشرب العام والخاص من كلمة
الاخلاص أو منهج الاخلاص من
كلمة الاخلاص

(4) شرح صفرى السنوسى

(5) الرد على القرافى فى التفريق
بين القديم والحديث فى كلام الله</p> |
|--|--|

غير بعض مترجمى اليوسى عن مشرب العام والخاص بكتاب فى الهبلقة . كالفادري فى
نشر المائى . والفلى فى الصفحة الاولى من القانون المطبوع فى تونس . وقد استلقت
كلمة (الهبلقة) على الأستاذ بيرك فلأراها هبة . وحمل - خطأ - اليوسى مؤلفاً فى التتبع

الفقه

- (6) شرح قول خليل : «وخصصت نية الخائف وقيدت ...» ؟
- (7) فقهية منظومة فى بحر الزجر على نظام المرشد المعين لابن عاشر تستعمل على التوحيد ثم الطهارة فالصلاة فالزكاة فالصوم فالحج فمبدأ طريق القوم
- (8) قواعد الاسلام من مضمون حديث النبى عليه السلام موضوعها واجبات المكلف كالرسالة الآتية رقم 35 الا أنها أوسع منها وأطول .
- مخطوط خ.ع 157 ح ضمن مجموع من ورقة 1/124 - 131 ب 27164 .
انتسخت فى حياة المؤلف عام 1099 هـ
- نفس المجموع (من ورقة 1/27 - 1/42)

الاصول

- (9) الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع لشيخ الدين السبكى لم يكمله وإنما وصل فيه الى «إذا الفجائية»
- مكتبة خاصة

الحديث

- (10) × رسالة فى العلم النبوى وهو رد على القاضى عبد الملك التجموعتى .
- ؟

المنطق

- (11) زفانس الدرر على شرح المختصر لليسوسى
- مخطوط خ.ع ضمن مجموع د 2072 (من ص 52 الى ص 193) د 451 ، 1751 ك وفى خزانة القرويين بفاس بدون رقم - وفى المكتبة الوطنية بالجزائر 2 و 1382 - وفى المكتبة الوطنية بباريز 2400 (من 104/ب - 251) .

مخطوط ح. ع. 1072 د (من 196 - 223)

القول الفصل في الفرق بين
الخاصة والفصل أو الفرق ما
بين الذاتي والعرضي

ذكره عبد الله كنون في النبوغ المغربي
1 : 303 .

شرح السلم المروني للاخصري

البلاغة

؟

شرح تلخيص المفتاح للقرويني
(لم يكمل)

اللغة والادب

مخطوطات الخزانة العامة بالرباط
71 د ، 191 د ، 1001 د ، 1159 د ،
596 خ ج ، 178 خ ج ، والمكتبة
الوطنية بالجزائر 80 1842 . والمكتبة
الوطنية بباريس 52304 ، والقرويني
بدون رقم ، وفي دار الكتب بالقاهرة
14097 ، 14842 ادب .

زهر الاكم في الامثال والحكم

طبع على الحجر بفاس ، وتوجد منه
نسخ مخطوطة عديدة بالخزانة العامة
بالرباط ، منها واحدة جيدة ضمن
مجموع عدد 32 ج ، كما توجد نسخ
مخطوطة أخرى بالمكاتب الوطنية
بباريس والجزائر .

الديوان

- جمعه ولد اليوسى بعد وفاة
والده -

مخطوطة ح. ع. ضمن مجموع 163 د
(من 98 - 103)

التصيد الرائي في رثاء الزاوية
الدلالية (89)
(تستعمل على 102 بيتا)

في الاسم جرد ال موضوع هذه الرأية الحكم والتصوف . وهي في الحقيقة في رثاء
الزاوية الدلالية وان كانت لا تخطو من اشارات صوفية . وامثال حكمة على طريقة زهير
ابن ابي سلس في مقلته .

طُبعت مع شرحها في مصر عام 1291 هـ
و 1329 هـ وتوجد منها نسخ خطية
عديدة بمكاتب القرويين والرباط
والقاهرة وباريس .

طبع بمطبعة الكوكب الشرقى
بالاسكندرية عام 1291 هـ * وبمطبعة
التقدم بالقاهرة عام 1329 هـ وتوجد
منه نسخ خطية في المكاتب العامة
بالرباط والجزائر والقاهرة وباريس .

* مخطوط خ. ع 774 د ضمن مجموع

الخزانة الملكية بالرباط 2343 .

(18) القصيدة الدالية في مدح الشيخ
محمد بن ناصر
وفد عارض اليوسى بها دالية
البوصيرى في مدح الشاذلى
واليرسى .

(19) نيل الامانى في شرح التهانى
وعر شرح للدالية المتقدمة

(20) شعر في مدح خير البرية
أوله القصيدة الشهيرة :
جد في سيرها فلست تلام
هذه طيبة وهذا المقام

(21) * الرحلة - كتبها ولد اليوسى
عندما صحب والده الى الديار
القدس

(22) شعر في رثاء عبد القادر الفاسى

التصوف والرد على المبتدعة

؟

(23) شرح عقد جواهر المعانى ، فى
مناقب الفوت عبد القادر الجيلانى
لاحمد بن المختار (بنخدة)

(24) تاليف فى المكاكرة الرقعة
الفضالة بنادلا وزمور

(25) * اربعة وعشرون سؤالاً تتعلق
بصاحبة الشيخ ونادية
الاوراد الخ

* مخطوط خ. ع 1224 ك ، ضمن
مجموع (من 167 - 187) .

مخطوطة خ. ع. 612 ج (من ورقعة
48/ب - 52/أ)

موسوعات

القانون

طبع على الحجر بفاس عام 1310 هـ
و 1315 هـ ، وتوجد منه نسخة خطية
بالمكتبة الوطنية بباريس 5291 كما
توجد نسخ خطية متعددة في خ. ع.
بالرباط

المدافعات

طبع على الحجر بفاس غلام 1317 هـ
وتوجد منه نسخ خطية بمكاتب
الرباط ، وباريس والقاهرة وتوجد
منه نسخة خطية هامة بخزانة
الخطارين بقونس التي سحبت بعد وفاة
اليوسفي بأربع سنوات .

الفهرست

× مخطوط خ. ع 1234 ك ضمن
مجموع (من 103 - 147) .

129 : الكناشة العلمية - تشمل
على فوائده في التفسير والحديث
والشعر والتراجم

الخزانة الملكية بالرباط 5995

رسائل في مواضيع مختلفة

رسالة الى السلطان اسماعيل
منه ربعة

مخطوط خ. ع 6111 د (من 1 - 4)
1348 د (من 13 - 36) وقد نقلها
صاحب الاستقصا . 82:7 - 86

رسالة اخرى الى السلطان
اسماعيل بن عبد الله بن عبد الله
بن عبد الله

× مخطوط خ. ع. 849 ج ضمن مجموع
(من ورقة 1 - 146)

رسالة الى الملك الى العدل . في آداب
الحكم

مخطوط خ. ع 304 د ضمن مجموع
(من 111 - 116)

رسالة في نعيم اهل الجنة

مكتبة ابن غازي بمكناس

رسالة في وصل الشعر

- (35) رسالة فى واجبات المكلف
- رسالة صفوى -
- (36) رسالة الى العربى وعبد السلام
ابن الطيب القادرين
- (37) رسالة الى المهدي الفاسى
- (38) رسالة فى نصيح المومنين
- (39) رسالة الى الصوفيين الحاج
على وأبى القاسم بن معمر
- (40) رسالة لبعض الاخوان
تتضمن على نصائح دينية
- (41) شرح الطالع المنتشر - لم يكمل -
- (42) * تحريظ اللمعة الخطيرة فى
مسألة خلق أفعال العباد
الشهيرة للمبدي الفاسى
- (43) رسالة صغيرة فى التصوف
سماها الناسخ مفتاح الوصول
- (44) رسالة حول من لا يحسن
السجود والصرف هل يجوز له
أن يفسر القرآن ، وحكم الرافضى
والغناء والتصفيق وضرب
الغربال الخ
- X مخطوط خ.ع. 612 ج ، ضمن
مجموع (من ص 21 - 27) .
- ؟
- X مخطوط خ.ع. 1138 ك ضمن مجموع
(من ص 1 - 31) وفى المجموع 612 ج
(من ورقة 1/ب - 1/15)
- نفس المجموع 1138 ك (من ص 32 - 39)
- مخطوطة خ.ع. 612 ج (من ورقة 42/أ -
44/ب) .
- ؟
- X مخطوطة خ.ع. 1234 ك (من 100 -
101)
- نفس المخطوط 612 ج (من ورقة
44/ب - 45/ب)
- نفس المخطوط 612 ج (من ورقة
44/ب - 45/ب)

نفس المخطوط 612 ج (من ورقة
1/56 - 57/ب)

الواقية في الرسالة الآسفية
وهي نصيحة الى من في تعسر
أسمى وما حوله من الآسوان
والخير ختمها بقصيدة ضمنية
منقش الرسالة وأمرهم بقراءتها
مطلعها :

عليكم بتقوى الله في السر والجهر
وحاصل ما تاتون من عمل البر

مخطوطة خ.ع. 612 ج (من ورقة
57/ب - 54/أ)

رسالة في النصائح موجبة
على من بمكتاسة الزيتون
وأعمالها

المكتبة الملكية بالرباط 1577

وصية الامام اليوسى أوصى
بها أولاده وأخوانه ، وحبس
كتبه على أبنائه وطلبة العلم

(ب) أحمد المقرئ

هو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ القرطبي القلمساني ثم
المقرئ العلامة الكبير الأديب البارح والمؤلف الشهير ، صاحب كتاب **نفس**
الغيب ، و **أزهار الرياض** وغيرهما . كان أعجوبة الزمان في القدرة على الكتابة
سبعة المئة ، وقرض الشعر المحلى بأنواع البديع . كما كان فقيها محدثا ،
متمما في الرواية الدلالية يدرس الحديث على محمد بن أبي بكر الدلالي
بن عبد السيخ بعجب بقوة حافظته المقرئ وسرعة ادراكه ، لكنه
لم يترك فيه التثبت والتحرى اللازمين في الرواية فيجرحه
من طريقة المحدثين ويقول عنه : « انه حافظ ضابط غير ثقة » . ولعل
من حناية الأدب على المقرئ ، فالأدباء معروفون منذ القديم بالتساهل في
الرواية ، والتربس في النوادر والملح . الأمر الذي يتنافى وطبيعة المحدثين
الذين السند في قبول السند ، والدقة في نقل متن الحديث . ويؤيد هذه
الطريقة ما ذكره أبو سالم العياشي في رحلته (91) من أن المقرئ كان اذا أفتى
في رواية فسل عنها مرة أخرى امتنع من الجواب قانيا . مخافة أن يكون في

الدلائية ما يخالف الأولى . وما أرى ذلك إلا نتيجة لتصرفه الكبير وعدم تقيده
بمقررات الفقهاء المدونة ، حتى أنه ليوشك أن يفتى في النازلة الواحدة بحكمين
مختلفين . وبالرغم من هذا الحكم القاسى الذى أصدره فى حقه الشيخ محمد
ابن أبى بكر الدلائى وسارت بذكره الركبان ، فإن العلاقة ظلت طيبة بين
الرجلين إلى آخر حياتهما . وبقي ابن أبى بكر يشغى على المقرئ فى الدلاء ويشيد
بقدرته العلمية وأدبه الرفيع ، والمقرئ بدوره يرأسل أستاذه محمد بن أبى بكر
الدلائى من الشرق ويبعث إليه بنسخ مما يؤلفه هناك من الكتب . ويطرفه
بالنسخة الأصلية لقعيدة العمامة التى كتبها بجوار القبر النبوى الشريف
بالمدينة . ويقول فى مطلع رسالة رجليها إليه من مصر عام 1041 هـ :

خلى أن جئت الدلاء وجرى ذكرى لدى حضرة الشيخ الرضى ابن أبى بكر
نتيجة سر الأولياء محمد معرف كليات فضل بلا نكر
وأجبره أنى لم أحل عن وداده ولم يوهن البين الملم قوى صبرى
ثم يقول المقرئ فى أثناء الرسالة : « فاما الشوق إلى سيدى ووليسى فلا
يستوفى وصفه القلم واللسان ، وحدث عن مسند أحمد بما شئت من طرق هى
مع غرابتها حسان ... » (92) وقد وجه الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى إلى
المقرئ فى البلاد الشرقية أسئلة مختلفة من مهمات الاصول والفروع ، وطلب
منه أن يكتب على كل واحدة منها ما ظهر له من موافقة أو مخالفة ليخبر متى
تقدم فى العلوم الدينية ، فقبلها المقرئ ووضعها على رأسه ، وعلم أن يومه
بسببها خير من أمسه . ثم كتب عليها ما ظهر له بقدر الامكان ، وأبرزها فى
صورة تأليف حسن الوضع سماه : اعمال الذهن والفكر . فى المسائل المتنوعة
الاجناس . الواردة من الشيخ سيدى محمد بن أبى بكر ، بركة الزمان وبقيّة
الناس ، ووجهها إلى شيخه بالزاوية البكرية فسر بها كثيرا » (93) .

وكان خروج المقرئ من فاس بسبب اتهامه بالميل إلى قبيلة شراكة فى
سادها وبغيها أيام السلطان محمد الشيخ السعدى . فارتحل إلى الشرق عام
1047/1047 ورجع مرارا وجاور فى المدينة المنورة مدة ، ألف فيها كتباً عديدة
وأصل الحديث بالحرمين الشريفين . ودخل إلى مصر والشام ونال فيها حظوة
كبيرة ، وألف كتابه العجيب نفح الطيب ولكنه مع ذلك لم يصف له العيش إذ
لحق عتاً كبيراً من بعض العلماء الشرقيين الذين نافسوه وشوشوا عليه .
وكان المقرئ قد ترك زوجه وبنته وكتبه بفاس ، وظل قلبه معلقاً بذلك ، وأسرع

104 أنظر النص الكامل لهذه الرسالة فى ملحق رقم 8

103 سليمان الخوات ، الدور الضاوية . أنظر فيه هذا التوليف بتامه من ورقة 54 فى ورقة 71

إليه الهرم واشتعل رأسه نيبا . وفي محاضرات اليوسى : «حدثني الرئيس
الأجل أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد أبى بكر الدلائى رحمه الله قال :
«ما نزلنا فى طلعتنا إلى البحار بمصر المحروسة خرج للقائنا الفقيه النبيه أبو
العباس أحمد بن محمد المقرئ قال : وكنت أعرفه عند والدى لم يشب ، فوجدته
قد شاب . فقلت له : شبت يا سيدى ! فاستضحك ثم قال :

شبتنى غر ندر وفجار
وبحار فيها اللبيب يحار» (94)
توفى أحمد المقرئ فى مصر عام 1632/1041 (95) .

جدول مؤلفات المقرئ

اسم الكتاب المكتبات التى يوجد فيها

فى التاريخ والتراجم

طبع بمصر مرارا . وآخر طبعة لهذا
الكتاب ظهرت عام 1367/1949 فى 10
مجلدات .

(مطبعة السعادة بمصر)

طبع منه ثلاثة أجزاء فقط بمطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر
بالقاهرة عام 1358/1939 .

ضمن مطبوعات المعهد الحلى فى الأبحاث
المغربية وتوجد نسخة خطية تامة لهذا
الكتاب فى الخزانة العامة بالرباط
229 ك فى سفيرين ضخمين . كما توجد فى
الخزانة الملكية بالرباط ، بخط المؤلف
وبها بتر .

(1) نفع الطيب ، من غصن الاندلس
الطيب وذكر وزيرها لسان
الدين بن الخطيب

(2) ازهار الرياض فى أخبار عياض

(94) الحسين اليوسى ، المحاضرات ، ص 58 . والفردوس مشكولة فى إحدى النسخ الخطية بضم
العين وفتح الراء والذال وسكون النون . وفى متن اللغة : اغرندها واغرندها عليه :
غلاء بالشحم والقرب والقهر . والفجار (بكسر الفاء) الطرق الواسعة بين جبلين .
(95) ترجم لسقري ، محمد الأفراني فى الصفوة ص 72 وما بعدها . ومحمد النادري فى نشور
الناني ، 1571 - 1600 . والمجيب فى خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ،
ج 1 ص 304 وما بعدها . وقد ألف حبيب الجناحى من تونس كتابا فى ترجمة المقرئ

- | | |
|---|--|
| <p>تبتدىء أثناء ترجمة أحمد المنصور الذهبي . وقد طبعت بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1383/1964 .</p> | <p>روضة الآس ، العطرة الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس</p> |
| <p>ذكره المحب في خلاصة الاثر : 303</p> | <p>عرف التثني ، من أخبار دمشق</p> |
| <p>ذكره صاحب كتاب كشف الظنون : 2 : 106 .</p> | <p>شرح مقدمة ابن خلدون</p> |

في التوحيد

- | | |
|---|---|
| <p>ذكرها المحب في خلاصة الاثر : 303:1</p> | <p>حاشية على شرح أم البراهين للشيخ السنوسي</p> |
| <p>طبعت في مصر بمطبعة محمد أفندي مصطفى عام 1304 هـ بإمام شرح الشيخ عديش للعقيدة السنوية . وتوجد منها نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط 2742 ك .</p> | <p>اضاءة الدجنة ، بعقائد أهل السنة وهي عقيدة تلاميذ من بحر الرجز ودرسها في الحرمين الشريفين وسائر بلاد المشرق التي زارها . وانتسخت منها في حياة المؤلف نحو ألفي نسخة (96)</p> |
| <p>الخزانة الملكية بالرباط 3544 و 5928</p> | <p>اتعاف المغرم المقرئ في شرح الصفري للشيخ السنوسي</p> |

في الفقه

- | | |
|--|--|
| <p>ذكره المحب في خلاصة الاثر : 303</p> | <p>قطب المهتصر في شرح المختصر وهي حاشية على مختصر الشيخ خليل</p> |
|--|--|

توجد ضمن كتاب البدور الضاوية
بالجزانة العامة بالرباط من ورقة
1/64 الى ورقة 71/ب .

أعمال الذهن والفكر ، في المسائل
المشوعة الاجناس ، الواردة من
الشيخ سيدي محمد بن أبي
بكر ، بركة الزمان وبقيّة
الناس .

في السيرة النبوية

توجد منه عدة نسخ خطية في الجزانة
العامة بالرباط ، أحسنها في المخطوط
565 ج وهو مطبوع بالهند

نفس المخطوط السابق 565 ج - في
الاخير -

مخطوط خ، غ 984 د ضمن مجموع
(من ورقة 99/ب الى ورقة 106/أ)

فتح المتعال ، في مدح المتعال
وهو كتاب جمع فيه ما ورد في
المتعال الشريفة من الاحاديث
الثبوتية ، وتوسع في الشرح
والاستقصاء .

رجز في المتعال الشريفة
كان المقرئ قد جعل هذا الرجز
خاتمة لكتابه السابق : فتصح
المتعال ثم أفرد في نسخة بعث
بها الى الشيخ محمد بن أبي
بكر الدلائي ، فانتشرت في
المغرب .

ازغار الكمامة في شرف العمامة
وهو رجز في موضوع العمامة
المعوية أرسل المقرئ النسخة
الى كتبتها في المدينة المنورة
الى الشيخ محمد بن أبي بكر
الدلائي ، ويشتمل هذا الرجز
على نحو 320 بيتا ، ومطامعه :
في القدر المقرئ المرتجي
دخول باب العفو غير المرتج
هذا لمؤلف شرف العمامة
بليس من ظلل بالعمامة

(14) الدر الثمين في أسماء الهادي | ذكره المحب في خلاصة الاثر 1 : 303
الامين

في علم الجدول وسر الاسماء

(15) نيل الحرام المقتبط لطالب
المخمس الخالي الوسط
وهو رجز في علم الوفاق وسر
الاسماء مطلعه :
أحمد من وفقنا وأفهمنا
ما لم تكن نعلمه وألهمنا

مخطوط خ.ع 2878 ك

مواضيع مختلفة

(16) البداية والنشأة
وهو كتاب مملوء أدبا ونظما
(17) الفث والسمن ، والرث والشمين

ذكره المحب في خلاصة الاثر 1 : 303

ج) العربي الفاسي

أبو حامد محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي ، المؤرخ
الأديب ، العلامة المشارك ، مؤلف كتاب مرآة المحاسن ، يمتاز بالجرأة النادرة
في الحق ، والدعوة الى الدفاع عن حوزة الوطن ، وهو الذي أفتى بوجوب
الجهاد لطرد المحتلين الاجانب من الثغور ولو مع عدم وجود الامام ، تأييدا
لمجاهد العياشي السلولي . ومما ورد في هذه الفتوى الطويلة قوله : «ولا
نؤمن منهم أن ترك مدائن المسلمين في أيدي الكفرة يدل على عدم الوجوب ،
لأن ذلك من تفسير الملوك ، وهم بذلك في محل العصيان ، لا في محل الاقتداء
بهم والاستئذان ، ولا فرق في الحكم بين ما أدركنا من أحدهم كالعرائش والمعمورة
وإن كانت غير معمورة ، وبين ما لم ندركه كسيطة وطنجة (97) ، لأن الوجوب
متعلق بالمسلمين لا ببقاء زمان ولا مكان . » (98)

وكانت حادثة تسليم العرائش للاسبانيين على يد الشيخ الماعون السبعدي
طعنا منه في نصرة طاغية النصارى ومساعدته له على استخلاص الملك من يد

(97) كان استيلاء الاسبانيين على سيطة عام 1416/819 م ، وعلى طنجة عام 1437/841 وعلى
المعمورة عام 1513/921 ، وعلى العرائش عام 1610/1019 .
عبد العزيز الزياتي ، الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجهال غفارة 1/121 ب

أخيه زيدان ، وما ترتب عن ذلك من استفتاء المأمون علماء فاس لتبرير فعلته
الشنيعة مدعيا اضطرازه لافتداء أولاده وحسمه المرهونين في بلاد العدو بهذا
التغر الإسلامي ، كانت هذه الحادثة سببا في خروج أبي حامد الفاسي وأخيه
الحافظ أحمد من فاس فرارا بدينهما . وامتناعا من مبالاة ذلك الأمير الضال
على فساده وبغيه ، وقصدا قبيلة مسمودة بناحية وزان ، حيث توفي الإمام
أحمد الفاسي هناك بعد نحو سنة من خروجهما (99) . وبقي أبو حامد منتقلا
في البوادي ، وكان أكثر إقامته في هذه الفترة بالزاوية الدلائية ، حيث أخذ
عن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي . وسمع منه صحيح البخاري ، وتصدر
للتدريس فتتلمذ له أكثر علماء الدلاء ، وأجاز منهم الشرقسي بن أبي بكر
الدلائي ، وأخاه أحمد الحارثي وغيرهما . وقد ذكر العربي الفاسي في آخر
كتابه **مرآة المحاسن** محمد بن أبي بكر الدلائي في جملة تسيوخته وخصص له
ترجمة حافلة قائلا عنه : «عالم حافظ دراك ، خاتمة مشايخ المغرب انتهت إليه
رياسة الدين والدنيا ، واستقل بسياسة الأمور الجذيلة والرتب العليا» (100) .
وكانت تطوان خاتمة مطاف أبي حامد ، وبها توفي عام 1042/1052 (101)

(د) علماء آخرون تخرجوا في الزاوية الدلائية

الاخوان العكاريان

الاخوان العكاريان محمد وعلي درسنا معا بالزاوية الدلائية وتخرجنا فيها
على يد الإمام أبي علي اليوسفي وغيره ، ثم قصدا مدينة فاس واستغلا فيها
بالتدريس مدة ، وأخيرا رجع محمد العكاري الى مسقط رأسه بمراكش وأقام
بها الى أن توفي ، بينما قصد أخوه علي العدوتين واستقر بهما الى أن وافاه
الأجل بمدينة الرباط . هذا ما اتفق عليه كل من تعرض لخبر هذين الشيخين ،
خصوصا أبا الحسن العكاري الحفيد في كتابه **البدور الضاوية في ذكر الشيخ**
وأصحابه وبناء الزاوية الذي ترجم فيه لجده علي العكاري صاحب الصريح
المشهور في الرباط . لكن المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان صاحب **انحاف اعلام**
الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس جعل الرباطي من الاخوين العكاريين هو

(99) كان خروج الاخوين أحمد وأبي حامد من فاس صبيحة يوم السبت السابع عشر من صفر
عام 1012/1011 كما ذكره في **مرآة المحاسن** ، ص 59 . وتوفي الحافظ أحمد الفاسي
عام 1012/1011 .

(100) العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن** ، ص 225 وما بعدها .
(101) يرجع في ترجمة العربي الفاسي الى : محمد القادري : **نشر الثاني** ، 1 : 180 - 183 .
السلطان سليمان العلوي : **عناية أول المجد** ، ص 67 - 34 . محمد بن جعفر القاسبي
السلوة ، 4 : 313 - 315 .

محمد (102) ونسب إليه كثيرا مما ذكره الناس لآخيه علي ، معبرا عن مؤلف **البدور الضاوية** المذكور بأنه حفيده ، ناقلا عنه بالنص فقرة طويلة لم أجدها في النسختين المحفوظتين بقسم الوثائق من الخزانة العامة بالرباط (رقم 88 و 233ك) وإن كانت بعض الأخبار التي يتحدث عنها النص المنقول موجودة في النسختين المذكورتين بعبارة أخرى . لذلك نتساءل : هل هناك كتابان في مناقب شيخ الرباط العكاري ؟ أم أن الأمر يتعلق بنسخ مختلفة لكتاب واحد ؟ ويرجح الاحتمال الثاني لما ذكره المؤرخ الرباطي محمد بوجندار في كتاب **الاعتباط** من أن النسخ الموجودة من **البدور الضاوية** كلها مبثورة من الاوائل والواخر والاثناء ، وأنها وقعت أولا في يد الفقيه الحاج محمد بن الغازي الرباطي فلقق ما عثر عليه منها وأنشأ لها خطبة وخرجها بعد التنبيه على ما بها من البثر (103) ولعل الخزانة الزيدانية تحتوي على نسخة سالمة من ذلك البثر كله أو بعضه . غير أن تسمية شيخ الرباط محمدا العكاري سبق قلم لا يحتمل الشك ولا يقبل الجدل ، إذ المتواتر عند الناس خلافه ، والقصائد الكثيرة التي قيلت في رثاء شيخ الرباط تكتيه أبا الحسن أو تسميه عليا .

... فغدا مع الشيخ الشريف أبي حسن علي أوحده العصر
وفي مرثية الاديب أحمد بن محمد عمور الفاسي :

... ذخري أبو الحسن الشريف أخو الفضال والاكرام ذو العزم
والخلط واقع كذلك لامحالة عند المؤرخ ابن زيدان في قوله أن أبا
الحسن العكاري مؤلف **البدور الضاوية** هو حفيد الشيخ محمد العكاري ، مع
أن ترجمة العكاري الحفيد معروفة بخلاف ذلك . بل نجده هو نفسه يترجم في
كتاب **البدور الضاوية** لوالده محمد ، وأجده علي . ويذكر محمدا العكاري دفين
مراكش على أنه أخو جده . وقد عد ابن زيدان من تلاميذ العكاري الرباطي
القاضي عبد الله بناني وأحمد عاشور ، مع أن الأول اتصلت حياته إلى حدود
عام 1220/5 - 1806 والثاني إلى حوالي عام 1250/34 - 1835 . والتأيت في
كتب التراجم أن الشيخ عبد السلام بناني جد القاضي عبد الله بناني هذا هو
الذي أخذ عن الشيخ علي العكاري بالرباط .

والعكاري المراكشي هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الشريف
الحسني كان أديبا خطيبا مصقعا ، استقر بالزاوية الدلائية طالبا للعلم مدة

طويلة . ساكننا مع رفيقه ابن عبد الرحمن الصومعي في بيت واحد من بيوت مدارسها . ولما لحق به أخوه علي من مراكش ليدرس كذلك بالزاوية أقام معهما في نفس البيت . وقد حضر محمد العكاري مجالس الدلائيين في مختلف الفنون . ولازم دروس الشيخ الحسن اليوسي أخذاً عنه النحو والبيان والمنطق والفقه والاصول والتوحيد الى أن نال منه اجازة عامة . ولما حصل على ملكة علمية أخذ يدرس بالزاوية الدلائية للمبتدئين من الطلاب ، وكان من جملة الأخذين عنه فيها رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي .

وبعد تخريب الزاوية الدلائية توجه محمد العكاري الى فاس ، وأقام بها مدة يطلب العلم . وأجازه الشيخ عبد القادر الفاسي اجازة عامة قبل أن يرجع الى مكناس رأسه بمراكش . لكنه لم يستقر به المقام طويلا حتى ورد عليه كتاب السلطان اسماعيل يأمره بالتقدم الى مكناس ليكون امامه في الصلوات ، وخطيب الجمعة والاعياد في المسجد الكائن داخل القصبة السلطانية ؛ فاستقر محمد العكاري بالعاصمة الاسماعيلية مدة اشتغل فيها علاوة على الامامة والخطبة بالتدريس وإفادة الطلاب . وتخرج على يده عدد كبير منهم . وقد ابتلى هذا العالم في أواخر حياته بالمرض المعروف (بالضيق) فطلب من السلطان أن يأذن له في الرجوع الى مراكش «فأعفا» وتركه بعد أن كتب له عهدا كبيرا بليغا باحترام جميع من هو في جواره . وتوقيعهم ومحاشاتهم» (104) وألح المرض على الشيخ العكاري في مراكش ، الى أن توفي ، ودفن بتربة جده الامام الشيخ التركي ، اذ هي مقبرة آل العكاري بمراكش . ولم يذكر له حفيد أخيه الاخير ممن ترجم له تاريخ وفاة . وأعلمه هو الذي توفي عام 81/1092 - 1682 لا أخوه شيخ الرباط علي ما ذكره ابن زيدان في **الانحاف** نقلا عن كتابشة الوزير اليعمدي (105) .

وأما العكاري الرباطي فهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسني ، العلامة المشارك المدرس النفاع ، ورد الزاوية البكرية طالبا للعلم بعد أن صاحب الشيخ محمد بن عبد الله السومسي وأخذ عنه طريقة التصوف في مراكش . وكان مع أخيه في البيت فاذا هو بحالة أخرى من التحري ومجاهدة النفس

(104) عن العكاري الحميد . البدور الضاوية ص 105

(105) الحمدي هو العلامة محمد بن أحمد وزير السلطان اسماعيل وأمين مكتبته . له كتابات علمية هامة في 10 مجلدات بالخزانة الزيدانية بمكناس ، وفي الخزانة العامة بالرباط نسخة في مجلدين ضخمين بخط دقيق تحت عدد 5330 . انظر ترجمة محمد العكاري في : علي العكاري . البدور الضاوية . في صفحات منفردة وعاس بن ابراهيم . الاعلام . ج 4 ص 303 . وأحمد الولاي . مباحث الانوار . في صفحات منفردة .

والوقوف على الحدود ، فكان لا يفتاب أحد بين يديه ومع ذلك فهو يتشاركنا في
أخذ العلوم الآلية عن الشيخ ابن مسعود مثل البيان والمنطق وأصول الفقه
ولمهرها كالفقه وأصول الدين (106) وكان ذكيا حسن الإدراك لا يحفظ القرآن
الكريم ولا المنون ، خلافا لما كان شأنها في ذلك الوقت من تغلب الحفظ على
الفهم ، فكان رفاقه الطلبة يتعجبون من حسن تحصيله بالرغم من عدم امعانه
السطر في الشروح والحواسي ، خصوصا وقد كان يدرس معهم كتباً صعبة مثل
جمع الجوامع في الأصول بشرح جلال الدين المحلي ، فيطالعها مرة واحدة قبل
حضور المجلس ويكفيه ذلك لتفهم الموضوع والاحاطة به . وقد أجازاه مع أخيه
محمد المتقدم الامام الحسن اليوسفي اجازة عامة ، ذكر فيها أنهما لازما دروسه
في مختلف الفنون . كما أجازهما الشيخ عبد القادر الفاسي (107) وبعد
تخرجه الزاوية الدلائية قصد على العكاري مدينة فاس واشتغل بالتدريس
فيها ، ويحدثنا القاضي أبو عثمان سعيد العميري المكناسي (108) عن هذه
الفترة من حياة علي العكاري بقوله : لما دخل الشيخ علي العكاري حضرة فاس
حين فقل من الزاوية الدلائية ، والعلماء اذ ذاك متوافرين بها غاية ، وكنت
حينئذ بالحضرة المذكورة بصدد تحصيل العلم ، شرع يدرس **كبرى الامام
السنوسي** (109) بجامع القرويين منها . فسمع بذلك فقيهاء الحضرة وكان
هذا الكتاب من أجل ما يتنافس فيه المتنافسون ، فاجتمعت جماعة من الفقهاء ،
وجئنا قاصدين مجلسه لننظر قراءته ونختبر حاله ، بقصد الانتقاد عليه
والامتحان له ، فحضرنا مجلسه بهذه النية ، فألفينا جالسا وقد غص عليه
الجلس بالطلبة ، وضربوا عليه حلقة عظيمة حفيظة ، وهو يدرس بصوت فصيح
جدير ، وشاشيته مائلة لاحد شقي رأسه اشارة الى تمهره ، وعدم اكترائه

(106) أحمد بن يعقوب الزلائي . مباحث الانوار ، ورقة 1/7

(107) أنظر نص اجازة الامام الحسن اليوسفي وعبد القادر الفاسي للآخرين العكاريين في :
علي العكاري ، **البدور الضاوية** ، ص 2 - 5

(108) سعيد بن أبي القاسم العميري . بفتح العين وكسر الميم نسبة الى بني عمير قريش تادلا
المشهورين . كان آية في النحو والبيان ، اختاره السلطان اسماعيل للتدريس بحضرة
بولاية قضاء عاصمته . وجعل له الشورى في مهماته ، فكان له بذلك نفوذ كبير في
البلاط الاسماعيلي بكناس ، حتى كان يعبر عنه بعض معاصريه بالوزير . أخذ العميري
عن الشيخ علي العكاري والحسن اليوسفي وطبتهما . وتوفي بكناس عام 1718/1131 .

(109) الامام السنوسي هو محمد بن يوسف عالم نلسان وامامها الكبير ، صاحب العقائده
الكبرى والوسطى والصغرى والصغرى الصغرى ، وصاحب الحواسي على صحيح
مسلم توفي بلسان عام 895/80 - 1490 .

بمستند عليه . لمعرفة لاحكام الفن المذكور . وكأنه تحدى بذلك الكتاب
أن ذلك ... (110)

وبعد ذلك توجه على العكاري الى مدينة سلا ، وأقام فيها يدرس العلم
بمسجدها الاعظم ، وأخذ عنه كثير من أعلامها ، كالقاضي أبي عبد الله محمد
المصوري السوسي (111) والقاضي أبي عبد الله محمد زنيبر (112) والفقير
أبي محمد عبد الله الجزار بن أحمد حجي (113) . والعلامة أحمد بن عاشر
الحافي (114) والأديب محمد ملاح (115) . وكان الأمير عبد الواحد بن السلطان
اسماعيل (116) ساكنا بالرباط ، فلما سمع بالشيخ على العكاري قصده بسلا
للأخذ عنه ، ثم طلب منه أن ينتقل الى العدوّة الأخرى ، فلبى الشيخ طلبه ،
ونزل معه بداره في رباط الفتح ، وبدأ يلقي دروسه في ضريح أبي العباس
أحمد بن موسى العائدي (117) تارة وفي المسجد الاعظم تارة أخرى ، وكان

- (110) على العكاري الحفيد ، البذور الضاوية . ص 7 .
- (111) محمد المصوري السوسي قاضي سلا والمحلة البخارية . له شرح على مختصر السنوسي
في المطق . وشرح على كبراه . وحواسر على العقيدة الكبرى للسنوسي أيضا . توفي
عام 1720/1142 ودفن بزاوية سيدي مغيث في حي الطالعة بسلا .
- (112) أبو عبد الله محمد زنيبر المحدث الأديب قاضي سلا . صاحب شرح تهذيب البوصيري
وقعت له محنة مع عامل سلا عبد الحق قنيش فهاجر مدة الى الرباط . كان حيا عام
1752/1165 وقبره في سلا معروف بالقرب من ضريح الشيخ أحمد بن عاشر . انظر
ترجمته في : محمد بن علي الدكالي . الاتحاف الوجيز . ص 105 .
- (113) عبد الله الجزار حجي اشتهر بالعلم والنسك . وكان من أخص تلاميذه الشيخ على العكاري
وأحبهم اليه . لازمه حتى بعد انتقاله الى السكنى بالعدوّة الأخرى فكان يحضر معه
صلاة الجمعة في الرباط ولا تفوته مجالسة العلمية فيه . توفي عام 1710/1122 .
- (114) أبو العباس أحمد بن محمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي السلاوي صاحب الفهرست
التي ذكر فيها علماء عصره . ومؤلف تحفة الزائر في ترجمة فخر سلا ابن عاشر الذي
عرف فيه بالشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي . وتوفي أحمد الحافي بسلا
عام 1163/40 - 1751 .
- (115) أبو عبد الله محمد ملاح السلوي . قال عنه أبو الحسن العكاري الحفيد مؤلف البذور
الضاوية انه كان يعبر النهر كل يوم ليحضر مجالس الشيخ على العكاري بالرباط .
وقد وقف له على فصائد رائعة بلغة . وكتب بعضهم في التمام انه عاش الى حدود
عام 1175/61 - 1762 .
- (116) الأمير عبد الواحد بن السلطان اسماعيل العلوي . أمه عربية من قبيلة بني مالك الشهيرة
بصواحي سوق أربع الغرب . وهي قبيلة المجاهد محمد العياشي السلاوي ولعل لذلك
علاقة بإقامة الأمير بالعدوتين ولم أخت على تزيين وفاته .
- (117) يوجد هذا الضريح بحي السويقة بالرباط قرب مسجد مولاى سليمان ينتهسا طريق
معدية بين (البويبة) وسيدي قانع .

يختصر هذه المجالس العلمية علماء العدوتين ، كابنه محمد العكاري (118) وأبي العباس أحمد والزهره (119) وعامل الرباط أحمد حجي مرينو الاندلسي (120) وأخيه القاضي محمد مرينو (121) وأبي عبد الله محمد الزبدي (122) والحافظ أحمد بن عبد الله الغربي (123) وقد لقي الشيخ على العكاري السلطان اسماعيل وتحدث معه طويلا ، وتختلف الروايات في مكان هذا اللقاء وكيفيته . فيروي أبو الحسن العكاري الحفيد - على ما ورد في نسخة الخزنة العامة بالرباط - عن الفقيه أبي يعزى بن محمد المستطاسي السلاوي تلميذ الشيخ على أن الملاقاة كانت بمدينة مكناس وزاد قائلا : «... وأنا حاضر واقف خلف الشيخ إذ ذاك . فحين تلافي بالملك خضع له الملك وأهوى ليد الشيخ يريد تقبيلها . فقال له الشيخ : لا تفعل وقل السلام عليكم . فطلب منه الدعاء بأن قال له : يا سيدي على ادع الله لي . الله يجعلني عبدا مخلصا لله . فقال له عند ذلك : اللهم آمين . الله يجعلك يامولاي عبدا مخلصا لله . وفرح الملك بذلك فرحا شديدا ، وعظمه غاية التعظيم وقال له : أردناك أن تكون امامنا في هذا المسجد ، وكان إذ ذاك يبنى مسجد الأنوار (124) بمكناسة دار مملكته . فقال له الشيخ رضي الله عنه : جسي يتم المسجد بالبناء إن شاء الله ولا يكون إلا ما يحب السلطان ...» (125)

(118) محمد بن على العكاري العلامة المشار له بقسرا إلا على والده . وكتب من أملاء والده لعالم قيمة على مختصر الشيخ خليل . و الفية ابن مالك . و كبرى السنوسى . و سلم الأخرى وغير ذلك . وتصدر بعد والده للتدريس والافتاء بالرباط . لم أقف على تاريخ وفاته

(119) أبو العباس أحمد بن يحيى والزهره . عالم مشارك أجازته الشيخ العكاري إجازة عامة . وكان جده من وجهاء الاندلسيين أهل الحل والعقد بالرباط وأواخر المولى السعدية . توفي بعد عام 1098/1110 في سفره إلى الحج بعد أداء الفريضة

(120) أبو العباس أحمد حجي الاندلسي الأديب الشاعر الرواحي . كان يسرد صحيح البخاري على الشيخ العكاري بالمسجد الأعظم بالرباط . مات بعد عام 1135/1722 .

(121) محمد مرينو قاضي الرباط أخذ عن الإمام المستناري الدلائي في فاس ثم عن الشيخ العكاري بالرباط . وقد خلف أخاه أحمد في سرد صحيح البخاري بين يدي الشيخ العكاري . توفي بعد عام 1143/1730

(122) محمد بن الحجاج إبراهيم الزبدي الاندلسي أحد فقهاء الرباط المتخرجين على يد الشيخ العكاري ومن أكبر خواصه . ترجم له محمد بوجندار في الاغتيباط ورقة 57 ولم يذكر تاريخ وفاته

(123) الحافظ أحمد بن عبد الله الغربي العلامة الرحالة الذائع الصيت بالمغرب والمشرق توفي عام 1204/1179 ودفن بالزاوية المنسوبة إليه قرب ضريح مولاي ابراهيم بمدينة الرباط

(124) مسجد الأنوار بكناس هو المعروف اليوم بمسجد سوق النباط . أنظر أخباره في الانصاف (1 : 162)

(125) على العكاري الحفيد ، البيوز الضاوية . ص 44

ويذكر ابن زيدان في كتاب **الاتحاف** أن اللقاء بين السلطان اسماعيل والشيخ العكاري كان في المسجد الاعظم بالرباط ، وذلك - على ما يظهر - من جملة النص الذي نقله عن **البدور الضاوية** ، قال : « ثم ورد السلطان الاعظم مولانا اسماعيل على رباط الفتح ولما التقى به نجله المولى عبد الواحد المذكور حدثه بحال الشيخ المترجم ومناقبه وفضائله ومحاسنه . فقال له : لا بد لي أن التقى معه في هذا اليوم وأخذ عنه الطريقة الشاذلية تبركا . فركب السلطان وولده ، فوجدوا المترجم بالجامع الاعظم يسرد **صحيح الامام البخاري** . وكان السارد لديه الفقيه العلامة القاضي سيدي عبد الله بناني الاندلسي (126) ولما دخل السلطان على تحية المسجد وجلس لاستماع الحديث والشيخ لم ينظر اليه . ولما تم الدرس نظر الشيخ الى القاضي وقال له : اختتم القاتحة فقال له حاشا معاذ الله والسلطان ينظر بعينه . ولما قام من مجلسه جذب به السلطان وعانقه وجلس بازائه وقال له عظمي يا ولي الله . وتذاكروا ساعة زمانية وانفلقوا (127) .

ويذكر ابن زيدان بعد ذلك أن الشيخ العكاري لما رجع الى داره بعد هذه المائدة وجد بها عمالا كثيرا أهداه اليه السلطان اسماعيل ، فبعث الى تلميذه أبي عبد الله الزبدي وقال له : خذ هذا المال وافعل به ما شئت . فاشتري الزبدي للشيخ دارا كبيرا بدرب البروزي من حومة السويقة (128) مجاورة للدار الصغرى التي كان يسكنها ودفن فيها بعد مساته . ولم يتفصل السلطان عن الرباط وينوجه الى سجلماسة - حسب رواية ابن زيدان - الا بعد أن صحب معه الشيخ العكاري وعشرة من تلاميذه من فقهاء العدوتين وذلك ليؤم به في الصلوات الخمس ويختتم معه صحيح البخاري ، ويتبرك به أنجال السلطان في تافيلالت .

ولما استرد السلطان اسماعيل مدينة الميمنية من يد الاسبان عام 1692/1701 وكان قد شارك في هذا الفتح كثير من المجاهدين السلاويين ، منهم الشيخ أحمد حجي رفيق الشيخ علي العكاري وصديقه الحميم ، طلب السلاويون من السلطان اسماعيل أن يأذن برجوع الشيخ علي العكاري الى مدينتهم فوافقهم

(126) لا يوجد اسم عبد الله بناني من بين تلاميذ الشيخ علي العكاري في نسخة **البدور الضاوية** المحفوظة بخزانة الرباط . ولم يترجم بوجتهار في **الاعتباط** الا للقاضي عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني المولى في حدود العشرين من القرن الثالث عشر الهجري .
(127) عبد الرحمن بن زيدان ، **اتحاف اعلام الناس** ، ج 4 ، ص 199 .
(128) ما يزال حقله الشيخ علي العكاري يسكنون هذه الدار بزنقة سيدي عمر يحيى السويقة في الرباط ، وهي متصل بطريق الشيخ العكاري بواسطة ممر صغير (خراقة) مخرج من حوزة حنفي اليوم

على ذلك وعاد العكاري من جديد الى سلا ، وسار فيها سيرته الاولى من تدريس العلم بمسجدها الاعظم وأقبل عليه طلبتها وعلمائها اقبالا كبيرا . ولا ندري المدة التي قضاها الشيخ على العكاري في هذه الإقامة الثانية بسلا . ولعلها لم تطل إذ كانت للشيخ تعلقات كثيرة بالعدوة الاخرى ، لاسيما وهو يمتلك هناك دارين صغيري وكبرى كما رأينا . فرجع الى الرباط وقضى بها آخر أيامه في حالة مرضية من النسك والعبادة ، ونشر العلم وتعميم الافادة ، الى أن توفى عام 1706/1118 (129) .

محمد بن عبد الرحمن الصومعي

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الزهراني التادلي الصومعي ، نسبة الى قرية الصومعة الشهيرة بتادلا (130) العلامة المشارك ، الورع الصالح ، صاحب شرح سينية ابن باديس (131) وشرح همزية البوصيري (132) . مكث مدة طويلة في الزاوية الدلائية مقيما في غرفة من غرف مدارسها مع الاخوين العكاريين المتقدمين . وكان يلزم مجالس الشيخ أبي علي اليوسفي وغيره ، ثم

(129) جعل ابن زيدان وفاة الشيخ العكاري الرياضي عام 81/1092 - 1082 تقلا عن كتابته الوزير المصمدي . وهذا من ذيول الخلط بين الاخوين العكاريين وربما كان المتوفى في هذا التاريخ هو محمد العكاري دفين مراكش ، إذ هو أكبر من علي سنا ، فيايب عادة أن تتقدم وفاته عليه ، كما انه هو الذي يستأثر باهتمام الوزير المصمدي أكثر مادام قد عاش وأبى في بلاط السلطان اسماعيل اماما وخطيبا كما تقدم في ترجمته (130) ما تزال قرية الصومعة قائمة حتى اليوم متصلة بمدينة بني ملال . وقد أنجبت كثيرا من العلماء مثل عبد الرحمن بن اسماعيل الصومعي صاحب التشوف في رجال السادات أهل التشوف المعروف بالتشوف الصغير . وأحمد بن أبي القاسم الصومعي شيخ زاوية الصومعة أيام ازدهار الزاوية الدلائية ، وهو الذي أجاز المقرئ صاحب فتح الطيب وأخرج له ستين مجلدا كلها من تصنيفه ، وكانت له خزانة علمية تحتوي على 1080 مجلدا . توفى عام 1604/1013 .

(131) أبو الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القسنطيني ، صاحب النجاة القدسية وهي قصيدة سينية مقلتها :

الأصل الى بغداد فهي هنا النفس . وجدت بها عين ثوى باطن الرمس
ذكر فيها الشيخ عبد القادر الجلاني واشهر تلاميذه وجعل لها شرحا سماه اللوحات
الانسية وقال محمد القادري في نشر المشائي (108:2) انه وقف على شرح الصومعي لهذه
السنية وهو شرح عجيب جمع فيه بين الاختصار والتحقيق ، وتوفى ابن باديس
عام 787/1385 م

(132) شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المصري المتوفى عام 696/1296 . له قصيدتان شهيرتان في مدح الرسول الكريم أحدهما بحنية وتعرف بالبردة والاخرى همزية وسلمها :
كيف ترقى رقيبك الانبياء يا سماء ما طاولتها سماء
ولها شروح كثيرة . ويشار شرح الصومعي بعدم الإطالة والاستطراد ، والاقتصار على ما لابد منه لتحليل الايات ومعرفته ما تشير اليه من احداث في السيرة النبوية الكريمة . ويوجد هذا الشرح في قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 233/ك . ضمن مجموع

انقطع مدة عن دروسه للالتحاق بمراكش من أجل الاتصال بالشيخ الصوفي محمد بن عبد الله السموسي وسلوك طريق القوم على يده . فافتتح اليوسفي سفرة إذ كان يرى فيه استعدادا كبيرا للاستفادة من دروسه ويعدده من أنجب تلامذة الذين ينوون فيهم الاهلية لتحمل الامانة العلمية . ولم تطل غيبة الصومعي في مراكش ، فخرج منها مع شيخه ابن عبد الله السموسي راجعا الى زاوية الدلالية عام 1071/1660 وانقطع من جديد الى دروس الامام اليوسفي وغيره من العلماء الدلائيين ، الى أن تخرج عالما كبيرا ، ومصلحا ناصحا . وزعم الصومعي بعد حادثة تخريب زاوية الدلاء ، الى مسقط رأسه في تادلا بالي هناك على نشر العلم بين طلبة قبيلته وغيرهم من أبناء الاقليم التادلي . ويقال الآخرون عنه فيها ، وأجمع الناس على محبته وتعظيمه . وصار له حواشي بارشاده ، ثم صاحب الشيخ الصوفي أحمد بن عبد الله صاحب زاوية محمية بقاس وحج معه الى بيت الله الحرام عام 1100/1688 ، وظل يردد اليه في مناسبات الاعياد الدينية . ويحدثنا أحمد الولالي عن حال رفيقه الصومعي عام 1109/1697 وهو التاريخ الذي ألف فيه **مباحث الانوار** بقوله : « وهو وفقه الله تعالى الى الآن مقبل على ما يعنيه من العلم والعمل . تخرج عليه في العلم من أصحابه ، وتهذب بمصاحبته أخلاقهم وهو حسن العهد . منقطع من تولاة ، لا يرى غالبا الا ذاكرا أو مشغلا بالعلم تعليما ومطالعة أو مذاكرة . وعرفه ذو النصارى ، سليمان الصدر .. » (133)

توفي محمد بن عبد الرحمن الصومعي عام 1123/1712 (134) .

أحمد بن يعقوب الولالي

أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي (بفتح الواو والمديد اللام الاولى) نسبة الى بني ولال إحدى بطون قبيلة آيت عطا (بشديد الظن) الصنهاجية المشهورة بأقصى جبال ملوية (135) وكان أحمد بن يعقوب من أعلام زمانه علما وتدينا «يجيد التعبير عن كل ما يريد» متبحرا في العلوم

أحمد بن يعقوب الولالي ، مباحث الانوار . ورقة 1/34

ترجم للصومعي أحمد الولالي في مباحث الانوار . ورقة 1/31 وما بعدها . ومحمد القافري

من نشر الثاني ، 108:2 - 109 ،

لبنى ولال صلوات وثيقة قديمة بأبناء عمومتهم الفجاطيين ، وكان محمد بن يعقوب الولالي من مريدي أبي بكر الدلائي وعنه أخذ الطريقة السبائية كما كان ابنه محمد الولالي من تلامذة محمد بن أبي بكر الدلائي . قضى أحمد هذا حياته كلها يطلب العلم في الزاوية المكنية ولم تنصرف الصلوات بين القبيلتين المريريتين على الناحية العظمى بل شملت الناحية الغربية أيضا . فكان بنو ولال من أهم القبائل الناصرة للرئيس محمد الحاج الدلائي ومن أحسن العناصر التي يعتمد عليها في ناحيته فكانوا وحاس وسهول سائرين لذلك تعرض الولاليون لغارة الرشيد بن الشريف قدوخهم قبل أن يتوجه الى الدلاء .

بحقها لها (136) انقطع الى طلب العلم في الزاوية الدلائية زمنا طويلا مقيما في
احدى مدارس الزاوية ، وقد توثقت الصلة بينه وبين محمد بن عبد الرحمن
الصومعي والاخوين العكاريين المتقنين . درس على الامام ابي علي اليوسفي
واضرابه مختلف الفنون من فقه ، واصول ، ونحو ، ومنطق . ومن اهم الكتب
التي درسها هناك ، **جمع الجوامع للسبكي** ، **ومختصر الشيخ خليل** ، **وتلخيص**
المفتاح للغزويني ، **والتسهيل لابن مالك** . ولما حل الشيخ محمد بن عبد الله
الصومسي بالزاوية البكرية كما تقدم ، اخذ عنه احمد الولالي الطريقة الصوفية ،
فاكمل بذلك تكوينه العقلي والروحي . وبعد افول نجم الزاوية الدلائية قصد
احمد الولالي مدينة مكناس واستقر بها متصدرا للتدريس في قصبة الحضرة
السلطانية الاسماعيلية ، واقبل الطلبة على مجالسه العلمية المفيدة . ومن
تخرج على يده من علماء مكناس ابو القاسم بن سعيد العميري (137) والطبيب
عبد القادر بن شقرون (138) . واثف احمد بن يعقوب كتباً عديدة أغلبها شروح
وحواش على الطريقة المعروفة في عصره . منها شرح **مختصر المنطق** للشيخ
السومسي . وشرح **السلم المروتنق** في المنطق ايضا للاخضري (139) وشرح
تلخيص المفتاح ، في البلاغة للطبيب الغزويني . وشرح **لامية الافعال** ، في
التصريف لابن مالك ، وشرح **روضة الازهار** في التوقيات للجادري (140)
وحاشية على شرح **المحلى** لجمع الجوامع . في الاصول . ولعل اهم كتبه
وابيدها جميعا هو كتاب **مباحث الانوار في اخبار بعض الاخيار** ، الذي ألفه
في مطلع القرن الحادي عشر الهجري للتعريف بشيخه ابي عبد الله الصومسي .
وذكر فيه كثيرا ممن أخذوا عنه ، كما ترجم فيه لابييه وجده ، وشيوخه من
الدلايين وغيرهم ، ولطائفة مهمة من العلماء الذين لقيهم او كاتبهم . وقد
خصص احمد بن يعقوب الخاتمة لذكر من اشتهر شرقه بالمغرب ، وفي هذا

(136) محمد الجادري . نشر الثاني 1414

(137) ابو القاسم هذا هو ابن القاضي سعيد بن ابي القاسم العميري المتوفى . وكان من آله
فقهيا تولى القضاء بمكناس وأخذ عنه كثير من العلماء . توفي عام 1178/1144 - 1705

(138) عبد القادر بن العربي المنهجي المدغري ، المعروف بابن شقرون المكناسي الفقيه النحوي
الاديب الطبيب الشارح . من مؤلفاته شرح **اليسيط** والتعريف في التصريف المذكورين
والارجوزة الطبية المعروفة بالشرقونية . مات بعد عام 1140/1727

(139) عبد الرحمن بن محمد الصغير الاخضري . مؤلف **السلم المروتنق** في المنطق ورسالة
الحساب و **الجواهر المكنون في الثلاثة فنون** - المعاني والبيان والهدى - وغيرها من
الكتب التعليمية المشهورة . من رجال القرن العاشر الهجري

(140) ابو زيد عبد الرحمن بن ابي غالب الشهير بالجادري موقت جامع القرويين بفاس ومؤلف
روضة الازهار في علم وقت الليل والنهار . وهي ارجوزة تشتمل على 336 بيتا يدرسها
الناس ويعتمدون عليها في هذا الفن حتى اليوم . توفي بفاس عام 1435/839

الكتاب تبدو قدرة المؤلف على التعبير وحسن الأداء في أسلوب سليم خال من التشكف وقد تحدث فيه كثيرا عن الزاوية البكرية ، خصوصا في المبحثين الأول والثاني وسجل من أخبارها وأوصافها ما لا يوجد عند غيره من المؤرخين وكانت وفاة أحمد الولالي بمدينة مكناس عام 1715/1128 (141) .

أحمد القادري

أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادري الحسني ، الفقيه الأديب ، العلامة الصوفي صاحب نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس ، وهي رحلة حجازية مفيدة جدا على اختصارها ، ألفها عندما حج للمرة الثانية عام 1100/1688 صحبة الإمام العارف أحمد بن عبد الله معن (142) وقد سبق للقادري أن حج للمرة الأولى عام 1083/1672م وزار مصر حيث التقى بشيوخها وأعلامها وأقام أحمد القادري في الزاوية الدلائية طويلا يأخذ العلم عن محمد المرابط الدلائي والحسن اليوسفي وغيرهما ، ثم أقيم إلى الدلايين فتزوج بنت الشاذلي أخي الرئيس محمد الحاج مسنقرا نهائيا بالزاوية الدلائية إلى أن خرج منها مع أهلها عندما خربها السلطان الرشيد ، فبعد زاوية الصومعة بشاذلا حزينا بكى مجد الدلاء الغابر ، ويندب جدها العائر ، وقد روى عنه صاحب تحفة المعاصر (143) عبارات مؤثرة وصف بها حادثة إخلاء الزاوية .

كان أحمد القادري يقرض الشعر في سهولة ويسر ، وله رجز فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة ، وبحث لطيف حول قاعدة ابن خلدون في تقدير الأجيال مع أمور تتعلق بالنسب الشريف من نسل الحسن والحسين بعد أن سأل عن ذلك شرفاء جبل العلم «فأجاب عن جميع مسائل السؤال بما ينبغي من النقل الممتع وبها هو المستفيد مقتنع ، وحقق أن قاعدة ابن خلدون ليست بمطردة ...» (144) وقد سافر القادري مرة مع شيخه أبي علي اليوسفي

(141) ترجم لأحمد الولالي محمد بن الطيب القادري في نشر الثاني 1141:2 وما بعدها . وعبد الرحمن بن زيدان في الاتحاف 340:1 وما بعده

(142) أحمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي الصوفي الكبير صاحب الزاوية المعروفة في فاس بالمخفية من عدوة الأندلس . وكان الذي أخطأ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله في حدود عام 1038/1648 م . ثم جدد الشيخ أحمد بن الشيخ ورقي خزاعة الكتب المحبسة عليها في مستهل القرن الثاني عشر الهجري وكانت مجمع فقهاء فاس وعلمائها توفي الشيخ أحمد عام 1120/1708

(143) تحفة المعاصر في بعض صالحى تلامذة أبي عبد الله محمد بن ناصر ، لمحمد بن عبد الله الخواص ، إحدى المصادر الهامة التي ألفها سليمان الخواص في كتاب البدور الضاوية . وقد نقل عبارات القادري في التحصن على الزاوية الدلائية في ورقة 116

(144) محمد القادري ، نشر الثاني ، ج 2 ، ص 121

ومرا بقرية آزر و معهما كثير من الناس فنزلوا بها واجتمع أهلها على الشيخ
اليوسى دون أن يظهروا له شيئا من كرم الضيافة فلما ألح الجوع على الشيخ
وأسى من فراقهم عمد إلى زاده وتناول منه سويقا ، فأقبلوا يشاركونه في أكله ،
وكان فيهم قضاة وأعيان القرية فأنشد اليوسى أبياتا للاديب الدغوغى :

قرية لا قرى لابن السبيل بها تبأ لها ولا رجاس بها اجتمعوا
لولا انفاردها يقرون واردها من سؤر باردها فى ضمنه وجم
لقلت من زار آزر و زار مقبرة قرب مقبرة زوارها انتفعوا
فزاد أحمد القادرى على هذه الايات مشايها وقال :

وان حلت بها فانزل بروضتها ولا تقم ساعة فالخير ممتنع
لقد أتيناهم يوم الخميس ضحى فلم ينل منهم قوت ولا شبع
قالوا القضاة أتوا ، قلت لاكرامنا اذا هم فى سويق الشيخ قد طعموا

وتوفى أحمد القادرى عام 1133/20 - 1721 . ودفن بقرب ضريح الشيخ
أحمد اليمنى خارج باب فتوح من مدينة فاس (145) .

محمد بن مسعود المراكشى

أبو عبد الله محمد بن مسعود المراكشى الفقيه النحوى العالم الصالح .
انصرف همه منذ أول عهده بالمراسة إلى تحصيل قواعد اللغة العربية ،
والفقه المالكى فقرأ الفية ابن مالك ، ومختصر الشيخ خليل أكثر من مرة
بالزاوية الدلائية على علمائها حتى أحرز قصب السبق فيهما فأخذ يدرسهما
بدره لطلبة الزاوية مع كتب أخرى فى عذابين القنين وله تقايد كثيرة وملاحظات
عامة كتبها على مختصر خليل . وكان فى ابتداء أمره مفتونا بمظاهر الدنيا
سغورا بزخرفها وليوها ، يعاشى الشرفين من شباب الدلايين أولى السلطة
والجاه لا يكاد ينتهى من القاء دروسه وينصرف من المسجد حتى يغشى مجالس
الأسر والطرب . وكان محمد بن مسعود بالإضافة إلى شبابه وعلمه خفيف
الروح خلو النكتة شأن كثير من المراكشيين ، فتهاقت عليه زملاؤه من شباب
الزاوية ويصادف ذلك منه ميلا ورغبة فتولقت الصلة بينهم . ولما قدم الشيخ

الصوفي محمد بن عبد الله السوسى من مراكش الى الزاوية البكرية اتصل به محمد بن مسعود فى جملة العلماء فأعجب باستقامة الشيخ وجده ، ولازمه طيلة الايام العشرة التى قضاهما بين ظهورانيهم ، فتبدلت حاله وتطهرت روحه من أدراك المادة حتى انه مرق ما كان عليه من ثياب فاخرة واستبدلها بملابس خلسة ، وانقطع عن رفاقه الامراء ، ولم يلبث أن غادر الزاوية الدلائية نهائيا فرارا من مجالس لهوه القديم وقصد قرية تمجت بشادلا حيث عاش بجوار الشيخ الصوفي على بن عبد الرحمن الدرعى (146) يدرس العلم فى زاويته ويؤم الناس فى الصلاة . ثم جرت أحداث سياسية استهدف فيها الشيخ على بن عبد الرحمن لعسف بعض الولاة . فغادر محمد بن مسعود هذه الزاوية الى قرية تنقلت بالقرب من مراكش وظل فيها على ديانتته وعبادته واشتغاله بالتعليم والارشاد وتدريس الحديث الشريف الى أن توفى بالطاعون . ولعله الوفاة التى اجتاح المغرب عام 1090/1679 م (147) .

على بن عبد الواحد الانصارى

أبو الحسن على بن عبد الواحد بن محمد بن أبى بكر الانصارى السجلماسى أصلا السلوى ثم الجزائى . الفقيه المحدث العالم المؤلف النفاخ ، نشأ سجلماسة وقرأ بفاس وزاوية الدلاء ورحل الى الشرق فأخذ عن علماء مصر مثل الامام الاجهورى (148) . ثم استوطن مدينة سلا ، وفيها نشر علمه وألف تأليفه العديدة . مثل اليواقيت الثمينة ، وهو نظم فى قواعد المذهب ونظائر الفقه على تسقى منهج الرقاق (149) وشرح تحفة ابن عاصم (150) وشرح

(146) الشيخ أبو الحسن على بن عبد الرحمن الدرعى هو دفن نادلا بمنزله بها المسمى (تمجت) توفى بالطاعون . ولعله وفاة عام 1090/1679 م

(147) أنظر ترجمة محمد بن مسعود فى : أحمد بن يعقوب الرولى . مباحث الأنوار ، ورقة 35 لعباس بن ابراهيم فى الاعلام ، 4913

(148) أبو الحسن على الاجهورى شيخ المالكية بمصر وصاحب شرح مختصر خليل . أدرك شهرة عظيمة بالمغرب حتى كانت توجه اليه منه الاسئلة للافتاء . توفى عام 1066/1655

(149) أبو الحسن على بن قاسم بن محمد التجيبى الشهور بالرقاق . الفاسى له نظم المنهج فى أصول المذهب ، ولاسية فى أحكام فقهية جرى بها عمل فاس . توفى عن سن عالية عام 1506/1492

(150) أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن عاصم . قاضى غرناطة ، صاحب الرجز المشهور تحفة الحكام فى الأحكام الفقهية الذى شرحه المغاربة والمشاركة وحفظه الناس لمجولته ورقة أسلوية . توفى عام 829 هـ . 1423 م

الاجرومية في النحو (151) وغير ذلك .

وذكر الافرائي في الصفوة (ص 135) أن علي بن عبد الواحد الانصاري
قرأ صحيح البخاري على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي نحو احدى وعشرين
مرة . كما قرأ عليه الشفا لنقاضي عياض (152) والموطأ للإمام مالك بن أنس
(153) ورسالة الإمام القشيري (154) وحكم ابن عطاء الله (155) .

وقد استوطن علي بن عبد الواحد الجزائر في أواخر أيامه ، وتخرج على
يده هناك كثير من الاعلام . وتوفي بالطاعون عام 1054/44 - 1645 (156) .

(151) الاجرومية كتب صغير بنسب في مبدئ النحو ، أفضل الناس عليه كسيرا . ومؤلفه
أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الصنهاجي القاضي المعروف بين اجروم الصوفي
توفي عام 703 هـ - 1301 م .

(152) القاضي عياض بن موسى البحتري السبتي . إمام الحديث والفقه والادب . دفن
بمراكش توفي عام 544 هـ - 1149 م وقد ألفه أحمد القرني بتأليه ازهار الرياض
في أخبار عياض نشر عنه بيت المقرب بالمعاصرة في اجزاء .

(153) الإمام مالك بن أنس الأصبحي أحد دار الهجرة . واحد أصحاب المذاهب الاربعة المشهورة
توفي عام 179 هـ - 796 م .

(154) عبد الكريم القشيري من أشهر الصوفية الذين كتبوا في الورع ومحاسبة النفس . ويعرف
كتابه بالرسالة القشيرية . طبعت في مصر مرارا . وتوفي عام 405/1072 .

(155) تاج الدين بن عطاء الله الأسكندري السافلي . من أكبر مقاومي ابن تيمية . ألف نحو 20
كتبا أشهرها الحكم في أبحاث الصوفية . وتوفي عام 709/1310 .

(156) رحمه الله علي بن عبد الواحد الانصاري . محمد الافرائي . الصفوة . ص 135 وما بعدها .
ومحمد الحجوي . الفكر السامي . 1114 - 112 . وأخبار سكرته في فتح الطبيب .
والبذور الضاوية . وغيرها .

128

الباب الرابع

الدلائيون والسياسة

1 - موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

- (أ) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين
- (ب) موقف الدلائيين من ابن أبي محلي وأبي زكريا
- (ج) موقف الدلائيين من أبي حسون السملالي
- (د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشي

2 - زعامة محمد الحاج السياسية

- (أ) من هو محمد الحاج ؟
- (ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم
- (ج) تأسيس مدينة الدلاء
- (د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

3 - أعمال محمد الحاج الحربية

- (أ) الحملتان الدلائيتان الأولىان (وقعة أبي عقبة)
- (ب) مهاجمة المجاهد العياشي
- (ج) غزو شرقاء سجلماسة (وقعة القاعة)
- (د) الجهاد ضد الاسبانييين في المعمورة
- (هـ) حملات قاديونية في بلاد زعير والحياينة

1 - موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

علاقة الدلائيين بالملوك السعديين

لم يكن الدلائيون في بادئ الامر يهتمون الا بالناحيتين الدينية والعلمية. فالشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية كان زاهدا في الدنيا عزوفا عنها. لا يستغل حتى يتدبير أموره الخاصة. ولا ينصرف عن عبادته واذكاره. الا ليرشد مريديه ويعظهم ويذكرهم. وسار محمد بن أبي بكر الدلائى على نهج والده في الاعتراض عن الدنيا وزخرفها والانقطاع الى عبادة الله وتقريبه المريدين وتدريس العلم للطلبة المقيمين بالزاوية. واکرام الوفود والاحسان الى الناس جميعا. وظل يعترف بسلطة السعديين ملوك مراکش. حتى بعد أن منعت الحوائث سليم. وبدأ عجزهم وقلة كفايتهم. وآخر من بايع منهم الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور (1631/1640 - 1636/1645).

وعلى الرغم مما كان لمحمد بن أبي بكر الدلائى من نفوذ قوى لدى القبائل البربرية في الاطلس المتوسط. وما امتاز به بعض أبنائه من شجاعة وفروسية وما آتاه الله من بسطة في العلم والمال والجاه. على الرغم من ذلك كله لم يحاول ابن أبي بكر قط استغلال تلك الامكانيات الواسعة التي لم تتح لغيره ليبدل بدوه في بحر السياسة والسلطان. وانما كان يدعو الى السمع والطاعة. والتمسك بالوحدة والروم الجماعة. وطالما ندد بما كان يشعر به عند بعض بنيته من الزعر وحب الرياسة. وعاش محمد بن أبي بكر الدلائى أربعاً وثلاثين سنة من عهد الفوضى والاضطراب (1612 - 1603/1646 - 1636) الناتج عن تصدع السلطة المركزية وانقسامها وعجزها عن حفظ النظام في البلاد. خصوصا في الاطراف والجبال. وكان برايرة الاطلس خلال هذه الفترة يلتفون حول شيخ الدلاء لما يعرفون فيه من صلاح الحال وطهارة النفس ورعاية الصدر. ورعا كذلك لعصبية القوية. اذ كان رصطه مجاط في ذروة تلك القبائل شدة بأس وصعوبة مراس. وهكذا نجد محمد بن أبي بكر الدلائى حكما يختصم اليه قومه. وملجأ يهرع اليه المستضعفون من جيرانه. فلا يألو جهدا في اصلاح ذات البين والعمل على انصاف المظلومين. ساعيا دائما في الخير والسداد. داعيا الى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد عرفنا مما سبق أنه اضطر مرة الى الهجرة من الدلاء الى قرية تاغيا بناحية عدلت عندما استند عناد بعض القبائل الطاغية. وتآلبت على اذايته والكيد له.

وفي هذه الظروف التي لم يبق فيها سلطة السعديين في جبال الاطلس وبلاد تادلا الا الاسم. كان لابد من وجود قوة محلية في هذه النواحي تفصل

على حفظ النظام وتأمين السبل وحماية القوافل فتكون في الدلاء جيش قوى من فرسان مجاط وآيت اسحاق وغيرهما من القبائل البربرية بقيادة ثلاثة من أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر ، استنبروا بالشجاعة والاقدام وهم عبد الخالق ، وعمر ، ومحمد الحاج (1) ولم تقتصر تحركات هذا الجيش على العمل فى نطاق المحلى المحدود ، بل ذهب بعيدا عن الدلاء . فسار الى سلا وفاس لمساعدة المجاهد العياشى فى القضاء على بعض الفتن الداخلية . كما توجه الى تافيلالت لإيجاد أهل قرية تابوعصامت والوقوف فى وجه الجيوش السوسية مما سمراه مصلا فى فصل آت . وسيكون هذا الجيش الدلائى السند الاول الذى يعتمد عليه محمد الحاج بعد وفاة والده لإقامة امارة دلائية مستقلة عن نظر السعديين .

(ب) موقف الدلائيين من ابن أبي محلي وأبى زكريا الجاحي

أبو محلي أو ابن أبي محلي (بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي ، كان يزعم أنه من نسل العباسيين . انتقل أبو محلي فى مقتبل العمر الى فاس لطلب العلم ، وتخلف عن المجاهدين الذين سارعوا الى لقاء العدو على وادى المخازن فارا الى البادية يحفظ المتون ويحكم بين الخيام الى أن خمدت الفتنة وسكنت بانتصار المسلمين ، فرجع الى فاس وأقام فيها سدين عديدة الى أن تخرج منها عالما متبحرا فى اللغة والمسائل الدينية بالخصوص . وألف أبو محلي عدة كتب تحوم كلها حول البدع والنفكرات . ويمكننا أن نأخذ فكرة صغيرة عن هذا الرجل من عناوين كتبه قبل أن نقرأها - أنظر جدول مؤلفات أبى محلي - ويستاز بشدة التحامل على التذعن والمنحرفين عن الدين ، فينتعهم بأقبح النعوت ، ويدعوهم بالجهلة والسفلة ، ولا يرى الا شذخ رؤوسهم بالنهراس والمدراس والمنجنيق ، وتقطيع أفاعيلهم بالسهم الزعاف .

وقد سلك أبو محلي طريق التصوف ، وصحب الشيخ محمد بن مبارك الزمخري المتقدم ، وبقي عنده فى تسنوات نحو ثمانى عشرة سنة . وكانت لغزبه عند شيخه أحوال ، فيصبح قائلا : «أنا سلطان ! أنا سلطان !» فيقول له الشيخ : «أنا لك لن نخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» .

(1) عبد الخالق الدلائى عالم أديب وبطل معوار . وهو أول رئيس من الدلائيين . قتله أعراب تادلة غدرا عندما كان راجعا من حركة تاديبية قام بها ضد أعراب الزاوية ببلاد تلمسان عام 1059/1049 وحمل الى الزاوية البكرية فدفن فيها . وأخوه عمر أديب شاعر وشجع ، يأسل كذلك فوس بالزاوية البكرية وفاد الجيوش الى أن مات فى أثناء قتاله ضد العياينة بضواحي فاس عام 1055/1045 وحمل مصبرا ، وقيل جريحا ثم مات ، ودفن بالدلاء .

أما محمد الحاج فسنأتى ترجمته بشئ من التفصيل .

وبعد أن أقام أبو محلي مدة في الزاوية الدلائية ، أتجه إلى وادي الساوره
في الصحراء (2) وادعى أنه المهدي المنتظر ، وبدأ يكتب رؤساء القبائل بأمرهم
بالنص على بالدين والسنة ، وينهاهم عن المنكرات والبدع ، ولما سلم الشيخ
المأمون السعدي مدينة العرائش إلى الأسبانيين عام 1010/1011 ، أظفر ابن أبي
محلي الغضب والحمية للدين ودعا الناس للجهاد ، فاجتمعت عليه العامة ،
وتقدم بهم إلى سجلماسة فملكها ثم استولى على بلاد تدعى ، وقصد مراكش
فافتحمها عنوة وطرده ملكها زيدان بن المنصور الذهبي . ولما دخل أبو محلي
قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هناك مولود سماه زيدان ،
ويقال أنه تزوج أم زيدان وبني بها ، ودبت في رأسه نشوة الملك ، ونسي
ما بنى عليه أمره من الحسنة والنسك (3) ، وبالرغم من كون قلعة ابن أبي محلي
لم تدم إلا نحو ثلاث سنوات ، فإنه ضرب السكة باسمه وكتب عليها : « ضرب
بلكاوة حرسها الله عام إحدى (كذا) وعشرين وألف » :

باسم الله الرحمن الرحيم

القائم بأمر الله

أبو العباس الفاطمي

العباسي أيداه الله

الملك لله الواحد القهار نقش خليفة الله الهاشمي المجاز

لا اله الا الله

محمد رسول الله

أبو العباس المهدي

خليفة الله (4)

ولعل لمسارعة أبي محلي إلى ضرب السكة باسمه علاقة بما يذكره عنه
المؤرخون من أنه اشتغل بالكيمياء وتحويل المعادن فكان صاحب حكمة لم
تنقطع النار في جيشه لتذويب الرصاص وصيقلته (5) ، وقد توجه السلطان

(2) وادي الساوره من حافة اليراسي التي تضمها الترابيون من المغرب أيام الحماة والحمد لله
بالمغرب ، وما يزال آل أبي محلي حتى اليوم في هذه المنطقة الصحراوية .

(3) أحمد التاشري ، الاستقصا ، 101:6 .

(4) M. Henri Lavoie, Catalogue des monnaies musulmanes, P. 492.

(5) مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة السعدية ، ص 104 .

الطوبى زيدان الى زاوية الشيخ ابي زكريا الشامي بجل جرد (١٧) ورجا منه ان
يساعده على الرجوع الى عاصمة ملكه . والنصاء على مفاصلة ابي محلي . فصار
ابي زكريا عام ١١٢٢/١١٢٤ في جماعة كبيرة من اتباعه الى مراكش . حيث التقى
بعضه في جليل خارجيا . ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس
استمرت من مقتل ابن ابي محلي الذي احس برأسه وعلق على سور مراكش مع
رؤوس جماعة من اصحابه طيلة ٦٢ سنة

المكتبة التي يوجد فيها

اسم الكتاب وموضوعه

توجد منه نسختان مخطوطتان بالخزانة الملكية تحت عدد 4009 و 4442

مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط 192ك

مخطوطة خ.ع. 338 (من ص 130-453)

نفس المخطوطة

نفس المخطوطة (من ص 2 - 126)

مخطوطة خ.ع. 576 ق

؟

؟

هذه الكتب الثلاثة الأخيرة ذكرها الناصري في الاستقصا ج 6 ، ص 33

(1) اصلية الخريت في قطع بلعوم العفريت

وهو كتاب ترجم فيه لنفسه وتحدث عن نسيه ونشأته الى أن قام بالثورة

(2) مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النكوس السفلية المتدعة وقد تحدث فيه أبو محلي عن المهدوية ورد فيه على خصومها . ويقع في 221 صفحة من الحجم المتوسط

(3) منجنيق الصخور في الرد على أهل الفجور

أو منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور

(4) السيف البارق مع السهم الراشق

(5) سم ساعة في تقطيع امعاء مفارق الجماعة

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة انتسخت في حياة المؤلف عام 1017

(6) القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم : تكلم فيه على العلم والعمل والخلافة

(7) الوضاح

(8) الهودج

(9) جواب الخروبي عن رسالته الى الشيخ أبي عمر القسطلي المراكشي

ولعل أهم صلة جمعت بين الدلائيين وابن أبي محلي على الطريقة الصوفية
الدلائية ، إذ أخذ كل من محمد بن أبي بكر الدلائى وابن أبي محلي عن الشيخ
محمد بن مبارك الزعري المتقدم ، وأقاما مدة في زاوية هذا الشيخ بتستاورت .
وبعد ذلك استقر ابن أبي محلي في الزاوية الدلائية زمانا غير قصير بدأ خلاله
يحاول التظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكنه كان يلقى معارضة
قوية من شيخ الدلاء الذي لم تخف عليه نوايا صاحبه القديم ذي الشطحات
والصيحات المستيرية : «أنا سلطان ! أنا سلطان !» وتحدى ابن أبي محلي
ذات يوم الشيخ محمد بن أبي بكر ، وقام في الدلاء بتجربته الأولى في الاتصال
بالجمهور والعمل على اغوائه واستهوائه عن طريق الارشاد الدينى المزيف ،
ولمضى يوما في النهريج والشعوذة ، واشتبك مع بعض الناس الذين لم تنطل
عليهم حيلته ، ورجع في المساء الى الزاوية الدلائية منبوك القوي لم يؤد الصلاة
في وقتها ، فعنفه الشيخ ابن أبي بكر وقال له : «أما أنا فقد قضيت ماريى
وحفظت دينى ، وانقلبت في سلامة وصفاء ، ومن أتى منكرا فإله حسيبه ،
أو نحو هذا الكلام . وأما أنت فانظر ما الذى وقعت فيه» (7) . ولم يرعو ابن
أبي محلي عن غيه بل راح يضرب فى الأرض باحنا عن مكان صالح لنشر دعوته
الباطلة ، حتى وصل الى وادى الساورة فى الصحراء ، فأعلن مبدؤيته ، وكان
ذلك آخر عهد له بالدلائيين الى أن قتل فى مراكش بعد نحو ثلاث سنوات .

أما أبو زكريا فهو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي .
أسس جده سعيد زاوية تافيلالت (8) بزداغة الواقعة شمالى تارودانت على واد
يسيه البربر (آسيف تماننت) أى وادى العسل ، واشتغل فيها بتدريس
العلم وتربية المريدين . ثم خلفه فيها ابنه عبد الله ، وكان مثله عالما مصلحا
أرسل ابنه يحيى الى فاس ليدرس فيها ، وطالت اقامة يحيى بفاس سنين
عديدة ، كان يسكن خلالها هو وابن أبي محلي بيتا واحدا فى إحدى المدارس ،
وحصل على نصيب وافر من العلوم الدينية والادبية ، ورجع الى قريته الجبلية
غالما كبيرا ، وأديبا شاعرا (9) ليتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه عبد الله عام

(7) البوسى ، المخاضرات ، ص 91

(8) محمد المختار السوسى ، خلال جزولة ، ج 2 ، ص 51 . وقد أخبرنى الأستاذ المختار
السوسى أن اسم تافيلالت يطلق على أماكن متعددة فى سوس .

(9) ذكر المؤرخون أنه وقع نهاج كثير بين أبي زكريا وابن أبي محلي فى الناصرى فى الاستقصا ،
ص 34 - 35 . هذا نهج النقائص الادبية . كما نقل عن الافرانى أن الفاسى أبا زيد
السكرانى وقف على تاليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وأبي محلي فى الشعر فى
عرش الهجاء وغيره . وأخبرنى الأستاذ الحسن اليونمانى أن العالم السوسى أحمد
الجرادى وقف فى إحدى المكتبات الخاصة بسوس على كتاب أدبى ضخيم بعنوان : التحلى
فيما وقع بين أبي زكريا وأبي محلي .

1603/1604 - 1604 . وقد سلك أبو زكريا في بداية الأمر سبيل سلفه ، فوقع عليه اقبال عظيم من قبائل جبل درن وبلاد سوس ، وامتلات رحاب زاويته بالمريدين وطلبة العلم الذين انكبوا على دروسه واشتغلوا بانتساح الكتب القيمة (10) وألف أبو زكريا كتابا في العقائد ، علما فعل جده سعيد من قبل . وشرح العقيدتين معا وعقيدة المهدي بن تومرت العالم السوسي ببورك من رجال القرن الحادي عشر للهجرة (القرن السابع عشر للميلاد) .

وفد رأينا أن أبا زكريا استجاب لطلب الملك زيدان السعدي وقضى على خصمه ابن أبي محلي . وظل أبو زكريا مقيما بمراكش في حين كان السلطان زيدان في آسفي ينتظر على أحر من الجمر أوبة السوسيين التي مساقط رؤوسهم ليوجع هو إلى دار ملكه . وطال به الانتظار فكتب إلى أبي زكريا : أما بعد ، فإن كنت إنما جئت لنصرتي وكف يد ذلك السائر عني ، فقد أبذلت المراد ، وشقيت القواد ، وإن كنت إنما زمت أن تجر النار لقرصك ، وتجعل الملك من قرصك فأقر الله عينك به (11) فاضطر أبو زكريا إلى مغادرة مراكش تحت ضغط أتباعه الذين لم يكونوا يعرفون إلا أنهم أدوا واجبا دينيا فرضته عليهم بيعة السلطان التي في أعناقهم ، وليس لهم بعد ذلك إلا الرجوع إلى الراوية واستئناف حياتهم العادية في المدن التي طالت غيبتهم عنها واستولت فكرة الرياسة على نفس أبي زكريا بعد رجوعه من مراكش وفشرت همته في تدريس العلم وتلقيق الأوراد وأخذ يرسل السلطان زيدان ويمن عليه بمناصرتة ، ويتجنى كثيرا دون أن يفصح عما يجول بخاطره (12) وأخيرا أعلن أبو زكريا الثورة في سوس ضد السلطان زيدان السعدي ، وعصما أتباعه أن عمله هذا يهدف إلى حماية الدين ، وجمع كلمة المسلمين ، وتقديم بهم إلى تارودانت فملكها من يد أبي حسون السملالي بعد قتال شديد ، وانخذهما عاصمة لامارته . ولم يستطع أبو زكريا بعد ذلك أن يوسع دائرة نفوذه شمالا ولا جنوبا واكتفى بالسيطرة على هذه المنطقة الجبلية الضيقة ، الممتدة من تارودانت إلى زداغة ، إلى أن وافته المنية عام 1035/1020 . فنقل إلى زاوية تافيلالت بالاطلس الكبير ودفن بجوار والده رحمه . وما تزال جدران ضريحهم قائمة حتى اليوم . ولا يعرف لأبي زكريا اتصال بالدلائل ، سواء أيام طلبه للعلم في فاس ، أو تصديه للشيخ بزدانة ، أو على عهد استبداده بتارودانت وناحيتها .

(10) وفي الانتفاة المختار السوسي في إحدى المكتبات الخاصة بسوس على بعض المخطوطات القيمة التي التصحت في زاوية تافيلالت على عهد أبي زكريا . انظر خلال جزوة 51:2

(11) أحمد الناصري ، الاستقصا ، 43:6

(12) نفس المصدر ، 46:6

ج، موقف الدلائيين من أبي حسون

إذا كان الثائران ابن أبي محلي وأبو زكريا قد فشلت ريعهما وأغل بعضهما بسرعة ، فإن أمر أبي حسون بخلاف ذلك ، إذ استطاع أن يوطد أركان إمارته عشرات السنين ، ويستمد بالجنوب المغربي كله حيناً ، وبعضه حيناً آخر . وأبو حسون ، ويكنى أيضاً أبا الحسن وبودميعة ، وصاحب الساحل ، من أحفاد الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي (سيدى أحمد بن موسى) . وهو على بن محمد بن محمد بن الشيخ أحمد بن موسى صاحب الزاوية المشهورة في تازورالت بسوس . ولا يعرف لأبي حسون باع في العلم إلا ما كان من تحلية بعض بلدييه له بالفقيه . وليس هو أول الطامعين فى الملك من الأسرة . بل سبقه إلى ذلك من بنى عمه إبراهيم والحسن فلم يتم لهما أمر . وكان قيام أبي حسون واستحواده على بلاد سوس عام 1613/1022 - 1614 تأسس قريباً من زاوية جده الشيخ أحمد بن موسى مدينة حصينة سماها «إليغ» (13) ، واتخذها عاصمة لإمارته . وصفا له أمر بلاد سوس كلها بعد موت أبي زكريا الحاحي ، تم امتد نفوذه إلى درعة وسجلماسة حوالى عام 1630/1040 - 1631 فصار أمير الجنوب المغربى كله ، وتكون فى إيليج جهاز حكومى تام ، ضم إلى جانب أبي حسون الذى تلقب بالسلطان ، وزيراً يسمى محمداً (14) وقاضى الجصاعة على بن محمد التيلكاتى (15) والقائد حمو بن بلا (16) وغيرهم من ذوى المسؤولية والنفوذ .

واعترفت الدول الأوربية التى لها مصالح فى المغرب بالامر الواقع ، فتخضت تفاوض أبا حسون (17) بصفته صاحب الامر فى الساحل (18) ، وتعقد معه المعاهدات التجارية ، فى نفس الوقت الذى كانت تتعامل مع السلطان

(13) هو موسى ثلاثة أماكن يطلق عليها إيليج . عاصمة تازورالت هذه ، وفريية فى ادا وزكريا وفريية فى القابحة . المختار السوسى . الفصل 16 : 12

(14) وجد الأستاذ المختار السوسى اسم هذا الوزير (محمداً) ضمن رسالة كتبت على غلاف مخطوط فقضى بالخزانة الأثريية بسوس . انظر خلال جزولة . 2 : 89

(15) كانت وفاة القاضى على بن محمد بمدينة تيلكات عام 1633/1043 - 1634 . المصدر السابق . ص 140

(16) حمود اسم القائد حمو بن بلا بعد قليل . وسنرى أن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى بنى عليه ويقترح تعيينه حاكماً لبلاد سجلماسة .

(17) يطلق الأوربيون على أبي حسون أسماء كثيرة : فيدعونه : Sahel, etc. Le Marabout du Sous, Le Saint de Massa, Le Marabout du

(18) الساحل عبارة عن المنطقة الجنوبية الغربية الممتدة من أكدير إلى وادى نول .

السعدى فيما يرجع الى منطقة نفوذه بمراكش وآسفى وناحيتيها ، ولتخاير مع العياشى تم الدلائيين فى شأن سائر الثغور الواقعة شمالى نهر أم الربيع . وكانت هذه العلاقات الخارجية من أهم الاسباب التى دعمت نفوذ أبى حسون فى سوس . إذ جعلته يفيد أرباحا طائلة من الصفقات التجارية التى كان يعقدها مع الاوربيين . ويتزود منهم بالذخيرة الحربية لتجهيز جيش قادر على الدفاع عن الاقاليم الشاسعة التابعة لايلىخ .

ولما تمكنت قدم أبى حسون فى بلاد سوس أخذت أطماعه فى التوسع نتجه نحو الشرق . وبدأ يتحين الفرصة للانقضاض على درعة وسجلماسة . وبوطد العلاقات الودية مع أعيان هذه الاقاليم ليكثروا له خير عون على تحقيق مطامحه . وفعل استنطاع أبو حسون أن يبسط نفوذه على الجنوب الغربى كله حوالى عام 1040/1030 - 1031 كما سبق . وكان ممن صادقهم فى سجلماسة الشريف بن على جد الملوك العلويين الحاليين . وكان للشريف عداوة متمكنة مع حيراته بنى الزبير أهل حصن تابوعصامت . فاستعدى عليهم أبا حسون الذى قصد تافيلالت فى جمع هام من جند سوس . ولم يجد الزبيريون أمامهم الا اللجوء الى الدلائيين والاستصراخ بهم . فسارع الشيخ محمد بن أبى بكر بإرسال كتيبة قوية من فرسان برابرة الاطلس المتوسط الى سجلماسة بقيادة ابنه محمد الحاج . وأعطاه رسالة الى أبى حسون يناشده فيها الله أن يكف عن البوعصامييين . ويحقق دماء المسلمين . وذلك عام 1043/1033 - 1034 . فافترق الجمعان دون قتال . ولا ندري أكان ذلك استجابة من سلطان سوس لنداء الواجب أو احجاما منه أمام القوة العظيمة التى وجد أمامه دون أن يحسب لها حسابا . وقد تطورت العلاقات بعد ذلك بين السوسيين والعلويين والقلب ما كان بينهم من مودة وصفاء الى عداوة وجفاء . وصرف أبو حسون هواه الى البوعصامييين وحالفهم قالبا ظهرا المعلن للعلويين . واثبتى الامر باعتقال الشريف بن على وحجسه فى سوس عدة سنوات . وتختلف روايات المؤرخين فى سبب هذا الاعتقال . فيذكر البعض أن أسر الشريف كان بسبب تسور ابنه محمد فى جماعة من العلويين حصن تابوعصامت على حين غرة . وتحكمهم السيف فى رقاب الزبيريين واستيلائهم على ذخائرهم . فأخذ أبو حسون الشريف بجزيرة ابنه الذى فر الى أقصى الصحراء . بينما يرى آخرون أن الشريف لم يلق عليه القبض الا لكونه تزعم حركة التمرد ضد نفوذ أبى حسون وبابعة أهل تافيلالت . وربما كان الحادثان معا سببا فى نكبة الشريف سجلماسة .

وفي هذه الفترة التي قضاهما جد العلويين سجيناً في سوس تجدد
إحسان بين الدلائيين وسلطان ايليخ . ويذكر المؤرخون أن أبناء الشريف
وغيره من الرواية الدلالية ، للعمل على تخلص أبيهم من الأسر ، فكتب
شيخ محمد بن أبي بكر الدلائي إلى أبي حسون رسالة يعنفه فيها على سوء
سلوكه لأهل تافيلالت ، ويذكره بنسب الشريف وقرابته من الرسول
الكرم ، طالبا منه أن يخلي سبيله ، ويتخلى له عن بلاد سجلماسة . ولكن
أحسون ذكر في جوابه لشيخ الدلاء أن أهل تافيلالت بايعوه ، ثم نقضوا
بها وبايعوا غيره فحل له أن يحكم فيهم باجتياده . وزاد قائلا : «وأما ما قلت
من أنك سجلماسة للشريف المذكور كغيرها من البلاد التي بأيدي غيره ،
فلا أتركها ، لأنهم رضوا بني وبايعوني ورضوا به وبايعوه فإن بعضهم معي
وبعضهم معه ، كأهل العراق مع الحسين بن علي الذين خرجوا على يزيد بن
موية . وانظر ما فعل بهم وبه . وأنا لم أفعل به ولا بهم شيئا من ذلك (19) .
بالرغم من خطابات شيخ الدلاء المتعددة التي سئلت عنها قريبا ، وتحسن
الجواب الجائين ، لم يطلق أبو حسون سراح أسيره الشريف ، وإنما خفف
من الضغط عليه ، وجعله في شبه إقامة محروسة بسوس طيلة سنين عديدة ،
تسرى خلالها الشريف بجارية من سبي المغارة فولدت له المولى اسماعيل
بنسبه المهدى (20) . واستمرت معاملة أبي حسون القاسية لسكان تافيلالت
والذين كاهلهم بالانوات والمغارم . وعلا السجون بالاعيان والاشراف ، وحاصر
مدونه المتنعين عليه في الحصون ، وأطلق أيدي جنده في حقول الناس
وسائيتهم ، يهلكون الحرث والنسل ، ووقع الاستصراخ مرة أخرى بالدلائيين
كتب محمد بن أبي بكر رسالة عطولة إلى سلطان سوس يطلب منه أن يكف
لده عن أهل تافيلالت ، ويخصص صدر الكتاب للتحديث عن فضل أسيرة
شيخ أحمد بن موسى ومجدعا وأهذية أبي حسون للإمارة ، ثم تخلص لمطالبته
بالوفاء والإحسان فقال : «لكن المرجو عنكم ، والمأمول من ستملكم ، رحمة
السجين والشفقة على الضعفاء والمساكين ، لأنكم دار رحمة ، لا دار نقمة .
كان الملك مطلوبكم فأتوه من بابه ، وتوجهتموا إليه بأسبابه . ويسرروا ولا
عسروا ، وبشروا ولا تنفروا . وخذوا أموركم بسياسة ورفق ، لا بشدة

(19) سلطان الخوات ، الدور الضاوية . ورقة 92/1

(20) يرجع الشريف بن علي إلى سجلماسة الإحراق عام 1637/1647 - 1638 بعد أن اقتداء
أبيه محمد من أبي حسون بمال كثير ، على ما في أغلبية الروايات .

وصف ، واسعوا في عبارة البلاد برحمة العباد ...» (21) وبعد ذلك عدد محمد ابن أبي بكر الدلائى ظروف العصف التى يلقاها السجلماسيون على أيدي عمال أبي حنون بقوله : «... وأقرب الناس من أمركم فى حيرة وأعظم حسرة ، فمن أطاع ، أكثر عليه من التكاليف ما لاطافة له به حتى ضاع ، ومن أبى وخشى ما وقع بمن قبله وعصى ، على بالعصا . الناس فى سجون حصونهم ، النساء والرجال والدواب كأنهم فى حشر ، التمار تجنى وأعمالها ينظرون نظير حسرة ، والأشجار تقطع ، وقد حرم الشروع قطع أشجار الكفار فضلا عن المسلمين» (22) .

ويتحدث الفصل التالى عن الرسالة عن نقطة هامة يبدو أنها كانت تشغل بال أبي حنون ويطائفة . وهى مسألة منافسة الدلائيين ومزاحمتهم له فى امتلاك البلاد . فأكد محمد بن أبي بكر الدلائى فى عبارات يتجلى فيها الصدق ، ويدعمها الرأى والمنطق ، انصرافه المطلق عن الملك وعزوفه عن الجاه والسلطان : «وبلغنا أن من لا يبالى بما يقول ولا فيمن يقول يكتبونكم بسوس أن العبد الغائب ، العاجز عن اصلاح نفسه ، يريد تافيلالت يتولى أمرها . فتأمل - أرشدك الله وسددك - أدنى تأمل ، هل لهذا الكلام وجه أو يلتفت انصاف اليه . هذه البلدة بينكم وبينها نحو ثلاثين مرحلة ، وثيلنا وبينها ست مراحل . ولضعف ملك المغرب نحو ثلاثين عاما ، ما المانع لنا لو كانت لنا فيها شهوة أو رغبة . فمن بلغ أو قرب منه الشمانين . والتفت للملك المحدود بالسنين ، فاعذده من المجانين . حاصليها ان كانت لكم رغبة فى الملك ولا بد وعلمت من نفسك القدرة على وظيفتها . من احاطتكم بالعدل والرحمة لقويها وضعيها . فتقدم ان لم نعتك ، لم نعتك وان كان مرادك جمع المال . والغناء النظر عن مصالح العباد والقاء أمورهم فى زوايا الالهال ، فانت وذلك ، فالرب عالم قدير ، رحيم بعباده قوى عزيز ...» (23)

وفى ختام الرسالة يتحدث شيخ الدلاء عما بلغه من عزم أبي حنون على استلاب زروع الزاوية الدلائية فى بلاد غريس بتافيلالت ، وينسبها الى شناعة هذا العمل . خصوصا وان هناك روابط متينة تجمع بين الزاوية الدلائية والسلاوية ، فكلتاهما تنسبان الى الطريقة الشاذلية بواسطة الامامين الجزولى والتابع . ويتنازل فى الاخير عن زرع الزاوية فى غريس ويهبه حلالا لأبى

(21) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 48/ب

(22) نفس المصدر فى نفس الورقة

(23) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 59/أ

حسون شريطة أن يكف أذاه عن المسلمين . وهذه الرسالة العجيبة غفل من تاريخ ، غير أن ماورد فيها من الإشارة الى ضعف الملك بالمغرب منذ نحو ثلاثين سنة . وتحدث شيخ الدلاء عن نفسه بأنه بلغ الثمانين أو قاربها ، يدنا على أنها أرسلت حوالي عام 1045/1035 - 1036 . وكان لهذا الخطاب الأثر الطيب في نفس أبي حسون بالرغم عما اشتملت عليه بعض فصوله من التقريع والتعنيف . ولعل الذي فتح قلب سلطان سوس اليه هو لهجته الصريحة التي لا عرف المراوغة ولا الإيهام . فقد اتضح لأبي حسون أن الدلائيين يأخذون عليه جوره وعسفه . وسوء معاملته للناس . ولكنهم لا يزاحمون في الحكم والتملك ولا يعترضون سبيله اذا ما استقامت أحكامه ، بل يعدونه في هذه الحال النصر والإعانة . وتوطدت عرى الصداقة بعد ذلك بين الدلائيين والسملاليين السوسيين . واتصلت المواصلات الودية بينهم ، وتبادلوا الزيارات في إيليج والدلاء ، وتبادلوا بأطيب الطعام والأدام وغير ذلك (24) وشملت الاتصالات بين الزاويتين فيما شملت الناحية العلمية ، فكان أبو حسون يستنسخ الكتب القيمة من الدلاء (25) ويمكننا أن ندرك مدى الصفاء والثقة بين الجانبين اذا عرفنا أن محمد بن أبي بكر الدلائي أشار في إحدى رسائله على أبي حسون بأجلاء جنوده عن تافيلالت ، وتعيين حاكم لها من ذوي الصلاح والكياسة ، هو القائد حمو بن بلة الذي سبق أن تعرف عليه في الدلاء . وعرف فيه سعة الصدر ، وشدة الحلم ، والمبالغة في النصيح لأميره السملالي وللرعية (26) . غير أن هذه العلاقات الطيبة بين الدلائيين والسملاليين لم تلبث أن تغيرت على اثر وفاة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وقيام ابنه محمد الحاج الراغب في السيطرة على البلاد . واشتدت لهجة المراسلات المتبادلة بين إيليج والدلاء ، فكان أبو حسون يرمي الى اقناع محمد الحاج بضرورة التخلي عن أطماعه في الرياسة وحمله على الاعتراف بسلطة الملك السعدي صاحب مراكش - ليخلو له الجو - ثم انقطع حبل الاتصال نهائيا بين الدلائيين والسملاليين بسبب انصراف محمد الحاج الى نشر سلطته في تادلا وبلاد المغرب ، واشتغال أبي حسون بالفتن الخطيرة القائمة ضده في الصحراء ، تلك الفتن التي انتهت بانصائه نهائيا عن سجالماسة ودرعة حوالي عام 1050/1040 - 1041 على يد

(24) من رسالة محمد بن أبي بكر الدلائي الى أبي حسون ذكرها سليمان الحوات في البذور الشاوية ، ورقة 60/ب

(25) محمد المختار السوسي ، خلال جزولة ، 2 : 62

(26) سليمان الحوات ، البذور الشاوية ، ورقة 60/ا

محمد بن الشريف . وقد انكمشت اماره ابنى حسون بعد ذلك ، وعاود نفوذه مقتصرا على سوس كما بدأ . وتوفي أبو حسون عام 1070/1659 - 1960 فخلفه ابنه محمد فى اماره ايليج ، وظل بها الى أن دكتها مدافع السلطان الرشيد بن الشريف وهدمها على رؤوس أهلها عام 1081/1670 . ووصف الاستاذ لمختار السوسى أطلال ايليج المهذمة فقال : «لا يزال برجان الى الآن ، أما أحدهما فكان مقعدا للشريف العالم سيدى أبى بكر ابن السلطان بودميعة ، والثانى يسامنت هذا شرقيا فى زاوية من زوايا السور وذكر انه مركز المدافع (الصقالة) وبين البرجين دار الامير الكبرى لا يزال بعض جدرانها قائما ، وشوارع المدينة طولا وعرضا لا يزال بعض آثارها واضحا وقد استفاض عند السكان اليوم مواضع الابواب فى منتهى الشوارع الرئيسية فى المدينة ، كما لا يزال يظهر موضع مسجد المدينة الكبير الذى كان انهدم مع المدينة ، والمدينة المهذومة تاتى فى شمال ايليج المجدثة التى سكنها أهلها الآن .. » (27)

(د) علاقة الدلائين بالمجاهد العياشى

المجاهد العياشى هو محمد (بفتح الميم) بن أحمد المالكى الزيانى (بفتح الزاى وتشديد الياء) العياشى السلاوى . أصله من قبيلة بنى مالك بن زغبة من العرب الهلالية المسموطة فى بلاد الغرب ، وفصيلته القربى بنو زيسان الفاطنون اليوم بأحد أولاد جلول بدائرتى القنيطرة وسوق أربعاء الغرب . كان العياشى من أخص تلاميذ الشيخ عبد الله بن حسون الذى أشار عليه بالجهاد فى سبيل الله ، وبدأ يظهر على مسرح السياسة فى أوائل العقد الثانى من القرن الحادى عشر للهجرة (أوائل القرن 17 للميلاد) كمجاهد متطوع فى بلاد دكالة يربط فيها لقتال البرتغاليين فى الجديدة . وبلغ خبر تضيقه على الصارى المحتلين وانتصاره على جيوشهم فى وقائع حربية متعددة إلى بلاط السعديين بصراكش . فكافؤوه بعمالة مدينة أزموور ، ليظل شوكة فى جنب البرتغاليين يقض مضجعهم ويبعث فى قلوبهم الرعب والهلوع . وتضايق البرتغاليون كثيرا من حركات العياشى ومرابطته الدائمة حول المنطقة التى يحتلونها . فعمدوا الى المكر والخديعة ، واشتروا ضماير حاسية السلطان زيدان بهدايا ثمينة . ونجحت المؤامرة الدنيئة فجهز زيدان سرية قوية وجهها الى مدينة أزموور للمقبض على العامل وقتله . لكن قائد السرية محمد السنوسى الذى كان على علم بجدية الامر بعث الى المجاهد العياشى خفية أن ينجو بنفسه ، وأنسح له المجال للخروج الى مسقط رأسه . ورجع العياشى الى سلا عام

1614/1615 - 1615 فوجد الأسبانيين قد احتلوا ثغر المعمورة (28) قبل ذلك بسنة . وعانوا في ضواحيه فسادا . وكان السلويون استغاثوا بالسلطان زيدان . ووفد جماعة منهم عليه بمراكش طلبا للنجدة والمعونة . وفحصار بوعدهم (كذا) بالنصرة وعبر بجزأ بهم الى أن خرجت له هدية عظيمة من عند النصارى من البريجة ودفعوها له . ففهم أهل سلا أنه قبض حق البلاد كيف فعل أخوه الشيخ بالعرائش ، فانصرفوا راجعين الى بلادهم . وأخذوا في العدة والحرم والعسة على الأسوار . . . (29) وهكذا اضطر السلويون الى الاعتماد على أنفسهم في مدافعة العدو النازل بآبواب مدينتهم ، وقدموا عليهم المجاهد محمد العياشى وبايعوه على الجهاد واقامة الحدود ، وكتبوا بذلك وثيقة أمضاها سكان المدن والقرى من بلاد تامسنا الى تازا . ووافق عليها فقهاء الوقت وقضاة . وبذلك نصب العياشى أميراً للمجاهدين فى سلا وسائر بلاد الغرب . وامتد نفوذه فشمّل تطوان وأقاليم الشمال . واتسع نطاق العمل أمامه فصار ينتقل فى حركاته الجهادية بين المعمورة ، والعرائش ، وطنجة ، ومبسة ، ومليدية ، والجديدة . ويقارخ فى حملات موفقة المحتلين الأسبانيين والبرتغاليين . وجابه العياشى فى نفس الوقت صعوبات داخلية متعددة ، منها ما كان ناتجا عن التمرد المعتاد لبعض القبائل ونزوعهم الى الاغارة والسلب والنهب وقطع السبل لإتارة الشغب والاضطراب انسياقا مع تيار الاحقاد والضغائن . وكثيرا ما تعرضت فاس لغارات قبائل شراكة والحياينة . وتوجه العياشى الى عين المكان لكف المعتدين وزجرهم . وكان بعض رؤساء قبائل الغرب يناقسون العياشى ويحسدونه على ما يتمتع به من نفوذ وشغوف . بالرغم من وشائج القرى التى تربطهم وایاه . وقد استطاع العياشى أن يبتغلب على جميع الصعاب ويسير فى خطته الجهادية قدما . فيصلول ويجول ويرعب المحتلين ويدفعهم الى أن يقيعوا وراء أسوار المدن التى يحتلونها ، ولا يبرحوها الا نادرا .

على أن هناك طائفة أخرى من خصوم العياشى كانت أعظم خطرا عليه وأكثر ضررا . وهى جماعة من الفقهاء النفعيين الذين كان يحركهم البلاط السعدى بمراكش ليفسد على العياشى خطته ، ويصرف الناس عنه بعد أن فشل فى القضاء عليه بأزمور . أخذ هؤلاء المتفقهون ينشرون بين الناس أن الجهاد لايجوز الا مع وجود الامام وبإذن منه ، فتصدى لدحض هذه المزاعم

(28) ثغر المعمورة ، ويسمى أيضا الهدية وحلق سيجو . يقع شمال مدينة سلا على مصب نهر سيجو

علماء ذلك العصر وفي مقدمتهم محمد العربي الفاسي الذي أصدر فتوى عامة مطوية في الموضوع . اشتملت على خمس مسائل . ومما جاء فيها فيما يخص الامام وادبه قوله : لا يتوقف وجوب الجهاد على وجود الامام ولا على اذنه في الحصة ، وذلك شرط كمال لا شرط وجوب ومن المعلوم الواضح أن الجهاد مقصد بالنسبة الى الإمامة التي هي وسيلة له ، لكونه في غالب العادة لا يحصل على الكمال الا بها ، فاذا أمكن حصوله دونها لم يبق معنى لتوقفه عليها فكيف نترك المقاصد الممكنة ، لفقد الوسائل المتعذرة . ومن المعلوم في الفقه ان جماعة المسلمين تنزل منزلة السلطان اذا عدم السلطان . وما تهذى به بعض الأئمة في هذه الازمنة من انه لا يجوز الجهاد لفقد الامام وادنه ، فكلمة أرواحها شيطان الجن الى شيطان الانس وقرها في أذنه . ثم ألقها على لسانه . في زخارف عدياته ، الخواء للعباد ، وتضييطة عن الجهاد . وحسبك فيمن يقول ذلك انه من أعوان الشيطان ، واخوانه الممددين في الغي والطغيان . والذي نشهد به الأدلة أن الجهاد الآن أعظم أجرا من الجهاد مع الامام ، لان القيام به الآن عسير ... (30) فخرست ألسنة المشاغبيين مدة ، وتبين للناس تدجيلهم وتلاعيبهم بالدين . لكنهم عاودوا الكرة مرة أخرى واستغلوا فرصة نسوب الخلاف والقتال بين العياشي والاندرلسيين المقيمين في الرباط والقصبة مركزوا دعايتهم هذه المرة على أن العياشي طامع في الملك يدعو الناس للدخول في طاعته ويقائلهم على ذلك مضيفين حلة الجهاد والقداسة على خصومه الاندرلسيين . معللين مهادنة السلطان السعدي للنصارى بأنها ضرورة اقتضتها الظروف ليمون بواسطة سفنهم الحربية قصبة الرباط المحاصرة من طرف العياشي . وكان الذي تصدى للافتاء في ذلك هو أبو مهدي عيسى الكتاني فاسي الجماعة بمراكش (31) فأسهب في الكلام . ومما قاله عن العياشي : ... ان حاصل أمر هذا الرجل المسؤول عنه انه خلط عملا صالحا وآخر سيئا نسي الله أن ينوب عليه ان الله غفور رحيم . أما جهاده ورباطه وحراسته ونسكه فمنعنا عن ، وأما مقاتلته للمسلمين وعدم اكتراته بدمائهم واعتقاده حليتها . ومحاصرته لسكان الثغر وفساده بلادهم التي هي في نحر العدو . وحل نظامهم والسعي في ضعفها واخلالها من عمالها فمن الشرع والدين

(30) عبد العزيز الزباني ، الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة ورقة 122

(31) الشيخ أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني أستاذ الحسني اليوسفي صاحب الخاتبة على شرح العقيدة الصغرى للسوسني . وكان قاضيا بشارودانت فلما استولى أبو زكريا العياشي على المدينة فر السكتاني منها والتحق بمراكش فسماه عبد المالك بن زيدان السعدي قاضيا الجماعة . وظل في عمله الى أن توفي بمراكش عام 1630/1040 - 1631 .

والصواب فيها بعزل ... (32) ولستنا بصدد البحث عن تاريخ العياشى
لندرس تفصيل موقفه من مهاجرى الأندلس ، ونناقش أقوال خصومه
ومراعيتهم . على أنه بالرغم من نبل مقصد المجاهد السلوى ، وثبوت استقامته
وصلاحه باجماع كل من تعرض لأخباره من المؤرخين ، يبدو أنه اشتط قليلا
فى المساواة التى عامل بها الموريسكيين وليته غرض الطرف عن حقواتهم - مهما
كانت عظيمة - وتركهم ولو إلى حين على ما يرومون من استقلال فى مدينتهم .
وعمل على إيلافهم واجتذاب أفئدتهم ، ونعويدهم الاشتراك فى المجتمع الجديد
الذى انتقلوا إليه .

وقد سبق لمحمد بن أبى بكر الدلائلى أن تعرف على المجاهد محمد العياشى
فى مدينة سلا عند الشيخ عبد الله بن حسون ، فتوطدت عرى الصداقة والمحبة
بين الرجلين ، وظلا يذكران طول حياتهما صفاء المنبع الصوفى الفياض الذى
كرعاهما معا ، ويتبادلان فى شتى المناسبات رسائل تبدو فيها الصراحة والثقة
وال تقدير والاحترام . فالعياشى يذكر لصديقه الدلائلى ما يعتزم القيام به من
الحركات الجهادية . ويطلعه على خططه الحربية ، ويتحدث إليه فى غير كلغة
ولا احتراز عما يعترضه من صعوبات مادية معنوية . وجاء فى رسالة وجهها
المجاهد العياشى إلى الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائلى بعد الانتصار الذى كملت
به إحدى غزواته ضد الأسبانيين فى العرائش ، وذلك عام 1040/1031 : « وقد
ورد علينا كتابكم المعظم أثير المحل لدينا . كريم الورد علينا مهننا بغزوة
العرائش أعادها الله دار اسلام ، وقد قوى الأمل فى الله سبحانه أن تكون
لك الغزوة مفتاحا لفتحها . ومقدمة تلزم لعرائم الاسلام نتيجة نجاحها .
فالمسلمون نازلون الآن بعقر دارها ، ومرسلون الصواعق على أسوارها . حتى
تفرق أن شاء الله بكفارها . ويأذن الله عز وجل ببوارها ، وتطهيرها من
أداسها وأوضارها ، وعودها إلى ملك الاسلام بعد إبقائها وقرارها . هذا الذى
انغلت عليه النية ، وانظرت عليه الحنية . لكن يا سيدى أين المساعيد ؟
والامر لا ينهض به الواحد ... » (33) وكانت الرسائل الواردة من الدلاء تحمل
للعياشى من التشجيع والتأييد ما يدفع به للمسير قدما فى ميدان المقاومة
والجهاد والدود عن حوزة البلاد . وأخطر عقبة كانت تعترض طريق العياشى
من اختلاف القبائل وتخاذلهم . خصوصا بنى عمه أعراب بلاد الغرب . ولما

طرق خبر فتنهم سمع الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي كتب الى العياشي يقول : ... هذا وقد بلغنا وانتهى اليك أن تلزم القبائل المحيطة بسلا ، حسبما لقته الرواة حديثنا صحيحا ومستسلا ، ما قاموا بواجب شكر الله في نعمه التي أسداها اليهم ، وأسبغها عليهم ، وهي ذاتكم التي نابت عن الامة المحمدية في أداء هذا الغرض ، الذي حمدت سعيه أهل السموات وأهل الأرض ، وإذا كانت عادة القبائل أن يردوا أمورهم من غير حيلة واحدة من شجاعة ، أو ورأى ، أو جود ، أو دين ، ويجعلوه المعول فكيف لا يردهم قبيلكم لمن جمع الله به وفيه هذه الخصال وزيادة ، وأحل بهجاده الرتبة العليا من الرياسة والسيادة ، وسلك بهم مسلك الطاعة ، وشيد لهم فخرا تبقى مناقبة الى قيام الساعة ، فلي بربك ، وشهد يديك على الاعتصام بحبله والانتصار به وبأوليائه المؤمنين (34) . وكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي رسالة أخرى في نفس الموضوع الى أحد رؤساء بلاد الغرب من ذوى العصبية القبلية والسلطة الروحية ، وهو الشيخ أبو زيد عبد الرحمان العايدى عن أعيان أعراب سنجير (35) يحثه على نصرة المجاهد العياشي ونذب القبائل الى الائتمار بأمره ودعوتهم للالتفاف حوله والعمل معه يدا واحدة . وهي رسالة طويلة مؤثرة سلك فيها شيخ الدلاء مسلكا حكيما بين الدين والتسدة ، والترهيب والترغيب . وكان يعرف من مخاطبه التدين والميل الى التصوف ، فحاول أن يؤثر عليه من الناحية الروحية ، وذكر له أن للعياشي مددا من نور النبی صلعم بواسطة شيوخه عبد الله بن حسون ، وعبد العزيز التباع ، ومحمد بن سليمان الحزولي وطلب منه أن يبين ذلك لقومه : «واشرحوا لهم أصل الهداية ، فما هي إلا من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أهل المدد من نوره وكل هداية غير هذا ضلال . واستدعوا من الله بقاء هذا السيد المرابط المجاهد في سبيل الله العلى الصالح العالم الناصح العارف بالله المحقق الصوفى الربانى . أبو عبد الله سيدى محمد العياشى - وفر الله أنصاره - فله مدد من هذا النور ...» (36) وتحدث ابن أبي بكر بعد ذلك عن المسائل الثلاث التي كانت سبب الخلاف القائم بين العياشي وقبائل الغرب . وهي قطعهم للطرق ، واعتناعهم عن دفع الزكاة ، والجهاد معه في سبيل الله ، فقال : ... أما نهى القبائل عن قطع

(34) عبد القاهر املاق ، الخبر عن ظهور العياشي ، ص 18 - 19 .

(35) الشيخ أبو زيد العايدى هذا هو قريب سيدى الحسن العايدى صاحب المزارعة المشهورة بحي المويقة بسلا . والمتوفى عام 1718/1131 . وهناك صلحاء آخرون من قبيلة سنجير ذكر بعضهم الناصرى في الاستقصا

(36) عبد القاهر املاق ، الخبر عن ظهور العياشي ص 22 - 23 .

الطريق والظلم ففيه صلاح دنياهم ومعاشهم ، وأما الآخرة فما شعروا بها ولا عرفوها . ولو عرفوها ما احتاجوا الى هذا . فالظلم يخلى الخيام ، ويعمرها بالإنعام . وأما أمرهم بدفع الاعشار والزكوات فلأنه لا يتم الإيمان الا بذلك . قال الله تعالى : وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . وقد صرفنا في مصرفها الشرعي . وأعان بها المجاهدين ، وأما دعاؤه الناس للجهاد واستتجادهم واجتماعهم عليه فإن فيه قهر العدو الكافر ، وبه رد الله كيده في نحره . مات والله الاسلام . قد قطع العدو البحر ودمهم المسلمين في بلادهم ، وتخطف الناس واسرهم من بين خيامهم . (37) وسار شيخ الدلاء في رسالته على هذا النمط متفجعا على الاسلام . مذكرا بما جرى للمسلمين في الاندلس ، والمراحل التي قطعها العدو في اعتلاك بلادهم ، الى أن أخرجهم عنها نيازيا ، وأخذت طاعته نتيجة لاحتلال هذه العدو أيضا : ثم عاد فذكر فضل العياشي وجمعه لكلمة المسلمين . ودفاعه عن بلادهم دون أن يجد عندهم مؤازرا أو معيناً .

ولم يقتصر تأييد الدلائيين للمجاهد العياشي على تشجيعه بالمراسلات وندب القبائل لمؤازرته وانصرته ، وإنما كانوا يقدمون له الاعانات المادية . ويعنون اليه بالجنود المقاتلة عند الحاجة . وقد أرسل الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي أواخر عام 1032/1023 جيشا قويا بقيادة ابنه محمد الحاج (38) لمساعدة العياشي على اتحاد فتنة شراكة بصواحي فاس (39) . وكان المجاهد العياشي يبادي الدلائيين بما يستطيع من التحف والطرائف اعترافا منه بالجميل . وبعث اليهم عام 1043/1033 - 1034 مع ابنه عبد الله بهدية عظيمة اشتملت على أنواع الملف والكتان وغيرهما من الثياب الرخيصة العالية الاتقان (40) حتى أن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي تعجب من تلك النفائس التي امتلأت بها صناديقه عديدة . ورأى في استعمالها ترعا لا يذوق بصوفي زاهد مثله ، فوزعها كلها على الشرفاء والضعفاء والطلبة المقيمين بالزاوية الدلائية ، ولم يحتفظ منها لنفسه ولا لأهله بشيء .

(37) عبد القاهر املق ، الخبر عن ظهور العياشي ، ص 23

(38) نفس المصدر ، ص 13

(39) أصل شراكة من أعراب تلمسان ، احتفظهم عبد الله بن الشيخ المأمون السعدي سلطان فاس (1022 - 1033/1013 - 1023) واتخذ منهم جيشا خاصا يعتمد عليه . وكانوا في بادئ الامر يسكنون بعض قصبات فاس وفنادقها ثم خرجوا من المدينة بسبب طغيان ومناوهم . ولما توفي عبد الله بن الشيخ عاث أعراب شراكة من صواحي فاس فسادا . وكانوا ذوي بأس شديد . لم يتمكن العياشي من القضاء عليهم الا بمساعدة مريدان الدلاء . وساكنا شراكة اليوم في شمال فاس تابعة إداريا لقرية أبا محمد .

(40) سليمان الحوات ، الدور الضاوية ، ورقة 49

وصفوة القول أن العلاقات بين الدلائيين والمجاهدين السلاويين قامت على أساسين اثنين من الاخلاص والوفاء . وكان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى بول الرئيس أبا عبد الله العياشى كثيراً من التقدير والاحلال ، ويعتبره قائماً بأوجب دينى ووطنى ، نيابة عن جميع المسلمين فى المغرب ، حتى أنه اتخذ دعاء خاصاً مع أوراده يدعو به لهذا المجاهد فيقول : «اللهم اجز عنا سيدي محمد العياشى أفضل المجازاة ، وكافله أحسن المكافاة ، واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب اليه عنه . اللهم لا تحرمه توجيحه اليك ، وانقطاعه لخدمتك . اللهم نفس كربته . وكفى رعبه . وأجب دعوته . وسدد رميته ، واردد له الكرة على من عذاه فى الحق . انك على كل شىء قدير» (41).

وسنرى فى الفصل الرابع من هذا الباب التطورات المؤسفة التى طرأت على العلاقات بين العياشى والدلائيين الى أن انتهى الامر بهم الى العداوة والقتال.

3 - زعامة محمد الحاج السياسية . (1041 - 1079/1036 - 1068)

(أ) من هو محمد الحاج ؟

محمد الحاج هو أكبر أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائى . ولد فى الدلاء عام 1588/997 - 1589 (42) ونشأ كسائر اخوته وبني عمه مكياً على الدرس والتحصيل فى الراوية البكرية . ونال اجازات عامة فى مختلف الفنون الدينية والادبية من شيوخه أحمد بن القاضى ، وأحمد بن عمران السلاسى ، والعربى بن يوسف الفاسى المتقدمين . «وكان ذا وجه حسن ، وذلاقة لسان ، حسن الشارة . بارع الفهم والعبارة ، موصولاً بالرجولة والروية الفائقة» (43) وتوجه محمد الحاج الى البقاع المقدسة عام 1031/1041 - 1032 فى موكب حافل ضم كثيراً من رجال العلم والفضل والدين ، من جنات مختلفة حتى من بلاد توات ، ولقى فى رحلته الحجارية كثيراً من مشاهير العناية والتقدير ، فخطب الناس فى عرقات ، ودرس بالمدينة المنورة ، وقدم فيها خطيباً واماماً ، ولدى مروره بالقاهرة خرج لفائه الامام أحمد القرى ، فاقام عنده وعند شيوخ المالكية بصحر على الاجتهورى مدة كان محمد الحاج خلالها يعقد مجالس علمية بالجامع الأزهر ويلقى دروساً فى التفسير والحديث وغيرهما .

(41) أحمد الناصرى ، الاستقصا ، ج 6 ، ص 91

(42) أبو القاسم الزينى ، الترجمان العرب ، ص 302 . ويجعل مؤرخون آخرون ولادة محمد الحاج عام 1591/1000 - 1592

(43) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 109/ب

وبدت كفاءة محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده الذي كان يمسك عليه في المهضات ، ويرسله على رأس جيش الدلاء الى ما وراء نهر ملوية والى بلاد الغرب فيرجع ظافرا منصورا . وقد انفرد أبو القاسم الزباني - فيما أعلم - بذكر أخبار عربية عن نشأة محمد الحاج ، زعم نقلها عن الشيخ اليوسى وقال عن أمير الدلاء انه كان في ابتداء أمره طالبا صعلوكا عملاقا طرده والده لاشتغاله بما لا يعنيه ومصاحبته للبطالين . فكان يأوى الى كيف في جبل بدلا لوجه فيه النار ذات ليلة فرأى أثر باب داخله فنقبه واستخرج منه سبعة قمام تحاسبه في كل منها عشرة آلاف دينار مرينى «فأصلح حاله ووراسى أقاربه واصحابه . وولع بركوب الخيل ، واستركب الاقارب والاقربان ، فلم تكمل عليه السنة الى أن كان يركب فى مائة من الخيل من الاولياء والمصطنعين . واشغل بشقويم الاتباع من قبيلة مجاط وغيرهم من صنهاجة آيت أومالو (44) وصار يشن الغارة عن من بملوية وتاذلا من العرب فعلى صيته» (45) .

وأخبار الصعلكة والبطالة والافلاق تناقض ما أجمع عليه المؤرخون واصحاب التراجم من حسن تربية أبناء الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى جميعا ، وتناقض وتأثير البثرة الصالحة فى نفوس الناشئين فيها ، خصوصا ونحن نعرف ما أوتى الدلائيون من بسطة فى المال والعلم والصلاح . وكتب اليوسى بين أيدينا لم نعر فيها قرأناه منها على هذه الاساطير ، بل بالعكس من ذلك نجد اليوسى فى المحاضرات يخصص فصلا طويلا فى نحو 18 صفحة يروى فيه مباشرة عن محمد الحاج كثيرا من الاخبار العلمية والادبية ويتحدث عنه بكامل الاجلال والتقدير .

ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم

بمجرد وفاة الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى عام 1046/1636 ظهر نزوع محمد الحاج الى الاستقلال بالامر ، وبدأت أعناق مختلف القبائل تسرب اليه ، وأحمال أعشارهم وزكواتهم تحمل لديه . فامتلات رحاب الدلاء بالوفود ، وتضاعفت فيها عدد الاتباع والجنود ، ورأى ملك مراکش محمد الشيخ السعدي فى ذلك الاداة الفعالة للقضاء الحتمى على ما بقى له من نفوذ ، فعمل على تدارك الامر بالحكمة ، وسلك نحو هذا الرئيس الطموح سبيل المجاملة واللين . فسارع فى بادىء الامر الى بناء صريخ الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى ،

(44) آيت أومالو ومعناها بنو الظل هم سكان شمال الاطلس . يقابلهم آيت آسوار (بتشديد الميم) أى بنو الشمس وهم سكان جنوب الاطلس

(45) أبو القاسم الزباني ، البستان ، ورقة 1/5

وشيد عليه قبة أئقة بعث لاقامتها الصناع والادوات اللازمة من هراكش .
وانفق عليها يستغناء . وبعد ذلك بعث ملك هراكش قاضيه الشيخ محمد
المزوازي الى الدلاء . ليستميل اليه محمد الحاج ويحطه على الطاعة والبيعة .
ولكن نصائح القاضي ومواعظه ذهبت أدراج الرياح . فمحمد الحاج كان مصمما
على ان يقبض على زمام الحكم في المغرب . بعد أن تأكد من استحلال نفوذ
السعديين واستبداد الثوار عليهم في كل مكان . ويذكر المؤرخون أن محمد
الحاج اعتذر لقاضي هراكش بمسائل لم يفصحوا عنها . ولعله أفهم مخاطبه
بأن عجز السعديين في ذلك الحين عن القيام بمهمتهم . أفقدهم أهم أركان
الخلافة الذي هو الكفاءة . فلم تعد لهم عصبية قبلية . ولا سلطة روحية مستمدة
من نسبتهم القرشية فغدا بذلك جلوسهم على العرش غير ذي موضوع . اذ ليس
من المعقول أن تشتعل نيران الفتنة في أرجاء البلاد وتأتي على الأخضر واليابس ،
وبعدم الأمن ويختل النظام ، في الوقت الذي يوجد ملك صوري قابض في قصره
لا يحرك ساكنا وكأن الامر لا يعنيه !

وبالرغم من فشل القاضي لم ييأس محمد الشيخ ، وكتب رسالة مطولة
الى محمد الحاج وتفسيرته ، حاول فيها أن يكون لبقا يجمع بين الوعد والوعيد .
ويسلك سبيل اللين والتهديد . ولكن قلم الكاتب جمع فأسهب في اختلاق
المعاني والنقائص للدلائيين . مما يتنافى وما يتطلبه الموقف من اجتلاب قلوبهم
والتودد اليهم . وقد جاء في هذه الرسالة : « ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن
نصار عموم البرابر ، وأقعدكم في القباب على الاسرة وفي بيوت الله على
الكراسي والمنابر . عويتم علينا معشر الثوار كالدئاب من كل عراء وشعبة ،
لتكون عزيمة نهوضنا اليكم معطلة صعبة ، وإن لاندري أين تميل النفوس .
تلك الصحاري أم الى ايليع السوس . وهذا المغرب لا يخلو علان من نواويس
كل كاهن ومدع قرقرار (46) تسمى فيه البومة خاملة وتصبح بالمخلف
والمنقار (47) واقترح محمد الشيخ في آخر هذه الرسالة على الدلائيين أن
يسألهم عن قسط من الجبايات ، يكفي شؤون الزاوية وأهلها ، مقابل أن
يعترفوا بسلطنته ويكفوا أيديهم عما عدا ذلك ... فقال ، وحتى الآن دعوناكم
لنعد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى . من وحدة الى حدود السوس
الامصى ، فنزعد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية وأهلها ، بشرط أن تفيقوا
من سنة الغفلة وجهلها ، وإن أمسكتكم أقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد

(46) القرقرار : الذي يجدر كالجمل

(47) أحد الناصري . الاستقصا ، 6 : 99

وبول سوله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، (48) وقد أجاب محمد الحاج
 في هذه الرسالة بأخرى بليغة من انشاء أخيه محمد المسناوي ، ظهر فيها
 استكاف الدلائيين مما لمزهم به محمد الشيخ من النقائص واعتذروا عن عدم
 جدد البيعة بأمرين ، أولهما أن قبائل البربر لم تعد تعترف بسلطة
 السعديين ، فلو بايعهم الدلائيون لانقض البربر من حولهم ونزحوا عن
 ساحلهم . وثانيهما قيام محمد بن الشريف في الصحراء وتقويه ببرابرة
 صحابة وعرب دحيصة وتشوفه لامتلاك المناطق الخاضعة للدلائيين على ضفاف
 نهر ملوية ورباط تازا . وبعد أن ذكر الدلائيون ما هم عليه من المنفعة وشدة
 الحس قالوا : « وحتى الآن ان قصدتم الغرب أو حصن فاس . فلا تنالكم من
 حاسا مساء ولا بأس ، فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة
 والتدبيرة (49) قرار ، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار ، بين أن نؤمن لك أو
 نترك لك الديار ، أو نستصريح بمن هو مثلك شريف حقيقي وسلطان ، له
 شعب أكثر منك في ضبط الاوطان . وان قمعت بحوز الحمراء من مراكش ،
 ورفضت عنك معاناة الهراش والتناوش ، فدعنا وعراعاة من تجارتك الرئاسة ،
 وعنته اشتراء نفيس السياسة ، ضرغام غاب سجناسة » (50) . والرسالتان
 خاليتان من التاريخ ، وقدر الناصري في الاستقصا (51) أنهما تبودلتا خلال
 عام 1046 . (1636 - 1637) والظاهر أنهما كانتا في أواخر عام 1047 أو قسبي
 رائل 1638/1048 لانهما تتحدثان عن الضريح الذي شيده السعديون للشيخ
 محمد بن أبي بكر الدلائي المتوفي شتاء عام 1046/1636 . وتنعذر المواصلة في
 هذا الفصل ان لم تقل تنقطع بين مراكش والمنطقة الجديدة التي تقع فيها
 الزاوية الدلائية . وبذلك فإن العمل في بناء الضريح لم يستدئ الا في أواخر
 تلك العام أو عطلع العام الذي يليه . ولا يمكن عادة نقل المواد اللازمة للبناء من
 مراكش الى الدلاء ، وتشييد القبة وزخرفتها في أقل من سنة ، أضف الى ذلك
 فترة سفارة القاضي المزوار التي سبقت الإشارة اليها وعلى أي حال فإن
 الرسالتين السابقتين كانتا آخر محاولة للتقاعص السلمى بين السعديين
 والدلائيين ، وسبقا بل الفريقان في معركة حاسمة على ضفاف وادي العبيد
 قرب الحسير النهائي لعلاقتيهما كما سنراه في الفصل التالي .

في هذا المصدر ، ص 100

المواد المصونة البيضاء الجديدة فاس الجديد ، والتدبيرة فاس الادريسية

الناصرى ، الاستقصا ، ج 6 ، ص 100

ج 6 ، ص 107

ج) تأسيس مدينة الدلاء

عرفت الزاوية الدلائية القديمة في هذه الفترة تطورا كبيرا ، فنضخم عدد سكانها حتى ضاقت بهم الابنية والاختصاص ، واعتلات السبل المؤدية اليها على وعورتها بالواردين والصادرين . ورأى محمد الحاج أن يؤسس مدينة جديدة واسعة في منبسط من الارض يسهل الوصول اليه . فارتاد لعاصمة امارته المكان الذي توجد فيه زاوية آيت اسحاق في سفح الاطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة وقصبة تادلا (52) وفي ذلك يقول محمد بن الطيب القادري : (وفي عام 1048 - 1038 تشرع أمير المؤمنين السلطان سيدي محمد الحاج الدلائي في بناء قصبة الدلاء في منتصف يوم الاحد سادس وعشر ربيع الاول من العام . وانتظر لذلك طالع سعيد (53) وقد أخذت هذه المدينة الجديدة أسماء كثيرة ، فبعض المؤرخين دعاها قصبة الدلاء ، وبعضهم سماها مدينة الدلاء أو مدينة ازغار أو زاوية محمد الحاج ، وإلى ذلك كان يطلق عليها اسم الزاوية الدلائية أو الزاوية البكرية ، لانتقال الدلائيين الى السكنى بها وهجرة العلماء والطلبة اليها . حتى ان الزاوية الدلائية القديمة في عهد محمد الحاج لم تعد سوى قرية ثانوية يسكنها الفقراء والعجزة ويدفن فيها موتى الاسرة الدلائية كما سبق . واتخذ محمد الحاج لنفسه قصرا وديوانا عظيمين في وسط المدينة الجديدة كان يحيط بهما سور داخلي ما يزال بعضه مائلا للعيان حتى اليوم . (54) وأسكن معه في العاصمة خمس قبائل بربرية من أكثر سكان الاطلس المتوسط عصبية وحمية ، وهي مجاط ، وآيت بمر ، وآيت نضير (بنى مطير) ، وكروان ، وآيت اسحاق . فاستكمل الدلائيون بذلك مظاهر الابنية والسلطان ، وتكونت لديهم أهم قوة حربية بالبلاد سيصول محمد الحاج بها ويجول ، ويمتلك أهم اقاليم المغرب مدة تزيد عن ثلث قرن .

د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

لما استتب الامر لمحمد الحاج ، وقضى على خصومه ومنافسيه ، ودان له وسط المغرب وغربه وشماله ، وكثر جنده وأنصاره ، أخذ يفكر في اضمحاء صيغة شرعية على موقفه ويعمل على تنصيب نفسه ملكا على البلاد لاسيما وقد كان تدهور السعديين في مراكش بلغ غابته ، وأصبح من السهل التخلص من

(52) تبعد مدينة محمد الحاج المعروفة اليوم بزاوية آيت اسحاق عن خنيفرة بمسافة 35 كلم ، وعبر قصبة تادلا بمسافة 64 كلم

(53) محمد القادري ، نشر الثاني الكبير ، ورقة 1/92

(54) انظر اللوحة رقم 8

عالمين في الجنوب . فطالب الناس ببيعته والتزام طاعته . وذلك في أوائل عام 1031/1032 . فقام أهل المغرب بدعوة سيدي محمد الحاج وأدعوا لطاقته وادعوا . وجاءته البيعات من البلدان المغربية . وبأبى أهل فاس الأدرسية والعلية بالخلافة . وكتبوا له البيعة بجامع القرويين . وحضرها من هو أهل ذلك من الأعيان . والجسم الغفير من أهل الديوان . في مهمل ربيع الثاني عام 1032 وقدموا عليه بها للزواوية الدلائية فقرئت على منبر مسجدتها . ووضعت في صندوق مع غيرها من بيعات أهل نواحي المغرب في خزانة كتب الجامع المذكور . (55)

4 - أعمال محمد الحاج الحربية

أ - الحملتان الدلايتان الأولىان

عنى محمد الحاج الدلائي السنتين الأولىين في أعداد العدة وتنظيم الجيش . ونأسيص العاصمة وترتيب القبائل . ولم يتحرك جنده الا في عام 1038/1039 . فقام في هذه السنة بحملتين كبيرتين : على ضفاف نهر وادي العبيد وفي بسائط بلاد سائس . وقد ترأس محمد الحاج بنفسه الحملة الأولى . عندما بلغه خبر تحرك جيش محمد السعدي من مراكش في اتجاه الدلاء . وانفى الحصان على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا . في المكان المعروف بأبي عقبة على بعد نحو 12 كلم من المركز الحالي لدار ولد زيدوح . وجرت معركة حامية الوطيس أسفرت عن انهزام محمد الشيخ السعدي ورجوع جيشه مفلولا الى مراكش . وانقطع بذلك نظر السعديين نهائيا عما شمله نفوذ الدلايين عن البلاد .

وكان سبب الحملة الدلائية الثانية هو استنجد المجاهد العياشي بمحمد الحاج . ليساعده في القضاء على فتنة الحياينة (56) وشراكة الدين قويت شوكتهم . وأمسوا بغيرون على الفاسيين ويسلبونهم أموالهم وأمتعتهم . وحفظون أولادهم ونساءهم . وقد توجه وفد من علماء فاس وأعيانها الى المجاهد العياشي بسلا (57) . ورجوا منه أن يخلصهم من بلائ القبيلتين الحارزين . فأحالهم العياشي على محمد الحاج . وبعث معهم بخطاب يشرح له

- 151 سليمان الحوات . البدور الضاوية . ورقة 111/ب
وذكر خير قيام أهل المغرب بدعوى محمد الحاج في التاريخ المذكور أيضا محمد القادري في نشر الثاني . ص 106
152 الحياينة : قبيلة عربية في شمال شرق فاس . مستقرة بين نهري سبو وورغة . تشمل على ثلاث عشائر كبيرة وعشائر كثيرة - (عاشى الغز والقبولة . ص 117)
153 أشار الى هذه الزيارة التي قام بها وفد علماء فاس للمجاهد العياشي بسلا محمد بن أحمد مطانة في مقدمة شرحه للمرشد المعين . 1 : وكان ذلك في أواسط ذي الحجة عام 1038/1047

الجال ويرجو منه الاغاثة والنجدة . فلبى أمير الدلاء نداء الواجب ، وأرسل الى العياشي جيشا قويا من البربر تحت امره أحد قواده المسمى شعشوع . ويمكننا ان ندرك مدى أهمية هذا الجيش اذا عرفنا أن المجاهد العياشي استطاع به أن يقضي نهائيا على القبيلتين المتمردتين ويلاحق فلولها في قنن الجبال ، ويفرق بقاياها في القبائل لتتحل عصبيتها ، ويامن الناس شرهما ، وطالما عالج العياشي أمر الحيانة وشراكة قبل ذلك فلم يحصل على طائل .

(ب) مهاجمة المجاهد العياشي

لم تطل مدة الصفاء بين الدلائين والعياشي بعد ذلك ، اذ كان نظر محمد الحاج متجها نحو الغرب ، بعد أن تركزت قدماء في ملوية العليا وبسائط نادلا وما والاها من البلاد . وكان لابد له اذا أراد تحقيق مظاهره من أن يخلص من العياشي صاحب النفوذ في الثغور . ولا نظن حادثة الاندلسيين الاغلة اتخذها محمد الحاج لتبرير موقفه العدائي من مجاهد سلا ، وفرصة اعتيلا للقضاء على منافسه من أجل التوسع وبسط النفوذ . وقد اتهم العياشي الاندلسيين المقيمين على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق بممالة الاسبانيين على المجاهدين ، وأفتاه العلماء بجواز قتالهم ، فحاصروهم وضيق عليهم الخناق الى أن تمكن من مدينة الرباط ، وبقيت القسبة تقاوم الحصار مدة طويلة ، اذ كانت حاميتها تتألف من الموريسكيين وجنود الملك السعدي صاحب مراكش ، ضد أروهم الاسبانيون . ومما يؤكد الاتهامات الموجهة ضد الاندلسيين ما ورد في رسالة بعث بها دوراستان « DE RASTIN » القائم بأعمال قنصلية فرنسا في سلا الى رئيس الوزراء ريشوليه « RICHELIEU » بتاريخ 16 يوليو 1030 يخبره بأن سلا الجديدة (الرباط) قد سقطت في يد العياشي ، وان الحصار قائم حول القسبة التي تمون بواسطة الاسبانيين (58) .

وقد أهدر العياشي دماء الاندلسيين في الرباط والقسبة وأباح أموالهم ، وعمرت طائفة منهم الى الدلاء فأجارهم محمد الحاج وسفح لهم عند العياشي فلم يقبل هذا الأخير التسفاعة فيهم ، وأبى إلا أن يستأصل شافتهم . فكان رد محمد الحاج أن زحف بجنده على منطقة نفوذ العياشي ، في أوائل عام 1050 / 1040 وملك مدينة مكناس ، ثم اتجه الى فاس فاعترض العياشي طريقه ، ووقعت الحرب بين الصديقين القديمين ، واقتتل الجيشان المتحالفان الى عهد قريب . وكان النصر في البداية حليف محمد الحاج ، فتقدم الى فاس وحاصرها مدة ،

ثم تم عليه العياشي في جموع وفييرة من رجال الغرب فانهزم الدلايون لأول مرة ووقع الحصار عن المدينة . وعرف محمد الحاج انه لا يستطيع القضاء على خصمه ما دام في عزة ومنعة بين قومه وأنصاره من قبائل الغرب ، فرأى أن يحشد من منافسي العياشي من بين رؤساء هذه القبائل ، وفي مقدمتهم الناعى والى حيسى . فحالفهم وجذب بواسطتهم الى جانبه طائفة مهمة من الاعراب . واعتم محمد الحاج فرصة تغيب العياشي في بلاد الفحص لقتال الاسبانيين في طنجة . فحشد جموع العرب والبربر شمال نهر سبو ، وترصد وعمر على ام أهمية وأكمل استعداد عوده خصمه من الجهاد . وفوجيء العياشي بهذا الجيش الجرار الذي اعترض طريقه ، ورأى ألا يقبل له به ، فجنح الى السلم والبانة لكن المجاهدين الذين كانوا معه أبوا الا الدفاع عن أنفسهم ومواجهة خصومهم . فوقعت المعركة الثالثة بين العياشي والدلايين في ضواحي سوق ارباء الغرب أواخر عام 1050/6141 وكان من الطبيعي ألا يصمد المجاهدون الذين أنبكتهم الاغارات على الاسبانيين ، خصوصا وهم قلة أمام هذه الحشود المبريعة . وقتل فرس العياشي تحته في المعركة فلهذا الى قبيلة الخلط (59) وعمر لا يعلم أنها انخرفت عنه فيمن انصرف من الاعراب . فلم يستقر به المقام عندهم حتى اغتالوه في عين القصب التي تبعد عن مركز سوق ارباء الغرب نحو 20 كلم غربا ، واحتزوا رأسه وبعثوا به الى خصومه ، وذلك في 9 محرم عام 1051/21 أبريل 1641 . وبموت العياشي وتفرق أنصاره خلا الجو للدلايين وتساقطت في أيديهم المدن والاقاليم تباعا . فملكوا فاسا بعد حصار دام ستة شهور . ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد الغرب . وقد عدد أبو القاسم الزباني المدن والقبائل التي سملها نفوذ محمد الحاج فقال : «استولى الرئيس محمد الحاج بن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي على وادي علوية كيف جري ، والريف ، وقبائل صنهاجة (60) والاحماس وغمارة (61) وتطوان ، وقصر مصودة (62) والبصرة (63) وقصر كتامة (64) وقبائلهم ، وبلاد ورغة

(59) الخلط قبيلة عربية مساكنها بين سوق ارباء الغرب وعربانة

(60) يراد بقبائل صنهاجة ما يعرف اليوم بآيت اوهار في الاطلس المتوسط . وتشمل زبال ولسون وآيت شخمان وبني مكيلة .

(61) الاحماس وغمارة من جملة قبائل جباله . وديارهم في ضواحي مدينتي تلمسان وتطوان

(62) قصر مصودة ويقال له أيضا قصر المجاز والقصر الصغير يقع بين طنجة وسبتة

(63) تقع البصرة بين عربانة ووزان . وهي الآن خراب

(64) قصر كتامة ويقال له أيضا قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الشهيرة جنوبى العرائش

(67) ونازة . ومكناسة الزيتون ، وبني يازغة (66) وقبائلها من الجبال» (67) .
وحاول عبد الله العياشي (68) أن يشار والده المجاهد القليل فحشور
لذلك انصاره من قبائل الغرب ، ولقى جيش الدلائيين بقيادة محمد الحاج علي
صفاء واد الطين بالقرب من مركز أحد كورت الحالي ، في أوائل ربيع الأول
عام 1043/1053 وجري بين الفريقين قتال شديد كان التفوق فيه للدلائيين
وطارد محمد الحاج أنصار العياشي في مساكنهم ، وجاس خلال ديارهم ،
وميت الفتنة قبائل الغرب وفشا فيهم القتل والنهب .

ج) غزو شرفاء سجلماسة

بعد أن قضى محمد الحاج علي منافسيه في بلاد الغرب وجه نظره إلى
ما وراء نهر علوية ، وكان يتوجس خيفة من انتشار نفوذ محمد بن الشريف
في الصحراء ، وطالما بحث محمد الحاج دون جدوى عن وسيلة تضمن له بسط
سلطانه على سجلماسة (69) وتبعد من طموح الشريف وأبنائه ، وبالرغم من
تفوق الدلائيين المطلق في الناحية العسكرية كان يصعب عليهم أن يضابقوا آل
أبيت ويبتكروا بهم ، ولعل احجاءهم عن الاساءة إلى العلويين في الوقائع
الحربية العديدة التي ظهروا عليهم فيها يرجع قبل كل شيء إلى ما وقر في
صدر آل أبي بكر الدلائي من حب صادق في الجنب النبوي ، بالإضافة إلى
ما يفرضه عليهم الوسط السجلماسي المشبع بتعظيم الشرفاء ، ولكن السياسة
نعم وتضم ، والرئاسة تدفع بصاحبها إلى حيث يريد وحيث لا يريد . وهكذا
أكلت الغيرة صدر محمد الحاج وأعياه الصبر فرحف إلى تافيلالت على رأس
جيش جوار من البربر في أوائل عام 1646/1056 ليقتضي على منافسه محمد
ابن الشريف ، وكانت بينهما وقعة القاعة المشهورة التي أسفرت عن انتصار
الدلائيين ودخول محمد الحاج إلى مدينة سجلماسة ، حيث أباح للبربر أن

(65) نهر ورغة أحد روافد وادي سبوا يقع شمال فاس وتطحن حوله قبائل جبال

(66) بني يازغة تابعة لدائرة خفرو ومن أشهر قراها المزل

(67) أبو القاسم الزياني ، رسالة اللمدين ، ص 479

(68) عبد الله بن محمد العياشي عالم أدب ويطل مغوار أثنى عليه الشيخ محمد عيارة في مقدمة
شرح المرشد المعين (1 : 3) وحلاه بالقباع علمية عالية . كان عبد الله العياشي الايمن
لوالده في الحركات الجهادية ورسوله إلى الدلائيين وغيرهم . توفي عام 1603/1073
ودفن على ساحل المحيط الأطلسي بالقرب من مولاى بوسلفام

(69) سجلماسة مدينة عتيقة أسسها بنو عذرار في القرن الثاني للهجرة ، ولعبت أدوارا مهمة
في تاريخ المغرب ، وظلت أملا السكك إلى وعاصمة لأفليم تافيلالت إلى ما بعد القرن
الحادي عشر/ القرن السابع عشر وما زالت أطلالها ماثلة للعيان بالقرب من الريصاني .
ويسمى الفيلاليون المدينة الكبيرة أو القديمة

بفعلوا فيها ما يشاءون ، فروعوا السكبان ، واستباحوا الدماء والأموال والأعراض
 لم استجاب الدلائى لتوسلات أعيان تافيلالت وشفاعاتهم ، وكف أيدي الجند
 عن الناس ، وصالح محمد بن الشريف على اقتسام مناطق النفوذ ، فجعلوا
 ما دون جبل العياشى من الأقاليم الصحراوية من نصيب ابن الشريف ، وما
 فوق ذلك من البلاد خاصة بالدلائيين . واستثنى محمد الحاج عن منطقة نفوذ
 الشرفاء خمسة مراكز احتفظ بها لنفسه . لما كان له فيها من مصالح حيوية
 خاصة ، وهي : الشيخ مغفور في أولاد عيسى بالرقب (70) والسيد الطيب
 في قصر السوق (71) والسيد أحمد بن علي العثماني في بني عثمان من
 الحق (72) وقصر كلمية في وطن غريس (73) وأسرى في بلد فركلة (74)
 غير أنه لم يكد ينصرف محمد الحاج من الصحراء حتى هجم محمد بن الشريف
 على القصور التابعة للدلائيين واستولى عليها . وتطورت العلاقات بين الطرفين
 نظرا سببا كان السبب في القضاء النهائي على الزاوية الدلائية كما سنرى
 في الباب التالي .

د) الجهاد ضد الأسبانيين في المعمورة

لم يهتم محمد الحاج كثيرا بالجهاد ولم أن النصاري كانوا يحتلون نفورا
 عديدة بجوار المراكز التي يسيطر عليها . ولعله كان مشغولا عنه بالأحداث
 الداخلية . فهو بالرغم من اتساع رقعة نفوذه ووفرة جنده ، لم يستطع أو لم
 يجزؤ على التخلص نهائيا من منافسيه بمراكش وسجلماسة وإليغ زيادة على
 خصومه شيعة العياشى المتمسكين في بلاد الغرب وأقاليم الشمال ، على أن محمد
 الحاج دعا الناس للجهاد في أواخر رجب عام 1053/1043 واشتغل نحو نصف

(70) أولاد عيسى قصر يقع على الضفة الغربية لوادى زيل . ويبعد عن قصر السوق بنحو
 40 كلم جنوبا

والقصر من اصطاح أهل تافيلالت يعني قرية صغيرة . ويطلق عليها البربر اسم الموم
 (بفتح الهمزة والراء وتسكين الغين والميم) . وإذا صغر القصر ولم يضر إلا بضعة منازل
 يسمى قصيرا أو تقيمت (بفتح التاء والراء وتسكين الغين والميم والتاء)

قصر السوق هو مقر عائلة تافيلالت اليوم . ويبعد عن مكناس بنحو 380 كلم
 (71) بني عثمان ويعرف اليوم بآيت عبيان . عبارة عن عدة قصور تقع على بعد نحو 27 كلم
 من قصر السوق شمالا . ويوجد الآن مشروع بناء سد على وادى زيل يعرف بمشروع
 حزان آيت عثمان

(72) تقع كلمية على شفاة جبل عيسى على بعد نحو 60 كلم من قصر السوق غربا في طريق
 واديات . ويسكنها حتى اليوم آيت مرغاد من البربر
 (73) أسرى قصر واقع على شفاة وادى فركلة . يبعد عن قصر السوق بنحو 80 كلم غربا

(74) فركلة

شهر بنيى، الحملة لكنه انصرف عنها لأسباب خاصة (75) ثم قام بغزوة كبرى ضد الإسبانييين بغر المعمورة عام 1047/1057 بعد أن استنفر المجاهدين للحركة منه من جميع الأقاليم (76). وكان ممن استجاب لدعوته أهل فاس ومعهم الشيخ محمد بن عبد الله معن صاحب زاوية المخفية بعدوة الأندلس، وابنه الصالح أحمد، فأبليا البلاء الحسن في قتال العدو. وضعف الشيخ يوما عن صعود عقبة بضمواحي المعمورة لكبر سنه، فحمله ابنه أحمد على ظهره حتى قطع به المواضع المخوفة، وكان ذا نجد وأقدام، وحمية في الدفاع عن حوزة الإسلام.

وقد أورد الكونت دو كاستري (77) رواية مفصلة لحصار المعمورة تحدث بأسباب عن مراحل الهجوم والدفاع والأغاة. وتحدد تاريخ الحصار من 10 غشت إلى 3 شتنبر 1647. وهذا التاريخ يتفق في المبدأ تماما مع ما ذكرته المصادر العربية. فالقادرى فى نشر المثانى وغيره يقولون أن المسلمين خرجوا للجهاد فى المعمورة فى 7 رجب 1057 وهو يوافق 7 غشت 1047 ومن الطبيعى ألا يقع الزحف على الحصن إلا بعد ثلاثة أيام من خروج المجاهدين من فاس مثلا؛ لكن تختلف الروايات الإسلامية والأفريقية فى مدة الحصار، فالمصادر العربية تقول أن المسلمين رجعوا إلى ديارهم بعد 18 يوما بسبب نفى المرض والموت فيهم من ماء فاسد شربوه هناك، بينما تدعى الرواية الأخرى استمرار الحصار نحو شهر، وتؤكد انتشار الحمى حتى فى صفوف الأيباليين. ويمكن الجمع بين الخبرين بأن انسحاب المسلمين بدأ بعد 18 يوما وفى بعض المجاهدين فى نحر العدو بضعة أيام أخرى. وبالرغم مما تمتاز به الرواية الأفريقية من دقة فى تحديد الأيام والساعات للمعارك، وذكر أسماء الضباط المشاركين فيها، والمراسلات المتبادلة فى الموضوع بين الحامية المحاصرة وملك إسبانيا، فإنها لا تخلو من مبالغات وتحويللات. ومجمل الخبر الذى أورده دو كاستري أن حصار المعمورة أو كما يسمونها

S. Miguel de Ultrammar ou Saint-Michel d'outremer

(75) سليمان الحوات، الدور الضاوية، ورقة 110/ب

(76) محمد القادري، نشر المثانى، ص 189

وقد ذكر المحققان لكتاب الاستقصا، فى المباحث (9810) احتمال وقوع هذه الغزوة عام 1052 وهو خلاف الواقع لتضافر النصوص العربية والأفريقية على تحديد عام 1047/1057 تاريخا لحصار المعمورة من طرف محمد الحاج الدلائلى

(77) دو كاستري، مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب، السلسلة الأولى من وثائق فرنسا، 1813

سدا بحجوم ثمانية آلاف من برابرة جبال سوس (78) جاؤوا للجهاد
 مع كل واحد منهم خنجر ، وسنة « Hache à deux tranchants »
 إسبانية خفيفة Escopelle (79) وقد لوحظ وجود السوسيين في الخندق
 يوم السبت والاحد 10 و 11 غشت 1647 لكن جنود الحراسة الاسبان
 لم يلاحظوا حركتهم ، فزحف المسلمون يوم الاثنين 13 غشت حوالي الساعة
 اربعة صباحا ، وارتدوا في خندق باب سلا وبدءوا يقطعون الجسر المتحرك
 دون ان يشعر بهم الاسبانين ، الى ان استيقظ القبطان أنطونيو دوياديسلا
 « Antonio de Padilla » على اثر اصوات الطرق ، وما كاد يصيح :
 الى السلاح ، الى السلاح ! ايها الاسبانين ! غشي سقطة ميتة بطلقة ناربية
 من إحدى البنادق الخفيفة . وتراجع المسلمون من الخندق بعد أن أخذت
 مدافع الاسبانين تطلق النار عليهم ، ثم كروا بسرعة وتسلفوا بسهولة البرج
 « SAINT JOSEPH » دون أن يدافعهم جنود الحراسة الذين أدوا
 من اعمالهم بموت عشرة منهم وجرح اثنين آخرين . وحاول المسلمون أن
 يستولوا على الآبار التي تمون الحصن ، لكن الاسبانين استماتوا في الدفاع
 عنها طيلة ثلاث ايام .

وقد بعث السوسيون الى الامير عبد الله الدلائي في سسلا يخبرونه
 بأسبلائهم على القنطرة والبرج ، فأمر أن ينادى في جميع مناطق امارته ليأتي
 رجاله في ظرف ثلاثة ايام الى مدينة سلا لجهاد النصاري فاستجاب لندائه في
 الاحل العدد جميع من كانوا يستطيعون حمل السلاح ، واجتمع أكثر من
 30.000 رجل و 10.000 فرس ، علاوة على كثير من باعة المؤنثة للجنود .
 وتحرك جيش المسلمين من سلا حاملا معه ثلاث قطع من مدفعية القصبة ،
 اثنتان من الحديد ، ومدفع صغير من النحاس ، واحتل هذا الجيش الصراكر
 التي كان المقاتلون البربر قد استولوا عليها ، وأخذ يوجه قذائف المدافع الى
 المواقع الامامية للاسبانين ، وبقي يتقدم الى أن لم يعد يفصل بينه وبين أسوار

(78) من العلوم أن بلاد سوس كانت عاصمة في ذلك العصر الى أبي حنون السلائي . لذلك
 فإن البرابرة الذين سجلت عليهم الرواية الاسبانية هم من المنطقة الخاضعة للدلايين
 الاقصى المتوسط والكبير . ولعل « جبال سوس » في الرواية اما أن يكون غلط . أو
 « جبال الاصطلاح » القديم الذي كان معروفا عند مؤرخي القرن الحادي عشر الهجري (السابع
 عشر الميلادي) من أن السوس الأدنى يشمل المناطق الواقعة بين وادي ملوية ووادي أم الربيع
 « Escopelle » نوع من البنادق الخفيفة المشهورة منذ القرن الخامس عشر
 بعد أن حصن المصورة كان محطة بخنادق دفاعية ، يسمى ما يقع منها في التاجية
 المصورة خندق باب سلا

الحصن الا اقل من 30 قدما أمام قنطرة فاس وسلا . وكانت مقاومة الجنود
إسبانيين ضعيفة لان أغليبيتهم كانت مصابة بالحمى الثلاثية وأرسل القبطان
دون فرانسيسكو ديهيريرا « DON FRANCISCO BANOS DE HERRERA »
الذي كان قائما بقيادة حامية المعمورة زورقا سريعا الى اسبانيا وقيه رسالتان
إحداهما الى الملك والآخرى الى دوق المدينة والقلعة . يخبرهما بحالة الحصار
وطالب الإغاثة والنجدة بأسرع ما يمكن . وبمجرد ما توصل السدوق بهذا
الانذار يوم 16 غشت سارع الى تهيئ الأسطول بالرغم من كونه كان في طور
الغاية من حمى ثلاثية خبيثة ، وبدأت الاستعدادات في نفس اليوم . وانتهت
في اليوم الرابع ، وانتظرت المراكب الريح المواتية فلم تنشب أشرفتها الا في
يوم 24 غشت . وكان أسطول الإغاثة يحتوي على سفينة دانكيرك المسماة
سان بيدرو « SAN PEDRO » وسفينة انجليزية كبيرة . وعشر سفن طويلة
انضمت اليه في الطريق سفن حربية أخرى عليه بالضباط والجنود . ولما
وصل الأسطول الى العرائش طلب قائده من حاكم المدينة الإسباني أن يروده
أخبار المعمورة . فأجاب بأنه لا علم له تماما بهذا الحصار لانه لم يصل اليه
أي رجل من المغاربة المسالمين (81) . وقد أعد قائد الأسطول الترتيبات اللازمة
للقال في حالة ما اذا وجدوا الحصن قد سقط في أيدي المسلمين . وفي يوم
الأربعاء 28 غشت على الساعة العاشرة وصل أسطول الإغاثة واقترب الى أن
صار يراى من الحصن وخيام المسلمين . لكنه لم يستطع الدخول الى وادي
سبو نظرا للطلقات النارية التي توجهها مدفعية المسلمين المركزة على ضفة
النهر . وفي اليوم التالي عين بطريق القرعة مركبان على ظهر كل منهما ضابطان
وأربعة جنود للتوجه - بالقوة - الى الحصن . لكن هذه المحاولة باءت بالفشل .
وفي يوم الجمعة 30 غشت عاودت سفينتان أخريان الكرة بدون نتيجة . فقرر
قائد الأسطول على أن يقتحم النهر بنفسه تقاديا لأخطار الانتظار والتردد .
وفي يوم السبت 31 غشت على الساعة الرابعة صباحا وصل الى الأسطول
لذان كبير قادم من الحصن دون أن يصيبه سوء أو يشعر به المسلمون . وكان
حمل رسالة من قائد الحامية المحاصرة يطلب فيها بالحاح كبير من قائد
الأسطول أن يدخل الى النهر في أسرع وقت ممكن . لان الحصن المحاصر عن
مسافة قريبة جدا معرض للسقوط . ولان الحاجة ماسة الى الرجال بسبب
كثرة المرضى والجرحى . فتقدم قائد الأسطول بسفينته الكبرى تتبعه السفن
الحربية الأخرى . الا السفينة الانجليزية التي تمرد قائدها وهدد بتسليم

(81)

المغاربة المسالمون أو من يسمونهم MOROS DE PAS عبارة عن معارضة شبه جواسيس كدوا
بعدمون يمين الإخلاص الى ملك اسبانيا . ويستخدمهم النصارى في معادلاتهم مع المسلمين

بالحرثة إذا ما أرغم على الدخول إلى النهر ، ووقعت معركة حامية بين المسلمين والبحارة الأسبانيين تبادل الطرفان خلالها طلقات المدافع في النهر ، ثم وقعت اشتباكات عديدة في البر ، وتمكن الأسبان من أخيراً من الدخول إلى الحصن وربط جبل الاتصال معه .

وفي يوم الاثنين 3 سبتمبر 1047 أخذ المسلمون المدفع الصغير السحاسي ، وتركوا المدفعين الحديدين محطمين ، ورغموا الحصار عن حصن المعمورة ، بعد أن أضرموا النار في مصف المدافع ليلاً أثناء انسحابهم .

ج (حملات تاديبية في بلاد زعير والحياينة

قام محمد الحاج خلال العشرين سنة الأولى من ولايته بغارات عديدة في مختلف الأقاليم ، حالفه النصر في غالبها ، واستطاع أن يثبت الأمن ويقضي على التوار والصوص والعائنين ، ومن أشهر حملاته التاديبية قتاله لقبائل زعير بالقرب من وادي الشراط (82) خلال عام 1050/1001 - 1051 فشنت جموعهم وطارد رئيسهم الدقاق ، وجاسست جنود الدلاء خلال ديار زعير وتعقبته آثار رؤوس الفئنة فيها إلى أن أدعت القبيلة كذباً بالطاعة ، وركنت إلى الخضوع والاستكانة واستراح الناس من عبتها مدة طويلة . وفي السنة الموالية قام محمد الحاج بحركة مماثلة في صواحي فاس ، قارع فيها قبيلة الحياينة وكسر شوكتها ، وكانت قد رجعت إلى سابق عهدها في السلب والنهب وقطع الطرق وسفك الدماء . وتوجه وفد من علماء فاس إلى مدينة الدلاء يرجون من السلطان محمد الحاج أن يكف عنهم القبيلة الباغية ويخلصهم من أذاها . وحملوا معهم سبعاً من فتاوى أكابر فقهاء المدينة الإدريسية تصرح بوجوب مقاتلة الحياينة الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً (83) .

وستتحدث في الباب السادس عن باقي العمليات الحربية التي خاض غمارها الدلائيون في العقد الأخير من دولتهم ، لأن تلك الفترة تمثل عهد التدهور والانحدار نحو النهاية الحتمية للزاوية الدلائية .

(82) يبعد وادي الشراط عن الرباط بنحو 37 كلم جنوباً

(83) انظر نص هذه الفتاوى عند سليمان الحوات في الدور الضاوية ، من ورقة 1/112 المرقمة 1/114 . كما توجد بالخزانة العامة بالرباط رقم 3270 نسخة مخطوطة خاصة بهذه الفتاوى . وأصحابها هم القاضي أحمد الأزجوري ومحمد بن سودة ، والعلماء محمد ميارة ، وحيدون الأبار ، وعبد السلام بن محمد ، وعلي بن محمد المبرقي ، وعبد القادر القاسي . وما جاء في فتوى القاضي ابن سودة : « وقال مالك أيضاً في إعراب قطعوا الطريق ، جهادهم أحب إلينا من جهاد الروم » .

الباب الخامس

انتشار نفوذ الدلائيين السياسى

1 - الموريسكيون ينضمون تحت لواء الدلائيين

- (أ) المدجنون والموريسكيون
- (ب) الموريسكيون فى تطوان
- (ج) الموريسكيون فى الرباط
- (د) أسطول الجهاد أو الفرصة السلاوية
- (هـ) عبد الله الدلائى أمير سلا

2 - علاقات الدلائيين بأوروبا

- (أ) الدلائيون وفرنسا
- (ب) الدلائيون وإنجلترا
- (ج) الدلائيون والبلاد الواطنة (هولندا)
- (د) السفارة المغربية فى لاهاى
- (هـ) قضية تبصر أمير دلائى

3 - الدلائيون فى فاس

- (أ) أحمد بن محمد الحاج أمير فاس
- (ب) محمد الدلائى يخلف أخاه فى إمارة فاس

4 - آثار الدلائيين

- (أ) المباني فى الدلا وفاس
- (ب) النقود الاستقوية

160

1

١ - الموريسكيون ينضوون تحت لواء الدلائيين

(١) المدجنون والموريسكيون

المدجنون أو « MUDIJARES » هم الاندلسيون المسلمون الذين رضوا بحكم النصارى عندما استرجع هؤلاء بلادهم فلم ينزحوا عنها تلبية لما فيه فيها من ضياع ومحتاج . وتكاثرت عدد أهل الدجن بتوالي سقوط الفلاح والحصون الإسلامية ، وتسامح معهم الأسبان في بادئ الأمر ، ثم طسبوا عليهم الخناق والزموهم المقام في أحياء منعزلة خاصة بهم كاليهود ، ومنعهم من حق شراء الاراضي وحمل السلاح ، وانتهى الأمر بالمدجنين بتوالي التيسير والأجبال التي فقد لغتهم ودينهم .

ولما استولى الأسبانيون على غرناطة آخر معقل للإسلام في الأندلس عام 1492/897 هاجر كثير من أشراف هذه المدينة إلى المغرب ، وتحت أحمر واثقين بالعهود التي قطعها الملكان (فرديناند) و (إيزابيلا) FERDINAND et ISABELLA (١) على نفسيهما بثامين المسلمين في أنفسهم وأحوالهم ، واحترام دينهم وشعائرهم . غير أن الأسبان ما لبثوا أن نكثوا عهدهم وسلكوا حيال المسلمين المغلوبين سياسة وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا . فأرغموهم على التنصر ، وطاردوهم بالاتهامات الملققة على يد ديوان التحقيق (٢) وقتلوا آلاف الأبرياء ومثلوا بهم ، وأحرقوا الكتب العربية أكادسا في ساحات غرناطة . وعرفت هذه الطائفة المنصورة من الأمة الإندلسية بالموريسكيين MORISCOS أو العرب الأصغر ، ذاقوا الأمرين على يد الأسبانيين المتعصبين طيلة القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر وعوقبوا أشد العقاب على كل بادرة عنهم تنبىء عن تدمير أو مقاومة . ويحدثنا المقرئ عن نهاية مأساة الموريسكيين

(١) ارتقى (فرديناند) الخامس عرش مملكة (ارجون) بعد وفاة أبيه الملكة يواخت الثاني سنة 1479 . وكان قد تزوج قبل ذلك بالأميرة (إيزابيلا) التي جلست على عرش مملكة قشتالة على إثر وفاة أخيها الملك (هنازي الرابع) سنة 1474 . وهكذا اتحدت المملكتان الإسبانيتان في ظل عرش واحد . وتعاهد الملكان الكاثوليكيان المتعصبان على متابعة حرب المسلمين والقضاء عليهم نهائيا في إسبانيا .

(٢) لديران التحقيق أصول قديمة في الديانة المسيحية . وضع لأجل التأكد من سلامة العقائد الكنسية الرومانية وتطور مفهوم ديوان التحقيق فعدا يطارد الزيج في العقيدة والسحر معا . ونأسس ديوان التحقيق في قشتالة سنة 1478 بمرسوم من الملكة والملاطفة الكثر ومحاكمة المارقين . وابتدأ الديوان أعماله في أشبيلية وصيب فقمته أولا على اليهود المتصرين وكانوا كثيرين في هذه المدينة فقتل منهم وأحرق الوفا خلال عام واحد . ثم أنشئت محاكم التحقيق في سائر أنحاء إسبانيا . وبشت عيوتها في كل مكان للمدجنين على المدجنين ثم على الموريسكيين . فكان من أكبر الجرائم التي يعاقب عليها بالتعذيب الوحشي والقتل والحرق ، أن يكون لباس المتهم يوم الجمعة أفضل من لباس يوم الأحد . أو أن يمتلك كتابا عربيا أو يقرأه أو يتكلم باللغة العربية .

في الإندلس بقوله : ... وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ، ولم يقصر الله لهم تعالى ناصرا ، الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف آخر بتلمسان من إمران ، وجمهورهم خرج بتونس ، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله نعل في الطرقات ونهبوا أموالهم ، وهذا ببلاد تلمسان وفاس ، ونجا القليل من هذه المصربة وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم ، وهم لهذا العهد عمرووا قرأها الخالية وبلادها ، وكذلك بتطوان وسلا وفيجة الجزائر . ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكريا جزائرا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن ، وحصنوا قلعة سلا (3) وبشروا بها القصور والحمامات والدور ، وهم الآن بهذا الحال . (4)

ب) الموريسكيون في تطوان

تطوان مدينة قديمة أسست قبل الاسلام لتخلف تجارتها تمودة الرومانية وقد حربت تطوان القديمة وخلت من السكان في مستهل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ثم جدد بناءها في أواخر هذا القرن نفسه المهاجرون الأندلسيون الذين نزحوا الى المغرب قبيل سقوط مملكة غرناطة ، وكانوا قلة لا يتجاوزون أربعين أسرة . وتلاحقت وفود المهاجرين من الفردوس المفقود سكن المدينة المحددة في فترات متقطعة الى أن قضى الملك فيليب الثالث PHILIP III (5) بطرد جميع الموريسكيين عن أرض شبه جزيرة إيبيريا عام 1609/1618 (6) فعبروا البحر الى العدو الأفريقية ، واستقر عدد كبير منهم في تطوان .

وقد توارث آل المنظري الغرناطيون حكم مدينة تطوان منذ تجديدها لتستغل مهاجرو الأندلس بالجهاد في البر والبحر والاعارة على البرتغاليين

(3) المراد بقلعة سلا قصبة الوداية الحالية

(4) أحمد المقرئ ، نفح الطيب ، 617:2

(5) فيليب الثالث عرش إسبانيا بعد وفاة والده الملك فيليب الثاني سنة 1598 ، وكان من ضعف الرأي يتأثر كأبيه بشراء الرهبان المتعصبين والوزراء المستبدين . وقد أصدر قرارا للفي النهائي للموريسكيين في 15 شتنبر 1609 وأمرهم بالاحتشاد في الشهور ، ألا يأخذوا من متاعهم إلا ما يستطيعون حمله على ظهورهم . لتخليهم السفى الاستانة الى عدوة المغرب .

(6) اتفق المؤرخون الأوربيون على أن انقضاء المسلمين عن شبه جزيرة إيبيريا قد تم خلال سنتي 1609 - 1610 وهذا يوافق من التاريخ الهجري 1018 - 1019 وهو لا يختلف عما ذكره المقرئ من النص السابق من أن هذا الحادث قد وقع «أعوام سبعة عشر وألف» لا الشعر به كلمة «أعوام» من التقريب .

الذين كانوا يحتلون مدن سبتة والقصر الصغير وطنجة (7) . وكان قوام جيش
المجاهدين التطوانيين في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)
أربعمائة من الفرسان وخمسمائة من المشاة ، وخميس عشرة مائة حربية
يأخسون بها السواحل الإسبانية بمساعدة مراكب القراصنة الجزائريين . ثم
نضم عدد المجاهدين بكثرة المهاجرين المبعدين في القرن الحادي عشر (السابع
عشر) وانقل حكم مدينة تطوان إلى أولاد النقيس الذين ظلوا على رأس هذه
الدية مدة طويلة (1066 - 1083/1597 - 1072) (8) وأول من ذكره المؤرخون
من أفراد هذه الأسرة هو المقدم (9) أحمد بن عيسى النقيس الذي انتصر
على الأسبانيين انتصارا كبيرا حتى كاد يطردهم من مدينة سبتة أيام أحمد
النصور الذهبي . وبعد انقسام الدولة السعدية إلى مملكتي فاس ومراكش ،
انضم أولاد النقيس إلى سلطان فاس لقربه منهم ولم يخضعوا للمجاهدين
الغاشي عندما امتد نفوذه على أقاليم مملكة فاس المنقرضة . فاقنم عيسى
قاله سليمان بن يوسف تطوان عام 1041/1631 وجند نحو ثمانية آلاف رجل
من الأندلسيين لمطاردة عبد الله النقيس الذي فر إلى بلاد غمارة أولا ثم التجأ
عند الأسبانيين في سبتة . وظل نفوذ العياشي قائما بتطوان حتى أواخر
أيامه . وبعد ذلك استقلت هذه المدينة بحكم نفسها ، وبأمر الحكم فيها مجلس
من أهلها الذين كان جلهم في هذا العهد من مهاجري الأندلس ، ثم بعد مدة
عاد الأمر فيها إلى أولاد النقيس (10) والدلائيم هم الذين أعادوا أولاد
النقيس إلى تطوان وتصورهم عمالا عليها يحكمونها باسمهم . غير أنه نظرا
لبعد مدينة تطوان عن عاصمة الدلائيم . وضعف وسائل المواصلات آنذاك ،
ووتوقع الاضطرابات في القبائل من حين لآخر كان لرؤساء تطوان نوع من
الاستقلال في الحكم فكانت صلتهم برؤسائهم الدلائيم تقوى أو تضعف تبعا
لأستقرار الأحوال الداخلية أو اضطرابها . لكن لا يمكن بحال أن نعتمد على بعض
مظاهر التصرف المطلق لأولاد النقيس لنزعم أن مدينة تطوان كانت مستقلة

أحتل البرتغاليون مدينة سبتة عام 1415/818 - 1416 بعد حصار دام ست سنوات . وظلت
تحت حكمهم أكثر من قرنين ونصف ، ثم سلموها إلى الأسبانيين حوالي عام 1080/1460
1078 . وملكوا القصر الصغير الذي يسمى أيضا قصر مصودة وقصر المجاز ، بين سبتة وطنجة .
عام 1457/862 - 1458 . واحتل البرتغاليون بعد ذلك طنجة عام 1464/869 - 1465
وحكموها ما يقرب من قرنين . ثم تنازلوا عنها لإنجلترا عام 1072/1651 كغير قديمت
كاثريين دوبراكاس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثاني ملك إنجلترا . وقد
استرد الولي اسماعيل مدينة طنجة من إنجلترا عام 1084/1665 .

محمد داود ، تاريخ تطوان ، القسم الثاني من المجلد الأول ، ص 174

المقدم لقب خاص برئيس جماعة المجاهدين

140 محمد داود ، تاريخ تطوان ، ج 1 ص 232

لها بسببها يعود الدلائليين . والنصوص الصريحة المتقدمة تعد هذه المدينة
مريضة ماضية يعود محمد الحاج (11) ، والمعاهدة التي أمضاها سلطان الدلاء
في سنة الفضة عام 1067/19 غشت 1057 مع الحكومة الانجليزية تؤكد انه
صاحب السور في تطوان (12) وظلت هذه المدينة وفية للدلائليين حتى بعد قيام
الكورن صدم في بلاد الغرب . ولم تستسلم تطوان الى الخضرغيلان الا بعد
البحر اقامه جيوش محمد الحاج في وقعة «وادي بوحيرة» (13) بالقرب
من ساحل مولاي بوسليم عام 1070/1660 .

ج) الموريسكيون في الرباط

الاعم جالية الاندلسية قدمت الى المغرب استوطنت الرباط والقصبة (14)
وعلى ما يلزم الموريسكيون بالجللاء العام عن شبه جزيرة ايبيريا ، هاجر الي
غرب مكان غورناتشو (15) المعروف بصدق عقيدتهم الاسلامية وراثتهم
واسع ، واستقروا بقصبة سلا وحصنها وبنوا فيها الدور والقصور
والجامعات ، ثم كانت الهجرة الاندلسية الكبرى في مستهل القرن السابع عشر
فلجحت الرباط والقصبة بالموريسكيين ، ودخلوا في طاعة زيدان بن المنصور
فكبراء فامر عليهم القائد فاضل الزعروري الانصاري . وحدث بعد بضع
سنوات من تولية هذا القائد أن رجع المجاهد العياشي الى سلا ناجيا بنفسه من
الظلمة التي دبرها السعديون ضده في آزمور ، فبهت زيدان الى قائده

عن ي الأندلس - مسكروا - بقصيدة نظمها بعض الشعراء من أهل

تطوان حين دخل الأمير محمد الحاج الدلائلي مدينتهم أيام ولايته ، مطلقا :

تلك تطوان بقرى
وحزت ضبتها وذكورا

رب المراهب خيرا
قد صار فضله خيرا

ركب لا قد اتانا
مولانا سلطان عمدا

13: 588 . سلسلة وثائق إنجلترا .

14) وهي بوحيرة يقع بالقرب من المرجة الزرقاء غرب مركز شرق أرباء الغرب ، لا في ناحية
القصر الكبير كما يظن ذلك بعض الاوربيين

15) كانت الرباط والقصبة قبل مجيئ الاندلسيين اليها تسميان عا الى سلا ، فيقال رباط سلا
قصبة سلا . ثم صارت المدن الثلاث تدعى أجمالا مدن سلا . وعند التفصيل يعبر عن
سلا الحالية بسلا القديمة . وعن الرباط بسلا الجديدة . وبقيت القصبة مسورة الى سلا
ال ان سكنها جيش الودايا أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام العلوي فسميت قصبة
الودايا . كما استرجعت الرباط الاسم الذي أطلقه عليها مؤسسوها الموحدون وهو
«سلا الفتح»

16) غورناتشو مدينة في جنوب غربي السبيلية ودارقة . بعدة على الاولى نحو
170 كلم شمالا . وعن الناقبة نحو 50 كلم جنوبا



مناظر المدونتين في منتصف القرن السابع عشر
 منظر المدونتين في منتصف القرن السابع عشر

منظر المدونتين في منتصف القرن السابع عشر

الزعروري أن يقبض على العياشي أو يغتاله ، لكن سيوح الاندلسيين واعيانهم عارضوا في تنفيذ هذا الامر ، وتطوعت جماعة منهم للارملة مجاهد سلا وحمايته من كل اعتداء - (16) ثم صدر أمر ثان الى القائد الزعروري بتجهيز جيش من الاندلسيين الفهمين في القصبه وتوجيهه الى درعة لاجناد فتنة قامت هناك ، فوجه منهم اربعمائة مقاتل وطالت غيبتهم بالصحراء الى أن قرر أكثرهم ورجعوا الى ديارهم حائزين ، وامتنع الاندلسيون بعد ذلك من الاستجابة للقائد الزعروري الذي كان يبلغهم أوامر ملك مراكش بالتجنيد والمساهمة في العمليات العسكرية بالجنوب ، ورأوا أن يتخلصوا منه بوسيلة أو بأخرى فوصلوا به الى السلطان زيدان ولفقوا ضده اتهامات متيرة ، فبعث زيدان عن قبض على القائد الزعروري ، وولى على المدينتين مملوكا له يسمى عجيبا ، لكن الموريسكيين لم يلبثوا أن ثاروا على هذا المملوك وقتلوه ، قاطعين بذلك صلتهم ببلات مراكش وأقاموا عنهم عاملا جعلوه مسؤولا أمام مجلس مختار لمدة محدودة يقع تجديده بطريقة الانتخاب . فتكونت بذلك الجمهورية الموريسكية الاولى بالرباط ، ثم فعل سكان القصبه ما فعله جيرانهم فكونوا جمهورية ثانية مماثلة وذلك حول عام 1040/1030 . وربطت الجمهوريتان في بادئ الامر علاقات طيبة مع المجاهد العياشي الذي كان نفوذه يمتد من سلا الى تطوان ، واعترفتا بسلطنته مع الاحتفاظ باستقلالهما الداخلي ، وساعدته في حركاته الجهادية «بالرمية والبارود والانفاط» (17) ثم فسد الجو بين العياشي والموريسكيين حين امتنعوا عليه فيما كان يريد من توحيد وادماج ، وأبوا إلا أن يظلوا متميزين الشخصية . وبحث الموريسكيون عن سند يعتمدون عليه ، وحليف يظهرونهم على خصمهم الرابض أمامهم وراء التهر ، فلم يجدوا غير الملك السعدي صاحب مراكش ، لكنه كان عاجزا عن أن ينجدهم بله أن يرجح كفتهم ، فمدوا أيديهم الى الأسبانيين - حسب الروايات المستفيضة - ووظفوا الصلات مع حامية المعبورة وأمدوها بالطعام والذخيرة في الوقت الذي كان العياشي وصحبه يرابطون حول هذا الحصن ويضيقون عليه الخناق حتى كاد يسقط في أيديهم . وقد رأينا ما فعل العياشي بالموريسكيين من الحصار والقتل والتشريد اعتمادا على فتاوى العلماء الى أن تدخل الدلائيون لصالح مهاجري الاندلس ، فكان في ذلك نهاية المجاهد العياشي . وعلى اثر ذلك تكونت في سلا جمهورية ثالثة على غرار الجمهوريتين القائمتين في الرباط والقصبه . ولم يكن تكوين الجمهوريات على هذا النحو بدعا من النظم في ذلك العصر خصوصا في مراكز القرصنة

(16) عبد القادر املاق ، الخبر عن ظهور العياشي ، ص 10

(17) عبد العزيز الزياتي ، الجواهر المختارة ، ورقة 125/ب

أما في سنة 1065 . وقد أقر الدلائيون هذا الموضع في الجمهوريةات الصغرى الثلاث بعد
 ما أسندوا أمر النيابة عنهم فيها جميعا إلى قائد سلا الأمين سعيد الجنوى (28)
 وذلك أصبح له الإشراف على قائد الرباط أبي الطيب بن عبد الرحمان
 عدول (29) وقائد القصبة الحاج يوسف السنسياس (30) . ثم ترك سعيد
 الجنوى أمر قيادة سلا إلى عامر بن محمد (31) ليتفرغ هو للإشراف على الشؤون
 عامة وتسفيد سياسة الدلائيين على العدوتين . وسارت الأمور في المدن الثلاث
 سيرا عاديا بضع سنوات . غير أن الموريسكيين في القصبة عاودهم الحنين
 إلى الاستقلال التام . ورغبوا في الانفصال عن الدلائيين . وجددوا صلاتهم
 بالملك السعدي صاحب مراكش فتصدى لقنابلهم محمد الحاج الدلائى . وبعد
 أن أقر الرباطيين بأن يهاجموهم من البر . أغرق في مدخل النهر سفينة لتعزير
 حصار القصبة من البحر . ولم تجد النجدة التي قدمها للمحاصرين (بالتفتح)
 ترك الجزائر وسلطان مراكش . واستسلم الموريسكيون في النهاية . فأخرجهم
 الرئيس محمد الحاج من القصبة ولم يترك فيها إلا جنودا مغاربة .

د) أسطول الجهاد أو القراصنة السلاوية

لا أقصد بالقراصنة هنا ما يدل عليه أصلها الأعجمى « Course »
 من خصوصية بحرية . وإنما أعني بالقراصنة السلاويين أولئك المجاهدين
 المسلمين والمغاربة الذين خاضوا بسفنههم غيباب البحر للدفاع عن حوزة
 الوطن . أو للثأر من الأسبانيين الذين ساءوا المسلمين في الأندلس سوء
 عذاب وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق . وإذا كان تاريخ البحرية
 في مصب أبي رقراق يرجع إلى القرن السادس (الثاني عشر الميلادي) أيام
 تلك الموحدي عبد المؤمن صاحب الأسطول العربي الجبار ومؤسس دار الصناعة
 بحرية بضاحية مدينة سلا . فإن القراصنة لم تعرف في المغرب إلا على عهد
 المرينيين حينما استقر وكر قرصنة في خلق المعمورة . فاعظم شأنه واستفحل
 أمره . وكان القائمون عليه اخلاطا من جميع الأعصار . فيهم من المسيحيين

(28) الأمين سعيد الجنوى قائد سلا وحاكم العدوتين من طرف الدلائيين . صار خليفة للأمير
 عبد الله الدلائى عام 1061/1062 وظل أمين شرف إلى أن توفي بسلا في أوائل ذي الحجة
 عام 1065/أكتوبر 1655

(29) أسرة عدول الدلائية كانت في الرباط ثم انقرضت

(30) السنسياس (بفتح السين الأول) ومكون النون والسين الثانية . وضم الصاد اسم اسباني
 من حملة الاسماء التي أحبط بها الموريسكيون المهاجرون إلى المغرب وقد انقرضت
 هذه الأسرة الآن

(31) عامر بن محمد من أسرة حركات الشهيرة بسلا حتى اليوم

أكثر من المسلمين . ثم حثرت سبلا خاصة المدينة القرصنية الرابعة - حسب
 دو كاستري - بعد غرابنس الغرب ، ونونس ، والجزائر (22) . وقد كون
 البحارون الاندلسيون بالرباط والقصبة في مستهل القرن السابع عشر أسطولا
 حربيا قويا أخذوا يسيرون به على مراكب الاعداء في عرض البحر ، ويهجمون
 على السواحل الأسبانية ، كما فعل اخوانهم المقيمون في تطوان . وتطورت
 هذه القوة البحرية في عهد العياشي والدلائيين ، وظلت تشير الرعب في نفوس
 البحارة المسيحيين طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، الأمر الذي حدا
 الدول الأوروبية على أن تخطب ود المغرب وتؤدى له الجزية لضمان سلامة سفنها
 التجارية التي تمر غاب الأطلسنيق (23) . وازدهرت مع أسطول الجهاد من
 حديد صناعة السفن على صفاق نهر أبي رقراق ، وزودت هولاندا . وهي أعظم
 دولة بحرية في ذلك العصر ، هذه المصانع بما تحتاج اليه من المواد . وكان
 البحارة العاملون في أسطول الجهاد مزيجا من الموريسكيين والسلاويين وغيرهم
 من المحمدين للقتال في سبيل الله ، أو الطامعين في الكسب والاثراء . وقد

سماعهم الأوروبيون قرصنة سبلا « LES CORSAIRES DE SALE »
 واشتهروا بهذا اللقب فدعوناهم كذلك ، على أن القرصنة البحرية كانت عامة
 في ذلك العصر يقبل عليها المسيحيون والمسلمون دون تمييز أو استحياء ،
 وكأنها نوع من الحرب القائمة باستمرار بين الدول الغير المتهادنة أو المتحالفة .
 وقد غنم هؤلاء الجاعدون أو (القرصنة السلاويون) في ظرف عامين فقط
 أربعين سفينة ، واستولوا فيما بين سنة 1618 وسنة 1626 على ستة آلاف أسير
 من الأفرنج ، وخمسة عشر مليون لييرة (24) وكان الاسترقاق شائعا آنذاك
 عند المسلمين والأوربيين على السواء ، فنفتت أسواق النخاسة في العدوتين
 فملك المسلمون المسيحيين عبيدا واماء وامتلأت أيدي البحارة بألمان الأسرى
 المالك أو بالأموال التي يحصلون عليها مقابل إطلاق سراحهم ورددتهم الى ذويهم
 أو حكوماتهم .

(ع) عبد الله الدلائي أمير سبلا

رأى السلطان محمد الحاج الدلائي بعد أن حملت اليه بيعات المودن
 والقرى عام 1051/1001 أن يغير سياسته تجاه منطقة الغرب التي تعد أهم
 الحية في مملكته ، والا يكتفى باستنابة أحد الاعالي ميمما بلغ حزمه واخلاصه

59 - عبد العزيز بن عبد الله ، البحرية المغربية والقرصنة ، مجلة تطوان 1958 - 59

العددان 3 - 4 ص 68

133 نفس المصدر ونفس الصفحة

134 نقل ذلك عن دو كاستري محمد ، وجدار في مقدمة الفتح ، ص 34

فاستد امر المدن الثلاث سلا والرباط ، والقضبة الى ابنه عبد الله الذي تلقبه
المصادر الاوربية بأمير سلا أو سيد سلا « LE SEIGNEUR DE SALE »
واستقر عبد الله الدلائى فى قصر الامارة بالقضبة ، وقرب اليه الامين سعيد
الجنوى وجعله خليفته وأمين سره ، وأخذ يرجع فى مهام الامور الى اعيان
العدوتين فلا يقطع أمرا دون مشورتهم . واتخذ القاضي الاديب عبد المالك
التاجموعتى (25) كاتباً خاصاً له ، فكان يحبر الرسائل التى تصدر عن أمير
سلا الى مدينة الدلاء وغيرها . بل وحتى المراسلات الخرجية باللغة العربية الى
الاعاجم فى أوربا لم يخل بعضها من سجع وجناس ومحسنات بدعية أخرى .
وكان ديوان الامير الدلائى يضم الى جانب التجموعتى كتاباً آخرين من
الموريسكيين يحررون الرسائل والمعاهدات باللغة الاسبانية . وكان مجلس
الامير الدلائى فى سلا لا يخلو من علماء وأدباء يذاكرهم ويدرسهم على نحو
ما درج عليه فى الزاوية الدلائية ، كما كان يساجل اخوانه وأقرانه فى الدلاء
وغیرها ، ويعقد المجالس العلمية فى المساجد بحيث لم تنقطع صلته بالعلم
والادب بالرغم من أشغاله السياسية والحربية .

ولم تكن مهمة الامير عبد الله الدلائى تقتصر على النيابة عن والده فى
تولى شئون مدن أبى رقراق . وإنما كان يقوم الى ذلك بوظيفة وزير الخارجية
فى الحكومة الدلائية ، فيستقبل ممثلى الدول الاجنبية ويتفاوضهم ويعقد معهم
المعاهدات التجارية وغيرها ، ويراسل رؤساء الدول باسم والده ويتلقى
خطاباتهم . كما كان كثيراً ما يتولى قيادة الجيوش فى تحركاتها بمختلف
الاقاليم الخاضعة لنفوذ الدلائيين . فينوب عنه فى تصريف الامور عندما يتغيب
عن سلا خليفته الامين سعيد الجنوى . وهكذا امتاز هذا الامير الدلائى بالعلم
والادب والصناعة والاقدام ، فكان رب السيف والقلم معا . الا انه كان مفراط
الرزانة كثير الثاوى والترتيت ، يدرس الاشياء على مهل ، ويقلب وجوه النظر
فى الامور قبل أن يبت فيها . وقد لا يبدو له وجه الصواب فى المسألة فيتركها
معلقة ، أو ترد عليه قضايا مستعجلة وهو يشغل بأخرى . فيؤجلها الى أن
يتفرغ لها دون أن يعير جانب الاستعجال أى اهتمام . أما جوابه عن الرسائل
فكان بطيئاً متأقلاً سواء فى ذلك المراسلات الرسمية والاخوانية . وقد كتب
له أبوه فى الأيام الاولى من اضطلاله بمهام الامور فى مدن سلا يستخبره عن
الاحوال فلم يرد عليه بشئ . فكتب اليه مرة ثانية يستعجه الجواب ويؤنبه

(25) أبو مروان عبد المالك بن محمد التجموعتى قاضى سجلماسة . ادیب شاعر نادر . ألف
كتابين فى الرد على الامام اليوسى . أولهما ملاك الطب فى جواب استاذ حلب يعنى
بأستاذ حلب أبى العباس الحلبي دفين قاس . ولما انتقد اليوسى ألف فيه رسالة ثانية
سماها خلع الاطمار اليوسية بدفع الاسطر اليوسية . توفي عام 1706/1118 - 1707 .

على هذا التأخير الذي يقلق بال الوالد ويجعله غريسة الهواجس والأوهام وكذلك فعل عبد الله مع بنى عمه تباطأ عنهم فلاموه وعاتبوه ، ورماه بعضهم بالترفع والتكبر ، وكاد هذا التريث الغريب يجر على الأمير عبد الله الدلائى لمرورا كثيرة فى علاقاته مع ممثلى الدول الأجنبية . فقد هم مرة قائد الاسطول الهولاندى أن يقبض العدوتين بعد أن طال انتظاره فى عرض البحر أمام سلا دون أن يتلقى جواب الأمير عبد الله عن الوثائق التى حملها اليه من حكومته ، وعد هذا الإبطاء اهانة له واستخفافا بشأانه (21) .

وعناك جانب آخر من شخصية الأمير عبد الله الدلائى لا ينبغي اغفاله ، وهو غيرته الدينية وحميته الإسلامية . فقد كان يؤن أعماله بميزان الشروع ولا يتساهل فى أى شىء مهما كان ضئيلا إذا خالف أصلا من أصول الدين . ويكفى للتدليل على ذلك معارضته للمعاهدة التى أبرمها قبيل مجيئه الى عدن سلا رؤساء هذه المدن مع الولايات العامة (هولاندا) لأن الفصل الرابع منها نص على مجافاة طائفة من المسلمين وعدم التعامل معهم بالبيع والشراء ، وقطع العلاقات معهم نهائيا فى سبيل حلفاء غرباء لا تكاد مصالحهم تتبدل حتى ينقلبوا خصوما محاربين . وظلت المنازعات جارية بين سلا ولاهاى نحو 7 سنوات لتعديل هذه المعاهدة والرسائل تتردد بين البلدين حاملة الاقتراحات المضادة فى الموضوع ، والعلاقات تتوتر حتى تؤذن أحيانا بشر مستنظر . ومع ذلك لم تكن قناة الأمير عبد الله الدلائى ولم يصادق على الاتفاقية مع هولاندا الا بعد حذف الفصل الرابع وادخال تعديلات أخرى لصالح المسلمين .

2 - علاقات الدلائين بأوروبا

للمغرب علاقات قديمة مع أوروبا يرجع تاريخ توطينها الى أواخر القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حينما تردد فى أوروبا من أقصاها الى أقصاها صدى الانتصار الباهر الذى أحرز عليه المغرب ضد البرتغال فى معركة وادى المخازن عام 1578/986 . وأدركت الدول الأوروبية إذ ذاك أهمية القوة الحربية التى تتوفر عليها هذه البلاد ، فسارعت الى إرسال السفراء والهدايا الى بلاط مراكش للتودد الى الملك السعدى أحمد المنصور الذهبى ، وللمعمل على كسب صداقته والتحالف معه . وبعد موت المنصور وانقسام السعديين على أنفسهم بتكوين مملكتى فاس ومراكش ، وقيام الثوار فى كثير من الجهات ، رأت الدول الأوروبية أن تساير الواقع للمحافظة على مصالحها وسلامة رعاياها

(21) رقى قائد الاسطول الهولاندى G. DE WILDT فى عرض البحر ينتظر جواب الأمير عبد الله الدلائى من 27 يوليو الى 5 غشت 1658 . انظر دو كاسترى ، وثائق لم تنشر لتاريخ المغرب ، سلسلة البلاد الواطنة ، 392:6 - 416

في المغرب . فأخذت تفاوض ذوي السلطة والنفوذ في كل منطقة بهمها . سواء كانوا من السعديين أو غيرهم . حتى إذا آل أمر وسط المغرب وشماله إلى الدلائيين مد اليهم الأوروبيون أيديهم وعقدوا معهم الصفقات التجارية . وأمضوا المعاهدات السلمية التي تقوم على التعاون والتحالف . وبعثوا بقاصديهم إلى سلا وتطوان .

وقد استفاد الدلائيون كثيرا من احتكاكهم بالأوروبيين . واستغنوا بالاعشار التي فرضوها على البضائع المصدرة إلى أوروبا والمسبوبة منها . وازدهرت في أيامهم المبادلات التجارية . فكان المغرب يصدر إلى الخارج الجلود والصوف . والشمع . وزيادة على القصدير الذي اكتشف منجمه بالقرب من سلا أيام المجاهد العياشي . وأعطى امتياز استغلاله إلى تجار فرنسيين . ويجلب المغرب في مقابل ذلك من أوروبا التبغ والقمشة وبعض المصنوعات الأخرى . وكان الدلائيون يتصلصون من التعهد بالمحافظة على قيمة الضرائب المفروضة على البضائع في الموانئ . وإذا اضطروا إلى قبول مثل هذا الشرط تحت الحاح المفاوضين الأجانب . وأمضوه في الاتفاقيات والمعاهدات . فانهم لا يلبثون أن يقننوا أول فرصة سانحة للتحرر من هذا القيد والزيادة في التعريفات الجمركية . ومنذ أن عين الأمير عبد الله الدلائي حاكما على مدن سلا (عام 1651/1661) أخذ يتاجر بطريق البحر مع اقطار شمال إفريقيا . وبخاصة الجزائر . ولم تنقطع السفن التجارية صادرة عن سلا أو واردة إليها . وعلى ظهرها حمولات هامة من البضائع المختلفة التي تدر على الدلائيين أرباحا طائلة وكانت هذه الحركة التجارية . ومسألة تأمين السفن والتجار . وتعويضهم عن الخسائر التي تصيبهم من أعمال القرصنة . محور كثير من المفاوضات مع الأجانب وموضوع مراسلات ومعاهدات . على أن هناك ناحية أخرى أفاد منها الدلائيون في اتصالهم بأوروبا . وكانت تمهيم أكثر من مسألة المداحيل الوفيرة . وهي ناحية التزود بالأسلحة والذخيرة الحربية من بندقيات ومدافع ومسحوق البارود . وكانت البلاد الواطئة (هولاندا) في مقدمة الدول الأوروبية التي تمد الدلائيين بهذه المواد الهامة . زيادة على الأدوات والقطع اللازمة لسير معامل صنع السفن وترميمها المنتشرة على ضفتي نهر أبي رقراق .

وشملت العلاقات بين الدلائيين والأوروبيين فيما شملت الناحية الثقافية وإن لم تلمسها إلا لمسا خفيفا . فقد كان المستشرق (جاكوب كول) JACOB GOOL or GOLJUS أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن يستجلب المخطوطات العربية من المغرب . لاسيما المتعلقة منها بالتاريخ . ليترجمها إلى اللغة اللاتينية . وكانت حكومة البلاد الواطئة تقتني هذه الكتب لحسابها الخاص

بواسطة قنصلها في سبلا (دافيد دو فرييس) « DAVID de VRIES » وسبق لهذا المستشرق في الامة التي قصصها بالمغرب مع القنصل الهولاندي (البير رويل) « ALBERT RUYL » أن اقتنى كثيرا من المخطوطات العربية النادرة وحملها معه الى بلاده . وعندما زار السعراء السلاويون مدينة لاماي (1000/1030) قدمت لهم الحكومة الهولاندية من جملة الهدايا كتباً عن جغرافية البلاد الواطئة ، وأرسلت بواسطتهم الى الأمير عبد الله الدلائي كتاباً تمينا في نفس الموضوع .

واذا كانت لبعض الدول الاوربية مطامع توسعية تهدف اليها من وراء السجيع الثوار والخارجين على السلطة الشرعية في المغرب ، فإن مساعدة هولاندا للدلايين كانت لأمريين . أولهما ضمان سلامة أسطولها التجاري في المحيط الاطلنطيقي والبحر المتوسط . والثاني الانتقام من اسبانيا عدوة الهولانديين والمغاربة على السواء . وقد ظلت مسألة اتصال الدلايين بأوروبا مجبولة عند المؤرخين المغاربة الى أن كشف عنها القناع الكونت دو كاستري في كتابه **مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب** « LE CONTE DE CASTRIES, LES SOURCES INÉDITES DE L'HISTOIRE DU MAROC » اتممت في هذا الفصل على ما نشره دو كاستري من وثائق وما كتبه من مقدمات وتعليقات مقتصر على ذكر علاقات الدلايين بثلاث دول أوربية بقدر ما يمكن من الاختصار . وهي فرنسا وانجلترا والبلاد الواطئة (هولاندا)

أ) الدلائلون وفرنسا

كانت العلاقات متوترة بين المغرب وفرنسا في مطلع القرن السابع عشر بسبب أعمال القرصنة البحرية وما ترتب عنها من تدهور في تجارة الفرنسيين بالمغرب وأسر عدد عديد منهم في البحر بيعوا عبيدا في سبلا . فرأت الحكومة الفرنسية أن تعين (30 نونبر 1629) أحد تجار مرسيليا يسمى أندري برا Andre Prat قنصلا في مدينتي سبلا ونطوان ليهتم بمشاكل الفرنسيين بالمغرب ويعمل على اقتداء الأسرى . غير أن هذا القنصل لم يلتحق بمقر عمله بسبب خلاف نشب بينه وبين حكومته في قضية التعيين وظل بمرسيليا يتمتع بالحقوق القنصلية ويستخلص الاعشار المفروضة على السفن الصادرة عن ذلك الميناء (27) . وبعد نحو ست سنوات رأى أندري برا أن يرسل كاسبار دورستان « GASPARD DE RASTIN » لينوب عنه في مهمته القنصلية بسبلا . وفعلا قام دورستان بالأمر ، واستطاع أن يحصل خلال عام 1649/1049

(27) كانت وظيفة قنصل في ذلك العصر تعتبر حقا مكتسبا لمباحية يتصرف فيه كيف يشاء . فله أن يباشر العمل بنفسه أو أن يبيع عنه من يراه أهلا للقيام بالمهمة

عن اتفاق مع المجاهد العياشي لحماية الفرنسيين من الغراصنة السلاويين ،
 وعطاهم حق الامتياز لاستغلال معدن القصدير الذي اكتشف بالقرب من
 سنة سلا . الا ان مشكلة المشاكل بين البلدين في ذلك التاريخ هي قضية
 الاسرى التي سبق لفرنسا ان اتفقت مع المجاهدين السلاويين على تحريرهم
 في اجل محدد مقابل فداء خاص . لكن لم تف فرنسا بتعهداتها فاضطربت
 لاجال ونوقشت التجارة نيائيا بسبب أعمال العنف المرتكبة من الجانبين
 وراى القنصل أندري برا حينئذ أنه أصبح من الضروري أن يلعب بنفسه الى
 حرب ليدلل الصعوبات القائمة ، واصطحب معه ابنه هنري HENRI
 وقد عرف القنصل كيف يستميل اليه السلطان محمد الحاج الدلائي بما كان
 يقدم اليه من هدايا ، ونجح في اقناعه بأن من مصلحة السلاويين أن يضربوا
 صلحا عما لهم من التزامات قديمة مع فرنسا ، ليربطوا معها علاقات تجارية
 حميدة . وبعد مفاوضات طويلة مع رؤساء مدن أبي رقراق العاملين باسم
 السلطان محمد الحاج الدلائي عقد معهم أندري برا اتفاقية لتوطيد العلاقات
 التجارية بين فرنسا والمغرب ، ثم أمضى معهم في السنة التالية اتفاقية ثانية
 في نفس الموضوع . وبالرغم من كون القنصل برا عقد هاتين الاتفاقيتين بصفة
 شخصية دون تفويض رسمي من حكومته فانهما استطاعتا على الاقل أن تعمل
 على تحسين العلاقات بين البلدين ولو الى حين . وأخيرا رجع أندري برا الى
 بلاده متنازلا لولده هنري عن مهمة القنصلية في المغرب ، وأقرت الحكومة
 الفرنسية ذلك وأصدرت مرسوما مؤرخا في 20 أكتوبر 1648 تعين بمقتضاه
 هنري برا HENRI PRAT قنصلا في سلا وتطوان . غير أن هذا القنصل
 شاب كان يتسم بالفتور واللامبالاة ، فلم يعمل على تحسين العلاقات بين
 بلاده والمغرب ، وجرت في أيامه أحداث عنف متعددة كان من بينها استيلاء
 غراصنة السلاويين على سفينة فرنسية قادمة من الأرض الجديدة
 TERRE NEUVE « (28) وعلى ظهرها أربعون من النصارى ، بيعوا جميعا في
 سلا بطريق المزاد العلني ، وأضيفوا الى العدد الوافر من العبيد الفرنسيين
 الموجودين بهذه المدينة .

أبقى هنري برا يتولى منصب قنصل فرنسا في سلا وتطوان الى ما بعد
 حياة امارة الدلائيين ، وسلك نفس الخطة التي سار عليها أبوه من قبل ،
 ليرجع الى فرنسا وجعل يرسل نوابا عنه يقومون بأعمال القنصلية ، منهم

الأرض الجديدة أو TERRE NEUVE هي جزيرة كبرى في أمريكا . تبلغ مساحتها
 110077 كلم ومسكانها 361400 . بقيت الأرض الجديدة الى سنة 1949 مستعمرة فرنسية.
 ثم أصبحت من هذا التاريخ مستقلة تكون الولاية العاشرة من ولايات كندا

أطوان جوليان بارازول « ANTOINE JULIEN PARASOL » وفرانسوا جوليان « FRANÇOIS JULIEN » وهكذا ظل تشكل العلاقات المغربية الفرنسية قائما لم نستطع الحلول الجزئية والمؤقتة التي أشرنا إلى بعضها أن تعمل على حسمه. وسيكون هذا المشكل موضوع مفاوضات وسفارات بين الملكيين مولاي اسماعيل ولويس الرابع عشر .

ب) الدلائل وأنجلترا

تمتنت العلاقات بين المغرب وأنجلترا أيام الملك أحمد المنصور الذهبي والملكة اليزابيث (29) وشهد مستهل القرن السابع عشر تعاوناً عميقاً بين البلدين خصوصاً في الميدان التجاري . ولما قام العياشي بحركة الجهاد ضد الأسبان والبرتغال حاول أن يستعين بالانجليز لطرد المحتلين من سواطى المغرب . ولكن الانجليز كانوا يطمعون في احتلال مدينتي سبتة وطنجة وبميلون الموريسكيين المقيمين في تطوان والرباط أكثر مما يميلون إلى المجاهد العياشي . لاعتقدهم أن هؤلاء الموريسكيين الغرباء المطرودين من شبه جزيرة أيبيريا يمكن أن يساعدوهم في احتلال سبتة وطنجة لجرد الانتقام من أعدائهم الأسبانيين والبرتغاليين . بعكس الحال مع المجاهد العياشي الذي كان يعمل لاسترجاع الثغور المحتلة إلى حظيرة الوطن . هذا إلى ما كان يساع من تفتيح قلوب الموريسكيين للمذهب البروتستانتي . وقد جاء في تقرير للسفير الانجليزي هاريسون : «... كثير منهم قد اعترفوا لي بأنهم في داخلهم مسيحيو القلوب ، وهم يتظلمون بمرارة من تلك الطردة القاسية ، ويعرضون خدماتهم باسم جميعهم إذا كانت هناك أى حالة حرب ضد اسبانيا ، مشتاقين بحرقه إلى أن يصبحوا تحت حكم مسيحي مرة أخرى » (30)

وفي منتصف القرن السابع عشر كانت إنجلترا فقدت مكانتها القديمة في المغرب كدولة صديقة بعد أن ظهرت أطماعها الاستعمارية في تصرفاتها للتوية المتناقضة ، وأغضبت كلا من حلفائها التقليديين الملوك السعديين بمراكش ، والدلائيين أصحاب النفوذ في الثغور الواقعة شمال أم الربيع . بتجلى ذلك في حادثة السفينة الانجليزية التي كانت متجهة إلى جزر كاناري وألقت بها العواصف بالقرب من آسفى . فقد اعتقل محمد الشيخ الأصغر السعدي ركاب هذه السفينة الانجليزية ، وعددهم 27 رجلاً انتقاماً من حكومتهم

(29) انظر في موضوع العلاقات بين المنصور الذهبي وإليزابيث . عبد العزيز القشالسى ،

مناهل الصفا ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط من 247 وما بعدها

(30) من تقرير للسفير هاريسون الانجليزي في 8 أكتوبر 1630 . المرحوم في تاريخ تطوان القسم الثاني من المجلد الاول ، ص 226

التي كانت تسمح لرعاياها التجار ببيع الأسلحة إلى الثوار في مرسى أكادير.
تأغار القراصنة السلويون خلال هذه الفترة على كثير من السفن الإنجليزية
والمرؤا عندما كانت راجعة من إسبانيا (ديسمبر 1651) وأسروا عددا
كبيرا من البحارة الإنجليز بأعوانهم عبيدا في مدينتهم.

وكان من نتائج عتابة حرب القرصنة وعدم وجود معاهدة إنجليزية
مع مساعدين ولا مع الدلائيين قطع الصلات بين التجار الإنجليز والموانئ
عربية. وأخذت إنجلترا تحاول اقتداء أسراها في المغرب، وتفرض ضرائب
عديدة على الصادرات والواردات لهذا الغرض، وقد كلف مجلس الدولة
بريطاني بأمر مؤرخ في 15 ماي 1653 أحد أعضائه (روبير بلاكبورن)
R. BLACKBORNE أن يعقد اتفاقا مع التاجر (روبير داون) R. DOWNE
شراء الأسرى الإنجليز من سلا وقام هذا التاجر بالمهمة التي أنيطت به، وكتب
من مدينة سلا إلى (بلاكبورن) بعد نحو أربعة أشهر يخبره بأنه تمكن من شراء
12 أسيرا إنجليزيا، وبقي تسعة آخرون، منهم سبعة في ملك الأمير عبد الله
الدالي الذي رفض فداءهم بأي ثمن. ولما استعادت إنجلترا قوتها البحرية في
البحر، عملت على أن تفرض احترامها على البحارة المسلمين في شمال إفريقيا،
وقد نظم أمير البحر الإنجليزي (بلاك) LAMIRAL BLAK خلال سنة 1655
الأسطول التونسي، وأمضى لصالحه معاهدة مع الجزائر، وكان يسعى أن
يرفع بذلك لقرصنة سلا لولا أنه اضطر إلى العودة إلى إنجلترا حينما أعلنت
الحرب على إسبانيا في شهر فبراير 1656. ثم رجع (بلاك) بعد بضعة أشهر
إلى سلا على رأس أكثر قطع أسطوله. ومعه مساعده (ادوارد مونطاكي)
EDWARD MONTAGU (31) وطلب (بلاك) بمجرد وصوله إلى المرؤا من
الأمير عبد الله الدالي أن يعين له مفاوضين يتخاطبون معه في تهنيء اتفاقية
إلى انتظار حضور هؤلاء المفاوضين وصلت سفينتان سلويتان، وقبل دخولهما
إلى المرؤا ارتطمتا بالصخور للنجاة من السفن الإنجليزية.

وبالرغم من استعداد المفاوضين السلويين لعقد اتفاقية، فإنهم أبوا
أن يطلقوا سراح الأسرى الإنجليز دون مقابل. وقد قبل الأمير ال (بلاك) أن
يوفر مالكي العبيد الإنجليز بهدايا من البضائع، دون أن يؤدي لهم الفداء
الذي يرى فيه أهانة لبلاده، وبعد نصف شهر من الاتصالات قطعت المفاوضات
بسبب رفض الأمير عبد الله الدالي أن يسلم طفلين إنجليزين ولدا في سلا

(1) (ادوارد مونطاكي) (1645 - 1672) عينه (كرومويل) مساعدا لأمير البحر (بلاك) في قيادة
فيم الأسطول الموجه ضد إسبانيا سنة 1656. بالرغم من كونه لم يكن قد عمل قط
في البحرية

ورجع الاسطول الانجليزى من حيث أتى تاركا ثلاث قطع حربية تابعة حصار
العدوتين .

وشهدت السنة التالية 1657 تطورا عرضيا للعلاقات المغربية * الانجليزية
بسبب السياسة الجديدة التى اخذ ينفذها (كرومويل) فى البحر الابيض
الوسط ، فسمى (نثانييل لوك) NATHANIEL LUKE ، قنصلا فى المغرب
المغربية بقم فى تطوان . وهو تاجر انجليزى قضى شطرا مهما من حياته فى
الاتجار بهذه المدينة . وأطلق السلاويون سراج الاسرى الانجليز ، ثم عقد
اللورد الحامى (كرومويل) معاهدة سلم وصداقة مع السلطان محمد الحاج فى
19 غشت 1657 ، تتخلص كما يلى :

(1) يلتزم الطرفان التعاقدان بتناسى المظالم القديمة ، والعيش فى السلم
استقبالا . ويمكن لرعاياهما أن يختلفوا الى موانئ القطرين دون أن يؤدوا من
الاعشار الا ما يلزم للسلعة المبيعة فى تلك الموانئ .
(2) يسمح للرعايا الانجليز بمزاولة طقوسهم الدينية فى البلاد الخاضعة
لتوذ شيخ الدلاء .

(3) يحظر أسر سفن الجانبين .
(4) اذا غرقت سفينة يبقى الناجون ممن كانوا على ظهرها أحرارا ، وتسلم
الامعة التى يمكن انقاذها الى أصحابها .

(5) لا يمكن فى المستقبل أن يكون رعايا الدولتين أسرى عند أحد الجانبين
وستعطى الحرية للانجليز المقيمين فى تطوان أو غيرها من البلاد التابعة للساحل
الدلاء ليغادروا هذه المنطقة مع ذويهم متى شاءوا .

(6) يعاقب على كل قذف أو اهانة تلحق رعايا الطرفين .

(7) يمكن للسفن الحربية لكلا الدولتين أن تأخذ المؤنة والزاد من مرافئ
البلدين .

(8) لا يمكن لاية حادثة أن تشيخ فى نقض السلم . اللهم الا فى حالة
رفض اجراء العدالة . ويمكن للطرفين باتفاق متسا أن يغيرا أو يتكما هذه
الفصول .

وقد وقع هذه المعاهدة من الجانب المغربى زيادة على السلطان محمد الحاج
الدلائى ، الغزوان (كندا) بن بوبكر . وعبد الكريم النفسيس حاكم تطوان ، وأحد
العدول . (32) وبذلك ساد السلم من جديد وتوطدت عرى الصداقة بين
الدلايين والانجليز .

(32) الكونفد دو كاسترى . مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب . سلسلة الوثائق الانجليزية .

ج) الدلائيون والبلاد الواطئة (هولاندا)

كانت البلاد الواطئة « PAYS-BAS » تشتمل على هولاندا ، وبلجيكا ،
والمستعمرات الهالندية ، مع جزء من شمال فرنسا . وتخلصت البلاد الواطئة
من الاستعمار الإسباني والمذهب الكاثوليكي سنة 1559 فكانت حكومة فيديرالية
مركبة من سبع دويلات . تحتفظ كل منها باستقلالها الداخلي ، تحت اسم :
جمهورية الاقاليم السبعة المتحدة REPUBLIQUE DES SEPT PROVINCES UNIES
وكون من على الاقاليم مجلس يحمل اسم (الولايات العامة) LES ETATS
GENERALIS فكان المؤسسة الوحيدة القائمة بالمهام السياسية للحكومة الفيدرالية
ولم يضر وقت طويل حتى صار أسطول البلاد الواطئة سيد البحار ، وكانت
السفن الهولندية (33) - كسفن سائر الدول المعادية لاسبانيا - لا تستطيع
أن تعبر مضيق جبل طارق دون أن تتعرض لخطر مزدوج ، فهي ان اختربت
من الساحل الغربي أسرت ، وان جنحت الى الساحل الآخر حطمتها الاسبان
والخوابل بخاربا للتجديف في سفنهم الكبيرة .

ونعبر جمهورية الاقاليم المتحدة من الدول الاوربية السابقة الى التحالف
مع الغرب أيام أحمد المنصور الذهبي . وكانت هناك عوامل متعددة ساعدت على
التقارب بين الغرب وهذه الاقاليم ، منها حقدهما المشترك على اسبانيا ، واقامة
عالية من اليهود المطرودين من الاندلس في البلاد الواطئة نظرا لما اشتهرت به
من التسامح الديني . فكون أفراد هذه الجالية اليهودية الثرية علاقات تجارية
مع اخوانهم المقيمين في المغرب والجزائر ، وربطوا معهم صلات متينة فكانت
السفن لذلك تتردد بين الموانئ المغربية والهولندية بدون انقطاع ، واحتفظت
البلاد الواطئة بصداقتها بعد موت المنصور مع ابنه زيدان . لكن لما استبد
أبو حسن بسوس والجنوب المغربي ، واستقل العياشي ببلاد الغرب ومدن
أبي رقراق ، وجدت البلاد الواطئة نفسها مضطرة للتفاهم مع هذين الحاكمين
المعانقة على مصالحها في هذه الاقاليم . ونظرا لقيام جمهوريات صغيرة في
من سلا والرباط والقصبة (1040 - 1071/1039 - 1660) تحت نظر العياشي
ثم الدلايين ، كانت الولايات العامة ترسل رؤساء هذه المدن وتتفاوض معهم
صفتهم المباشرين للسلطة في هذه النغور ، وسمت خلال عام 1053/1043
هنريك دوبر « HENDRICK DOPPER » (34) قنصلا ممتازا للبلاد الواطئة

(34) يعبر أحيانا عن الاقاليم السبعة باسم أهم إقليم فيها وهو هولاندا
(35) هنريك دوبر (دوبروازي من سكان امستردام ، بقي يشغل منصب قنصل البلاد الواطئة في
الغرب الزاوي وفي سنة 1051

في المغرب ، فكان يتردد بين مراکش وسلا ، ويحصل بالملك السعدي ورؤساء
العدوئين على السواء .
ولما استحكم أمر الدلايين وقوى نفوذهم في الاقاليم التابعة لهم ، لم يعد
رؤساء مدن سلا يبيعون لانفسهم الاتصال المباشر مع رؤساء الدول الاجنبية .
وقد رد سعيد الجنوي النائب العام عن الدلايين في هذه المدن زدا سلبيا على
رسالة وجهتها الولايات العامة - كالعادة - الى حكام سلا ، في موضوع الصلح
والبيادنة ، وأشعر حكومة البلاد الواطنة بضرورة مخاطبة السلطان محمد الحاج
الدلائي الذي يرجع اليه وحده أمر الحرب والسلام . ومما جاء في الرسالة :
... والصلح نعم السبيل لمن سلكها ، والطريق لمن اقتفى سنتها ، وتبوت
الصلح على هذه المثابة ، من الامور التي غيبا الغرابة ، قل أن يتم فيها المرام (35)
او ينتهي بيننا وبينكم الكلام . كيف وقد تركتم في الخطاب من تولى امرنا ،
ومن طاعته او كد الفروض علينا ، مولانا عز الاسلام وجابره ، ومغيثه حيث عز
باصره . الامام الذي تضاءلت الاغوار والانجاد لصوته ، واستكانت الآفاق
لهيئته ووطئته ، واستنار الاسلام بظهوره ، وخمدت ليران الكفر باضواء
نوره ، المقدام الذي حمل على كاهله راية المسلمين ، وساد الاولياء والعلماء
والمجاهدين ، صاحب الامر المطاع أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أبي
بكر نوره الله ، ورزق كلا من المسلمين رضاه ، ولا غرو ان كان الصلح
مطلوبكم فاتوه من أبوابه ، وتوصلوا اليه بأسبابه ، واعرفوا لكل ذي فضل
فضلته . وخاطبوا كل رئيس بما يناسب قدره ... (36) وقد اجابت
الولايات العامة عن هذه الرسالة بكتاب تستبشر فيه بالاستعدادات
الطيبة التي عبر عنها حكام مدن سلا ، وتعتذر عن عدم الكتابة من قبل السي
السلطان محمد الحاج . وأرسلت في نفس الوقت رسالة أخرى الى أمير الدلاء
حسبنا اليه القنصل الهولاندي في المغرب (هندريك دوبر) HENDRICK DOPPER
وبها تقدم الولايات العامة الى محمد الحاج لأول مرة هذا القنصل الذي ندبته
ليؤكد للأمير ما تكنه له من ود وتقدير . وترجوه أن يطلق سراح الاسرى
الهولانديين في سلا ، ويضمن الحرية والامن لرعاياها من التجار ، وان يتفضل
باستقبال القنصل الهولاندي كلما رغب في المشول بين يديه .
وظلت العلاقات عادية بين الدلايين والهولانديين باستثناء بعض
الاحداث العابرة الناتجة عن أعمال القرصنة البحرية . وكانت المعادلات

(35) وقع تحريف في عبارة «قل ان يتم فيه المرام» في كتاب دو كاستري باستبدال «ون» ب«ان»
راء لمصارت عنده «قل اريتم ...»

(36) انظر صورة هذه الرسالة . وبطونها توقيعات رؤساء سلا والرباط والقصبة في اللوحة رقم 1

سيرة بين الفريقين لعقد معاهدة سلم وصداقة . وفي أوائل عام 1051/1001
 بعث الأمير عبد الله الدلائي إلى سلا أرسلت الولايات العامة مفوضين
 لها برئاسة الضابط البحري (جيدون دويلدت) * GEDEON DU WILDT .
 في راس أسطول ، وتدير حكام مدن سلا من طرفهم الحاج إبراهيم
 راجع محمد غنيس ليفاوضا باسمهم وأعطوها حق التصرف المطلق في
 المعاهد مع صباط أسطول البلاد الواطئة . وبعد معاهدات طويلة وقع الطرفان
 في 27 صفر 1061/9 فبراير 1051 معاهدة تشتمل على تسعة فصول . مجملها :
 1- بطل سراح الأسرى الهولانديين مقابل أداء ثمن الشراء لمالكهم في ظرف
 10 أشهر ، والا تسليح أية سفينة سلاوية للقرصنة في البحر عما لم تقدم
 بها مكفل بنحو بعض الخسائر التي تلحقها برعايا البلاد الواطئة ، وأنه
 سيجب سبيل الهولانديين الذين قد يوجدون على ظهر سفن معاينة ، والا
 سيح لقرصنة الجزائر وتونس وطرابلس أن يبيعوا في سلا ما يستولون
 عليه من أسرى الهولانديين وبضائعهم . والا يتردد في واجبات الجمرات الحالية .
 2- يحس السلاويون التجار من رعايا البلاد الواطئة ، والا يسمحوا للأنراك
 بغير حصول رسائل امتياز في سلا ، وفي مقابل ذلك لن يعترض الأسطول
 الدلائي طريق السفن السلاوية كما أن السلاويين لن يأسروا الأجانب
 الراكبين على ظهر السفن الهولاندية .

وفي أواخر هذه السنة (1051/1001) عين الأمير عبد الله الدلائي حاكما
 في سلا . ولما اطلع على نص المعاهدة السابقة لم تعجبه في مجملها ،
 فذكر منها بالخصوص الفصل الرابع الذي يحرم على المغاربة أن يتعاملوا بالبيع
 البراء مع اخوانهم الجزائريين والتونسيين والطرابلسيين ، ارضاء ومؤازرة
 حلفاء مسيحيين ، ورفض امضاء هذه المعاهدة . وفي ذلك التاريخ أرسلت
 دلات العامة قنصلا جديدا إلى سلا هو (دافيد دوفرييس) DAVID DE VRIES
 الذي استقبل استقبالاً حسناً من طرف قائد سلا والرباط أولا ، ثم
 حضر بمقابلة الأمير عبد الله الدلائي في القصبة . وكتب الأمير سعيد الجنوي
 في ذلك إلى الولايات العامة يخبرها بوصول قنصلها الجديد ، ومصادقة
 الأمير عبد الله الدلائي على معاهدة 9 فبراير 1051 باستثناء الفصل الرابع منها
 مخالفته تعاليم الديانة الإسلامية .

وأرسل الأمير عبد الله الدلائي بدوره كتابا إلى الولايات العامة ردا على
 رسالة التي وافته منها جاء فيه : «... أما بعد حمدا لله الذي لا اله الا هو فإنه

سجل دافيد دو فرييس أن شغل منصب قنصل الولايات العامة في بلاد أخرى قبل أن يعين
 قنصلا في سلا سنة 1051 . وظل يشتر عمله في هذه المدينة أن أن توفي سنة 1062

ورد علينا كتابكم الواسع . وفقنا على شروط الرسم وفصوله (38) وتاملنا
 منحت مسائله وأصوله . فليكن في علمكم انا قبلنا ما فيه واستحسنناه .
 وسطرنا حقيقة مقتضاه وأثبتناه . وأعملنا بشرطه وما في قبضه وبسطه .
 وأبرعنا عقده . وأنجزنا وعده وعهده . وأعلمنا بذلك لأهل بلدنا . ولأصحاب
 السفن من قرصاننا . وقبلنا أموره الخاصة والعامة قبولاً تاماً . لكن عندنا
 ما لا ذكر في بعض الشروط . وسيأتيكم مسطراً مع آخر صحبة هذا المكتوب
 (39) وأما حديثكم القصر (كما) دابيد ديرييس فانا قد أنزلناه منزلة العز
 والكرامة . وفرحنا بقدومه . إذ لنا معرفة سالفة معه وخلطة قديمة . (40)
 وبعت الأمير عبد الله الدلائي صحبة الكتاب المتقدم اقتراحات مضادة
 لتسير معاهدة 9 فبراير 1651 (41) وتشتمل على أربعة فصول يختص أولهما
 بنقش الشرط الرابع من المعاهدة وإبطاله . وتتعلق الثلاثة الأخرى بتحفظات
 لبعض الحالات الاستثنائية التي ينتقض فيها العهد وتصبح سفن الهولانديين
 وبحارتهم وبضائعهم غنيمة للمسلمين . ولما لم يتلق الأمير عبد الله جواب
 الولايات العامة عن اقتراحاته بعد نحو ثلاثة أشهر رأى أن يتخذ إجراء يفهم منه
 عدم تقيده بالمعاهدة ما دامت على حالها لم تغير . فزاد في الضريبة المفروضة
 على الصادرات والواردات . ولم نجد نفعا احتجاجات قناصل الدول المقيمين
 في سلا . وفي مقدمتهم (دو فرييس) الذي كتب إلى الولايات العامة يخبرها
 بالمراتب الجديدة والمحاولات التي قام بها في هذا الصدد . فمقرحاً في الأخير
 على حكومته أن تكتب إلى الأمير عبد الله وإلى أبيه السلطان محمد الحاج «الذي
 يرغب في ازعاج التجار ولا في القضاء على التجارة» . ولن يلبث أن يبطل هذه
 المراتب الجديدة (42) ثم حدثت حادثة قرصنة جديدة زاد في توتر العلاقات
 بين سلا والبلاد الواطئة . ذلك أن الأسطول الهولاندي بقيادة الضابط
 (كورنيلي طرومب) *CORNELIS TROMP* (43) استولى
 على سفينة تجارية سلورية كانت قادمة من الجزائر بشحنة مهمة في ملك أمير

تسير إلى معاهدة 9 فبراير 1651

38 الإشارة إلى الاقتراحات المضادة التي بعث بها الأمير الدلائي إلى الهولانديين
 40 De Castries. *Les Sources Inédites*, Pays-Bas, T.V. P. 296.

41 انظر صورة هذه الاقتراحات المضادة في الملوحة رقم 14
 42 De Castries, *Les Sources Inédites*, Pays-Bas, T.V. P. 316.

43 كانت هناك فرقتان من الأسطول الهولاندي تعملان بالقرب من شواطئ المغرب . أولاهما
 بقيادة الضابط (ديرويتس) *DE RUYTER* تخضع السفن التجارية الهولاندية المتجهة نحو
 البحر الأبيض المتوسط والتابعة بقيادة الضابط (كورنيلي طرومب) *CORNELIS TROMP*
 وهي مكلفة بحماية السفن التجارية الهولاندية المتجهة نحو موانئ المحيط الأطلنطي

بسم الله الرحمن الرحيم سمعنا وأطعنا
189

مفتي الأمور يستأذن الأعلام بها للاتحاد الرأسمالي
الأساسي التليد الحاء السلام القلمية التليد

أما الأول فلهذا في أربع في رسم التليد التليد في سبب التليد
من سبب أن سبب التليد التليد التليد التليد التليد التليد
وغيره من غير التليد التليد التليد التليد التليد التليد
بأنه من ذلك ولا يملكه أخلا كما أن التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
من سبب التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
من سبب التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
من سبب التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد

بسم الله الرحمن الرحيم سمعنا وأطعنا

والثاني أن التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد

بسم الله الرحمن الرحيم سمعنا وأطعنا

والثالث أن التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد

بسم الله الرحمن الرحيم سمعنا وأطعنا

والرابع أن التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد

التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد
التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد التليد

الهندية وحاكمها وغيرهما من الاعيان . وتسمى الوثائق الهولندية هذه السفينة DE HASEWINDT OU WINDTHONDT والاسمان معا يدلان على السلوقي . وكانت ملافاة الاسطول الهولندي لهذه السفينة قبيل غروب الشمس . فاقترض طريقها بشكل جعلها لا تتجاوز حدود المعمورة . وفي الصباح بدأ (طرومب) يوجه اليها طلقات مدافعه الى أن استولى عليها وافنادها الى ميناء قادس . وقد أحدث خبر هذه القرصنة التي وقعت على بضعة أعمال من سلا استيلا في نفوس سكان المدينة . وفرضت حراسة قوية على منزل القنصل (دوفرييس) حتى لا يلتجئ الى المعمورة أو يفر في البحر . ووقع حجب السفينة الهولندية (دينيجر) DE TYGER مع بحارتها بأمر من الأمير عبد الله الدلالي وكتب القنصل الى حكومته (20 يوليو 1654) يخبرها بهياج السلاويين وعضيهم لاسر سفينتهم التجارية . وبالحالة الخطيرة التي أصبح يعيش فيها هو ومواطنوه الهولنديون .

وحضر قائد الاسطول (طرومب) الى مرفأ سلا استجابة لدعوة القنصل وأرسل الى الأمير عبد الله خطابا يبرر فيه الاستيلاء على السفينة التجارية السلوية ويدعوه - ان لم يقتنع - أن يوجه احتجاجا الى الولايات العامة في (الاهاي) فأجاب الأمير عبد الله انه اذا كان طرومب لم يستول على السفينة السلوية بأمر من حكومته . فلا حاجة له في اذنها ليرد المراكب الى صاحبه . لكن (طرومب) لم ينتظر هذا الجواب ورجع من حيث أتى . فأمر عبد الله الدلالي بأن يسجن الضباط والحجار الهولنديون الموجودون بسلا في معطورة . وجاءت الاخبار بعد ذلك الى سلا بأن (طرومب) قد باع السفينة السلوية وكل ما كانت تحتوي عليه من البضائع في ميناء قادس . فاشتد الحنق على الهولنديين . وكتب القنصل (دوفرييس) الى القيادة العليا للاسطول في امستردام L'AMIRANTE D'AMSTERDAM (44) يطلعها على الحالة . ويرجو فيها اذا كان الاستيلاء على السفينة السلوية بطريقة غير مشروعة . ان تقدم الولايات العامة تعويضا مناسباً للسلاويين . وفعلا توصل القنصل من حكومته برسالة وقرار في الموضوع باسم حاكم سلا . فغير الحاكم العنوان . وقبرا الرسالة على عبد الله الدلالي كما لو كانت موجهة اليه . فرضى الأمير بالوعود التي وردت فيها وأفرج عن الهولنديين المعتقلين .

ولم تكن مسألة السفينة المأسورة بالقرب من المعمورة هي الجاذبة القرصنية الوحيدة التي شهدتها سنة 1654 . بل تجرت فيها حوادث آخر مماثلة.

(44) امستردام AMSTERDAM هي العاصمة الحالية لهولندا . كانت من القادة العليا لاسطول
الافاق المتحدة . يسكنها كانت (الاهاي) من الولايات العامة

وقد أمر الضابط الهولاندي (فيليب راس) PHILIP RAS «مركب ابراهيم
الرئيس السلاوي» وعلى ظهره 44 من المغاربة، و 3 من أسرى النصارى،
وأمر المركب واحتفظ بأبراهيم الراس، وعزم على بيع البحارة سولا أو
تعرض القنصل الهولاندي في قانس محمد هذا البيع حتى تمت شريطة أسر
السفينة، واستولى الضابط الهولاندي (طونيس بوسط) LE CAPITAINE
THENNIS POST على سفينة سلاوية كبيرة من نوع (كارافيل) CARAVELLE
(45) ذات خمس سوار، وخمسة مدافع كبيرة، ومدفعين صغيرين، بقيادة
الرئيس الحاج فاضل، وكان على ظهرها مائة من المغاربة، وثمانية من أسرى
النصارى، واقتيدت هذه السفينة إلى ميناء قانس، وبعد التأكد من وجود
الجواز القانوني من طرف حاكم سلا وقنصل الولايات العامة بهذه المدينة،
وقع تحرير الأسرى المسيحيين، وظل سبيل السفينة وركابها المسلمين.
هذا النشاط الهولاندي الغير المعتاد في أعمال القرصنة ضد سفن سلا،
كان يستهدف ولاشك الضغط على الأمير عبد الله الدلاوي، وإشغاله بضرورة
قيادة الولايات العامة والتحالف معها. وقد رأت الولايات العامة أن تجس
أمر الأمير عبد الله الدلاوي فسرحت جانباً قائد الاسطول الهولاندي بالمحيط
الاطنطقي الضابط طرومب الذي خلق لها صعوبات مع السلويين مستعينة
عنه قائد أسطول البحر المتوسط. وفعلاً وصل (ديرويطر) DE RUYTER
إلى عرماً سلا (أكتوبر 1754) ووجه رسالة إلى الأمير عبد الله الدلاوي يخبره بأنه
جاء عندما علم بالصعوبات التي أحدثها امتيلاء الضابط (طرومب) على السفينة
التجارية السلوية، ليؤكد للأمير أنه إذا كانت هذه السفينة قد أخذت في
الظروف التي يشتمل عليها، فإن ذلك يكون على غير رغبة الولايات العامة.
وبأسف لكون التعليمات الوحيدة إليه تمنعه من معارضة سفينته، وسولا ذلك
لكانت عقابله واحدة مع الأمير كافيّة لتطمينه وترصيته، وإعادة توطيد أواصر
الصداقة معه. وجاء رد الأمير عبد الله الدلاوي على هذه الرسالة بعد يومين،
يعتذر عن تأخر الجواب وعدم خروج المبعوثين اللذين عيّنهما - مع القنصل -
للمرحيب بمقدم الضابط (ديويتز) نظراً لرداءة أحوال المرفأ. وبعد أن بين له
الأحوال التي اتخذت منذ الاستيلاء على سفينة السلاويين، ومنها حجز
السفينة الهولاندية «TYGER» وإيقاف ضابطها وبحارتها، أخبره بأن عملية

(45) (كارافيل) CARAVELLE نوع من السفن الكبيرة ذات السهرة العظيمة منذ القرون الخامس
عشر، وبهذا النوع من السفن خاض البرتغاليون غمار رحلاتهم الاستكشافية، وقسام
كروستوف كولومبوس، بسمرة الأولى في ثلاث سفن من هذا النوع، وكانت (كارافيل)
من أسرع السفن وأحسنها قيادة، تسع من 50 إلى 60 بحاراً زيادة على المركبة

الحجر لم تشمل الا هذه السفينة وحدها وكل السفن الهولندية غيرها حرة في الدخول الى مرفأ سلا والخروج منه ، ولا يشك الامير في حسن استعداد الولايات العامة لتسوية الخلاف الحالي . لانه من جيبه يسمارغ الى ارجاع الحق الى تصابه كلما اشعره القنصل باخطاء ارتكبها السويون ضد رعاية البلاد الوطنية . وهكذا لاحت في افق العلاقات الدلائلية الهولندية بواخر الانصراف واستبشر كلا الفريقين بقرب رجوع المياه الى مجاريها . غير ان حادثا قراصنيا وقع في الشهر الموالي رجع القهقري بالعلاقات بين السلاويين والهولنديين ذلك ان القبطان الهولندي (لين براند) LE CAPITAINE LYN BRANDT

اسر في منتصف نونبر 1054 ثلاثة من قراصنة سلا . وكان رد فعل السلاويين في هذه المرة عنيفا ، فالتقوا قنصل الولايات العامة ومساعديه في مطمورة ، وحجزوا اربع سفن هولندية كانت بالمرفأ وسجنوا ضباطها وبحارها جميعا وبعد اربعة ايام اخرج القنصل دوفرييس من محبسه وقدم للامير عبد الله الدلائلي الذي سمح له بالاقامة المحروسة في منزله . وأطلق سراح الضباط والبحارة الهولنديين المعتقلين مقابل صامتين قدمهم تجار البلاد الوطنية وكسب القنصل دوفرييس الى حكومته يطلعها على الحال المزرية التي يوجد عليها في سلا هو ومواطنوه . بعد حادثة أسر القراصنة السلاويين . ويؤكد ان حياته وحياة رفقاته أصبحت في خطر ، وان السلاويين اسنولوا في عرض البحر على الات سفن . من بينها السفينة الهولندية ديدوب DE DOP . فتقدم بطلب سريحيما . ورفع هذا الطلب الى الامير الدلائلي الذي كان متغيبا في ذلك الوقت عن سلا .

وقد اهتمت الولايات العامة جديا بمسألة العلاقات مع سلا ، واتخذت قرارا سريا بتاريخ 2 افريل 1055 حددت فيه شروط المعاهدة . واعطت الضابط ديرويتز كامل الصلاحية لمفاوض هو والقنصل دوفرييس الامير عبد الله الدلائلي ، سواء على أساس مشروع الولايات العامة . او على أساس ما قد يتقدم به هذا الامير من اقتراحات . وقررت الولايات العامة ان ت رابط فرقة الاسطول العاملة تحت قيادة ديرويتز أمام سلا لمساندة المفاوضات الهولنديين . واضرب الحصار على هذه المدينة اذا لم يتوصل الفريقان الى اتفاق . وبعثت الولايات العامة في نفس التاريخ برسالة الى الامير عبد الله الدلائلي تطلب منه ان يقدم الترضيات اللازمة الى القنصل دوفرييس ومن معه من رعاية البلاد الوطنية الذين كانوا صحيحة اعمال العنف في سلا . وأن يطلق سراح المعتقلين ، على ان تعمل الولايات العامة من جهتها لتعويض السلاويين الذين يمكن ان تكون قد لحقت بهم اضرار من ناحية البحرية الهولندية ، وتخبره في النهاية بانها

قررت ارسال مندوب عنها عيادت اليه بتسوية جميع الخلافات السابقة ، والاتفاق مع الامير على الوسائل الكفيلة بتفادي مثل ذلك في المستقبل . وتأخر وصول أسطول الولايات العامة الى سلا عدة شهور ، وبقيت السفن الهولندية مبحجة في المرفأ ، وضباطها وبحارتها في اقامة محروسة بسلا . وكتب الامير عبد الله الدلائي الى الولايات العامة (15 يولية 1655) يستحثها على ارسال مندوبيها ويستنجزها ما وعدت به من التفاوض لحسم الخلافات وانصاف الرعايا الذين سلبت اموالهم وأمتعتهم (46) وأخيرا تلقى امير سلا رسالة من قائد الاسطول ديرويتز بعث بها من قادس يعتذر عن تأخر وصوله بسبب تسليح بلاد السويد الذي أرعب الدول المسيحية وبخاصة البلاد الواطنة ، ويقول انه مكلف من قبل الولايات العامة بتسوية الخلافات السابقة وتوطيد عرى الود والتحالف بين الدولتين ، ويرجو أن تاتي المفاوضات المقبلة بنتائج حاسمة ، ويأمل - في انتظار ذلك - أن يمنح الامير عبد الله الدلائي المعتقلين المسيحيين قسما أوفر من الحرية .

ولما وصل أسطول القائد دو رويتر الى مرفأ سلا طلب من الامير الدلائي أن يبعث اليه بالمفاوضين السلووين ، ومعهم القنصل . فبعث اليه الامير بنسخة مترجمة عن مطالب السلووين الذين لحقت بهم أضرار من جراء استيلاء الهولنديين على سفينة أحمد الرايس واعتذر عن عدم السماح للقنصل دوفريس بالتوجه الى الاسطول ، لامتناع الديوان من الاذن له بذلك ، ووعد بأنه سيعمل للحصول على هذا الاذن فيما بعد . ثم خرجت من مرفأ سلا سفينة صغيرة تحمل أطعمة وأشربة قدمها الامير الدلائي الى دو رويتر وصاحبه لرد هذا الأخير على ذلك ببديهة تشتمل على أربعة قناطير من مسحوق البارود . وهكذا ابتدأت المفاوضات في جو تسوده الجحالة والهاداة ، ووقع الاتفاق على الطريقة التي ستتبع في دراسة الحسابات ومراجعة مطالب المتضررين من الطرفين . وأرسل دو رويتر الى اليانسة المحضر بالعزلة ديفيانان DE VYANEN والشرحمان بنجامن كوهن BENJAMIN KOHEN لكونا مع القنصل دوفريس الوفد المفاوض باسم الولايات العامة . وكان الوفد السلوي يتألف من عبد الله النصري القائم مقام سعيد الجنوي وابراهيم الدك ، وعلى القرطبي من أعيان العدوتين . وقد اعترضت المفاوضات صعوبات منذ البداية . إذ لم يقبل السلووين لوائح تقدير الخسائر المقدمة من طرف أصحاب المراكب الهولندية ، لأنوا فيها مغالة كثيرة وتشبها برأيهم في عدم مشروعية أسر السفينة

التجارية السلوية في حين رفض الهولنديون بعض الحجج المقدمة من قبل
 المشايخ السلويين وأبوا أن يقبلوا غير العقود العدلية . وعقد وفد الولايات
 العامة جلسات عمل مع الأمير عبد الله الدلائي نفسه مدة يومين للتدليل
 الصعوبات . وبعد مفاوضات طويلة وتنازل الهولنديين عن السفينة وبيت فالك
 WITTE WALCK كتعويض للسلويين عن سفينتهم الضائعة تم في 22 أكتوبر
 1655 التوقيع على اتفاقية مختصرة تشتمل على سبعة فصول . يتضمن الفصل
 الأول منها أن يطلق الأمير عبد الله الدلائي سراح دافيد دو فرييس القنصل
 العام للولايات العامة في المغور المغربية وأن يعيد إليه حرته . وتشتمل
 الفصل الأخرى على إطلاق سراح أسرى الجانبين . واسترجاع كل منهما
 السفن التي وقع الاستيلاء عليها وتعويض الخسائر التي لحقت بكلتا الجانبين .
 وقد وقع هذه الاتفاقية مبدئياً إبراهيم الدك وعلي القرطبي . عن السلويين ،
 و دو فرييس « DE VRIES » و دو فيانان « DE VYANEN » عن الهولنديين .
 ثم صادق عليها الأمير عبد الله الدلائي وأشعر الأسطول الهولندي المربط في
 عرض البحر بذلك بخمس طلقات من مدافع القصب . ووقع دو زويتز من
 جانبه النسخة الأصلية للاتفاقية على ظهر سفينته قبل أن يتجه إلى قادس (47) .
 وقد أعد الوفدان المتفاوضان في نفس الوقت مشروع معاهدة سلم
 وصداقة بين السلويين والولايات العامة تشتمل على 27 بنداً قدماء إلى الأمير
 عبد الله الدلائي وأرسله دو زويتز إلى حكومته بقصد الدراسة وإبداء الرأي .
 غير أن الأمير الدلائي أمر بقطع المفاوضات على اثر سفر قائد الأسطول دورويتز
 الذي كان له التفويض الرسمي من الولايات العامة . بالرغم مما أبداه هذا
 الأخير من رغبة ملحة في أن تتابع المفاوضات في غيبته بواسطة القنصل
 زمن معه .

وأرسلت الولايات العامة إلى قنصلها بسلا في 32 ماي 1656 تعليمات
 تحتوي على عشر نقاط . ليتخذها أساساً في مفاوضاته المقبلة من أجل إبرام
 معاهدة سلم مع الأمير الدلائي . وتهدف هذه التعليمات إلى أن يستأنف
 التوصل دو فرييس المفاوضات من جديد مع السلويين . مبتدئاً من النقطة
 التي توقفت عندها المفاوضات الأخيرة ، ويعمل بمقتضى التفويض الذي خولته
 إياه الولايات العامة في هذا الصدد . مستوحياً من الاتفاقية البرمة بين الفريقين
 في 9 فبراير 1651 باستثناء التغييرات المنصوص عليها في هذه التعليمات .
 أخصت النقطة السادسة في التعليمات للكلام عن الفصل الرابع من معاهدة
 16 فبراير الذي كان السبب في معارضة الأمير عبد الله الدلائي لهذه المعاهدة

47) De Castries, Sources Inédites, Pays-Bas, 6:135

وبغالها معلقة منذ نحو ٢٠ سنوات . وقد أوصت الولايات العامة القنصل بأن يعمل ما في وسعه للاحتفاظ بهذا الفصل على حاله . فإن لم يستطع تنازل ممرجات معينة ، فإن لم يستطع الحصول على شيء شرط فقط الا يرسل أسارى فراضة الجزائر من رعايا البلاد الواطنة الى مكان آخر غير سلا ليسلموا الى القنصل مقابل فداء معين بحسب رتب الاسرى (48) .

وكان الضابط دو رويتر * DE WILDT ، تلقى أمرا من القيادة العليا للاسطول بأسترداد بالتوجه الى سلا على رأس سفن حربية كبرى لمساندة المفاوضات الجارية هناك . لكن قبل أن يصل الاسطول الهولاندى الى سلا ترصل القنصل دو فرييس مع المفاوضين السلواويين بعد محادثات طويلة الى الاتفاق على مشروع معاهدة سلم وصداقة يتألف من اثني عشر فصلا . وقعه جميع المتفاوضين من الطرفين فى 22 مارس 1657 (49) ووجه القنصل الهولاندى نص المشروع الى حكومته للمصادقة عليه . ولما وصل دو رويتر وجد كل شيء تم بسلام ، فكتب الى الامير عبد الله الدلائى يشكره على حسن تصرفه ، ويعرض عليه استعداده للخدمة ، ورجع بعد أسبوع الى قادس مرتاح البال .

ومكث مشروع المعاهدة فى البلاد الواطنة أزيد من سنة ، اذ لم تصادق عليه الدول العامة الا فى 25 ماي 1658 ولم يتوصل عبد الله الدلائى بالنسخة الاصلية ليوقعها الا فى شهر غشت من نفس السنة . ووقعت فى هذه الفترة أحداث كثيرة كادت تعصف من جديد بالعلاقات بين سلا ولاهاي ، ومن أخطر ما اعتداه القبطان الهولاندى براكل BRAKEL التابع لاسطول دوررشر يوم فاتح شتنبر 1657 على سفينة سلوية كانت قادمة من الجزائر بحمولة تجارية مهيئة بقيادة الرئيس على مرشيك ، فهاجمها براكل بالقرب من مرسى تطوان ، واستولى عليها بعد أن فر الرئيس مرشيك ومن معه من التجار . وقد حرر السلويون لائحة بما ضاع لهم فى هذه السفينة ، وختم الامير الدلائى هذه اللائحة بطابعه قبل أن يوجهها الى الولايات العامة فى ربيع الثانى 1068 / يناير 1658 (50) .

ولما طال انتظار عبد الله الدلائى ولم يستلم جواب الولايات العامة على هذه المطالب ، ولا المصادقة على المعاهدة ، رأى أن يلجأ الى العنف ، فأغلق مخرج النهر على المراكب طيلة شهر كامل وأخطر القنصل دو فرييس بأنه سيتصرف بنفسه لرعاياه ، ويرد عليهم ما ضاع لهم بعد أن يأخذه عن

48) De Castries, *Sources Inédites*, Pays-Bas, 6 : 271.

49)

50)

6 : 323.

6 : 365.

الهولنديين المقيمين في سلا . وكتب القنصل الى حكومته بجلية الامر ، طالبا
 منها أن تعجل بالمصادقة على المعاهدة ، وبتعويض الجسائر التي لحقت
 بالسويين . وبناء على ذلك اتخذت الولايات العامة في 25 ماي 1658 قرارا
 يقضى تكليف ضابط بحري بالتوجه على رأس فرقة من الاسطول الى مرفأ
 سلا لتبادل وثائق المعاهدة المصادق عليها مع الامير عبد الله الدلائي . وللمعمل
 معه على تسوية المشاكل القائمة ولاسيما ما يتعلق منها بسفينة الرئيس على
 مرشيك ، واطلاعه على ان الضابط رويتر لم يعثر في السفينة السلوية المأجدة
 في خليج تطوان لا على النقود ولا على البضائع المشبهة في اللاتحة . وانه سار
 في هذه الحادثة على مقتضى المعاهدة ، فحرر أحد سكان سلا الذي عثر عليه
 في السفينة المأسورة . أما المغربي الاعمى (51) الذي كان كذلك على ظهر
 السفينة فسيقدم اقتراح بتعويضه ان لم يعثر عليه . ولا تقبل الدول العامة
 بحال أن يعرض الامير بنفسه رعاياه على حساب أشخاص وأموال رعايا البلاد
 الواطنة . وكان الضابط الذي كلف بمهمة الاتصال بالامير عبد الله الدلائي
 هو ديرويتز ، الا انه فضل أن ينسب عنه الضابط ديولدت « DE WILDT »
 الذي وصل الى مرفأ سلا في 27 يوليوز 1658 على رأس فرقة من الاسطول
 الحربي . وكتب ديولدت بمجرد وصوله الى أمير سلا ينبئه بأنه يحصل
 مصادقة الولايات العامة على المعاهدة ، ويطلب أن يحضر الى سفينته مفوضون
 سلويون لتبادل الوثائق . وأسرع الامير عبد الله الدلائي كعادته بتقديم
 القرى الى ضيفه ، وكان من جملة ما حملته السفينة الصغيرة الى الاسطول
 الهولندي المرباط خارج المرفأ أربعون من الغنم . فرد الضابط الهولندي
 ديولدت عن ذلك برسالة شكر وامتنان معتذرا بعدم توفره على أشياء ثمينة
 يمكن أن يبعث بها الى الامير الكريم . لكنه لما كان يعلم ان الامير جندي كبير
 عولم بالاسلحة الجيدة قدم اليه هدية متواضعة تشتمل على ستة براميل
 صغيرة من مسحوق البارود الخاص بالمدافع وبندقية جيدة طويلة . وبعد ذلك
 خرج القنصل دو فرييس صحبة الترجمان كوهن للسلام على الضابط
 والشرح به ، والمخاطبة معه في المسائل المتعلقة وبخاصة قضية سفينة
 الرئيس على مرشيك لمعرفة موقف الولايات العامة منها . وأجاب (دويولدت)
 بأن حكومته لم تعثر في السفينة المأسورة بالقرب من تطوان على الاموال
 والسلع التي ورد ذكرها في اللاتحة التي بعث بها الامير الدلائي ، وبذلك فانه

(1) لا ندري من أين عرف الهولنديون أن هذا المغربي الذي لم يعثر عليه كان أعمى وفي رواية
 أخرى لهم انه كان أسود . والذي ورد في نص لاتحة السلويين الرسمية هو « مملوك »
 العاج ابراهيم الخياط خديم المقام العليّ مع نجيب الطر - يعني جبل طارق - « وللهذا
 المملوك علاقة بقضية اختلاق تنصير أمير دلائي على ما سألني في الفصل التالي

لا يمكن إلا أن تكون تلك الأشياء قد اختلست من طرف بحارة لاذوا بالغوار .
ولست المصادفة على المعاهدة من طرف الأمير عبد الله الدلاي بعد لاى . (دى
العدد 1008/ عشت 1058) ولم تنته المفاوضات في شأن السفن والبصائع
الضائعة . وسيكون ذلك إحدى المهمات التي يضطلع بها السفراء السلويون
في (لاهاي) .

د) السفارة المغربية في (لاهاي) (1059/1069)

هناك دواع كثيرة دفعت بالأمير عبد الله الدلاي إلى إيفاء سفراء إلى
البلاد الواطئة ، فبالرغم من امضاء معاهدة السلم والصداقة مع هذه البلاد
في مسائل كثيرة معلقة تنتظر الحل ، كالسفن المأسورة والبصائع الضائعة ،
والى ذلك كان السلطان محمد الحاج قد أصيب في إحدى عينيه بمرض السادة ،
أو ما تسميه (بالجلالة أو العمى الأزرق) CATARACTE ورغب في استجلاب
طبيب للعين من هولاندا يعالجه (52) .

وتألف وفد هذه السفارة من ثلاث شخصيات بارزة في العدوتين ، هم
ابراهيم معينو من سلا ، وابراهيم الدك ومحمد بنيالوز من الرباط والقصبة ،
مع حاشية مؤلفة من رجال ونساء واصطحب الوعد معه عديدا إلى الولايات
العامة احتوت على فرسين عربيين أصيلين وشبل ولبوء ونعام (53) . ووصل
السفراء إلى امستردام في أوائل شهر شوال 1069 / يوليو 1059 وأدخلوا إلى
لاهاي من طرف الأمين هيسلست « L'INTENDANT HESSELT » الذي خف
لاستقبالهم في المحطة الواقعة خارج المدينة . وأقاموا في المنزل الخاص بالسفراء
فوق العادة ، وعينت لهم الحكومة الهولندية مخرجا خاصا يرافقهم ، هو

- 112 ذكر أخبار هذه السفارة الكونت دو كاستري في سلسلة وثائق البلاد الواطئة ، ج 6 .
من ص 350 إلى « آخر الجزء » . وبالإضافة إلى الوثائق الرسمية التي تحتوي على معلومات
كثيرة في الموضوع ، أورد دو كاستري في نفس الجزء مقتطفات من كتاب صدر في
امستردام سنة 1068 - أي بعد ثماني سنوات من قدوم السفراء المغربية إلى البلاد الواطئة -
للطبيب الهولندي أوليفي دابير OLIVIER DOPPER تحدث فيه عما شاهدته وقرره
عن هذه السفارة . وقد اعتمدت في هذا الفصل على الوثائق والمقتطفات مما
113 مات الشبل في البحر . كما ماتت النعام بعد وصولها إلى امستردام لكثرة ما أزدرفت من
كل ما قلم إليها ، خصوصا المسامير التي كان الأطفال الهولنديون يلعبون بها اليها .
طالبن أن هذا الطائر العجيب يمكنه أن يهضم الحديد كما يهضم الخبز . وقد وجد في
طنها عندما فتح أكثر من 80 مسمارا

جاكوبيس كوليبس JACOBUS GOLIJUS (54) أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن (55) . وفي اليوم السابع من شهر يوليو زارهم الوكيل دو هايدي L'AGENT DE HAYDI في المنزل الذي يقيمون فيه . واصطحبهم في عربتين نحو كلا منهما أربعة خيول إلى مقر مجلس الولايات العامة حيث وقع استقبالهم حسب المراسيم المتبعة في مثل هذه المناسبة .

وبعد أن دخل السفراء إلى القاعة ، وجلسوا على أرائك وثيرة قدموا لانضاء الولايات العامة تحيات الأمير عبد الله الدلائي . ثم عرضوا اقتراحاتهم لمجموعة بعبارات الود والمجاملة المستعملة في مثل هذا المقام ، وذلك حسب رسالة اعنمادهم المؤرخة في فاتح رمضان 1069/23 مايو 1659 (56) والتي ذكرها رئيس المجلس فرحب بمقدم السفراء المغاربة . وعندهم بسلامة الوصول ، ثم رجعوا في نفس المركب إلى مقر اقامتهم .

وقد طال مقام السفراء المغاربة في البلاد الواطنة أزيد من خمسة أشهر تصرفوا فيها في المفاوضات مع اللجنة السباعية التي عينتها الولايات العامة . باعتبار نائب عن كل إقليم من الأقاليم المتحدة . وقدم السفراء المغاربة في 1659 مذكرة مطولة يقترحون فيها تعديل معاهدة السلم والصداقة المبرمة بين البلدين سنة 1657 بإضافة خمسة بنود جديدة إليها . ويقدمون مطالب تتعلق بحوادث القرصنة السابقة ، وحلولا للمشاكل القائمة . معززين بتأويلهم بحجج عدلية ووثائق تؤيد مطالبهم . ثم قدم السفراء إلى الولايات العامة مذكرة ثانية في 23 شتنبر 1659 تنازلوا فيها عن الفصدين الآخرين اللذين رفضهما المفاوضون الهولنديون . وقبلوا بعض المقترحات المقدمة لتعديل معاهدة 1657 . وأثاروا من جديد نقطة الخلاف مابين وجهه نظرهم في تسويتها . واتخذت الولايات العامة قرارا نظرت فيه بعين الاعتبار إلى كثير من مطالب السفراء ، وسوت بصفة نهائية بعض القضايا المترتبة عن

(54) أستاذ جاكوبيس كوليبس هو رائد الاستشراق في هولندا . وقد ولد في لاهاي سنة 1594 من أسرة عريقة في الأرستوقراطية . ودرس في ليدن . وبرز في اللغات والآداب . وتعلم اللغة العربية على الأستاذ طوماس ارينيبس THOMAS ERPENIUS الذي كان صاحب كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن . ثم جاء كوليبس إلى المغرب مع سفير الولايات العامة البير رويل ALBERT RUYL خلال سنتي 1622 - 1623 رحبة منه في اتفاق اللغة العربية . وحمل معه من المغرب كثيرا من الكتب النادرة سواء في التاريخ أو غيره . وقام بزيارات عديدة لبلاد الشرق العربي . ثم أسند إليه كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن بعد وفاة أستاذه طوماس ارينيبس سنة 1624 . وكانت الولايات العامة تعتمد على الأستاذ كوليبس في ترجمة الوثائق التي تتوصل بها من المغرب إلى أن توفي في 28 شتنبر 1667

(55) ليدن LEYDEN مدينة جامعية في هولندا . سكانها 92700 . وفيها مطبعة بيريل الشهيرة والمكتبة الغنية بالمطبوعات والمخطوطات العربية النادرة

(56) انظر صورة هذه الرسالة في اللوحة رقم 16



السفارة المغربية في لاهساي عام 1069 هـ (1659 م)

وتتركب من ابراهيم الدك و ابراهيم معين و محمد بن يالوز

المبعوثين من طرف عبد الله الدلائي

عن مصادر دو كاستري

حوادث القرصنة وكتبت الى الامير عبد الله الدلائى تعرب له عن اغتباطها
بزيارة سفرائه ، وتثنى على حكمتهم ولباقتهم .

وقد تم فى 22 أكتوبر 1659 تحضير مشروع تعديل المعاهدة ويتلخص فى
نقطتين :

(1) تثبيت معاهدة 22 مارس 1657 .

(2) حماية رعايا البلاد الواطنة من أى عمل عدائى قد ينالهم من القرصنة

السللاوية .

(3) اتخاذ الجانبين موقفا وديا عند اللقاء .

(4) تحديد الاجراءات التى يجب على ضباط البحرية الهولندية اتخاذها
عند زيارة السفن السللاوية فى عرض البحر .

(5) الزام قناصل البلاد الواطنة المقيمين فى الموانئ الاسبانية بحجز كل
سفينة سللاوية يقتادها الضباط الهولنديون ، وردها الى اصحابها .

(6) تبادل المصادقة على هذه الوثيقة فى غضون ستة أشهر .

وقد وقع السفراء الثلاثة هذه الوثيقة ، كما وقعوا المذكرتين السابقتين
وكل الوثائق والرسائل المقدمة الى الولايات العامة . وكان الناطق باسمهم
طيلة المدة التى قضوها فى لاهاي هو ابراهيم الدك الذى «سجل مذكرات على
أوراق ، ولم يكن يمل من الحديث عن العجائب التى شاهدها فى هذه البلاد .
وقد أجريت على السفراء نفقات باهظة على حساب الدولة ، ومع ذلك فانهم
كانوا يعملون دائما على اختصار الوقت ليتمكن الرجوع فى اقرب وقت ممكن
الى بلادهم ..» (57)

والى جانب هذه المفاوضات السياسية اشتغل السفراء بمسألة الطبيب
« L'OCULISTE ISHAAC SASBOUT » وأعضوا عقدة مع طبيب العيون اسحاق ساسبوط
ليتوجه الى الدلاء من أجل معالجة السلطان محمد الحاج . ولكن
هذا الطبيب تراجع فى التزامه ، وأبدى كثيرا من التعتات والتذلل والاعتذار
بمرض زوجته ، فاستبدله السفراء بطبيب آخر أكثر منه كفاءة وخبرة . يسمى
جوهن دونكارت « JOHAN DONKART » وهو جراح ماهر أجرى عليه اختبار
عمل حول العلاج الذى يطلب منه القيام به ، وذلك أمام أكبر جراح فى البلد ،
وبحضور امهر طبيب للعيون . وقد باشر جوهن بمهارة فائقة عملية استئصال
السادة لشيخ هولاندى مريض قبل أن يتوجه الى المغرب .

(57) الطبيب الهولاندى اوليفي دابير . الكونت دو كاسترى . مصادر لم نشر لتاريخ المغرب .
مسئلة البلاد الواطنة 604:6

والخبر اخصصت الولايات العامة لمقابلة لوداع السفراء المغاربة. وقررت ان تقدم لهم هدايا فتعطي كل سفير سلسلة ذهبية ، وميدالية ، وكتابا في وصف من البلاد الواطنة المتحدة ، وتحملهم هدية للامير عبد الله الدلائي ، هي عبارة عن كتاب مماثل بغلاف اكثر زخرفة وتنسيقا ، ورجت الولايات العامة ان يعترف هؤلاء السفراء بحسن الاستقبال الذي حظوا به في البلاد الواطنة ، ويعملوا في بلادهم على تسهيل قضايا الرعايا البولنديين ، ولما علمت الولايات العامة في 23 أكتوبر بنها خروج السفراء من لاهاي ، المقرر يوم 27 من نفس الشهر ، قررت الوكيل ديهايدي بتشجيعهم عند مغادرتهم العاصمة ، وكلفت الامين سيسلت مرافقهم الى لندن . ثم ارسلت مبعوثا عنها في 31 أكتوبر الى امستردام يقدم الهدايا المذكورة الى السفراء المغاربة الذين كانوا يتأهبون لمغادرة البلاد الواطنة . ولكن سفرهم تأخر الى ما بعد 2 ديسمبر 1659 . ولما وصل السفراء الى شواطئ المغرب وجدوا الثورة قائمة ضد الدلايين في العدوتين وبلاد الغرب . واضطروا الى النزول في تطوان «المدينة الوحيدة التي ظلت وقيصة للدلايين» (58) .

هـ قضية تنصر أمير دلائي

شغلت قصة تنصر أمير دلائي بال اوروبيين مدة طويلة ، وتبدلت في شأها عشرات الرسائل بين الشخصيات والجيئات الكاثوليكية في ايطاليا واسبانيا وفرنسا . وظهر أثر ذلك في الادب الاوربي فالتفت مسرحيات في هذا الموضوع مثلت في مدارس اليسوعيين بألمانيا وبولونيا وغيرهما . وهذه القصة ان دلت على شيء فانما تدل على مدى بعد صيت الدلايين وانتشار سعتهم في الاوساط الاوربية . ويبدو أثر الاختلاق والتلفيق واضحا في أخبار هذا الأمير الدلائي المزعوم . وسأذكر باختصار هذه القصة كما أوردتها الكونت دو كاستري (59) ما دامت المصادر العربية لم تعرفها ولم تتحدث عنها بشيء : في سنة 1651 أعلن في جزيرة مالطة (60) عن ركوب حجاج مغاربة في سفن انجليزية ، وخروجهم من ميناء تونس قاصدين مكة المكرمة . وفي الحين

(58) من رسالة وجهها السفراء المغاربة الى الولايات العامة في 20 يوليو 1660 . دو كاستري . سلسلة وثائق البلاد الواطنة . 620:6

(59) دو كاستري ، وثائق فرنسا ، السلسلة الاولى . 203:1 وما بعدها

(60) مالطة إحدى جزر البحر المتوسط تقع غربي تونس ، وقد سلبها ملك اسبانيا شارل كان (1500 - 1558) الى فرسان جزيرة رودس سنة 1530 فقامت CHARLES QUINT (1500 - 1558) انجليزية منذ مستهل القرن التاسع عشر الأتراك في البحر ثم صارت مالطة مستعمرة انجليزية ضمن دول الكومنيويلث وأحرزت على الاستقلال سنة 1962

أخرجت من الجزيرة سفن شراعية كبيرة للتجديف GALERES بقيادة الضابط البحري بلطازار ديماندولس BALTHAZAR DE-MENDOLS وهو راهب كاثوليكي مشغل بالقرصنة في البحر الأبيض المتوسط ضد المسلمين . واعترض بلطازار فريق السفينة الانجليزية وأسر كل من كان على ظهرها من الحجاج ، واقتادهم إلى مالطة حيث أودعهم سجن الميناء BAGNE الذي يدخل إليه المحكوم عليهم بالانغال الشاقة (61) وكان من بين هؤلاء الأسرى شخص ممتاز يعمل على دعاء حقيقته ، حتى لا يقع التغالي في ثمن فدائه . وقد استطاع هذا الأسير أن يحصل من باي تونس على أربعين ألفاً من نقود ايكوس ECUS (62) المحددة لحريره هو وزملائه . وعندما أخذ هذا الشخص الممتاز يتأهب للسفر إلى تونس يوم 11 يونيو 1656 حدثت صعاب غريبة منعتهم من ركوب البحر . واضطر للمبيت عند الرئيس ديماندولس DEMENDOLS الذي كان يولييه كبراً من العطف . وفي الليل حدثت المعجزة ! ورأى في منامه حلماً عجيباً دعاه لارثوذا ، وأعلن في صباح الغد رغبته في التنصر . ولما مثل بين يدي الرئيس الأكبر بال ديلاسكارى LE GRAND MAITRE PAUL DE LASCARIS CASTELLAR عرف بنفسه . وقال انه أمير مغربي اسمه محمد من أبناء سلطان الدلاء . فعلم الديانة المسيحية في بيت اليسوعيين بواسطة ترجمان يسمى جان باري JEAN-PARI وعمد في مهرجان كبير يوم 31 يوليو 1656 وأخذ اسم الضابط في أسره وصار يسمى « بالطازار لويولا مانديز » R.P. BALTHAZAR LOYOLA MENDEZ وتطور أمر هذا المتنصر ورسخت قدمه في الكاثوليكية حتى أصبح راهباً كبيراً وداعية للديانة المسيحية ، وانتدبته هيئة المبشرين لتشر الدعوة النصرانية في بلاد الهند . وتقرر أن يبحر من لشبونة في ثلاث البرتغال ويعرج في طريقه على مدينة الجديدة لتشر الدعاية المسيحية في أساط المغاربة قبل التحاقه بالهند . وهنا تتكرر معجزة تغذر ركوب البحر

(61) كانت مثل هذه السجون معروفة في المراكز القرصنية ، وتسمى في المغرب بالمطامير أو الأهرام وقد ذكر المؤرخ محمد بن علي الدكالي في كتابه عن الرباطات انه وقف في الدار البيضاء على طرف عظيم مشرف على المرسى قرب ضريح سيدي بلوط . وقد لغت بحيطاته وأقواسه الحجرية ورؤوس سواريه أسطر بالخط البرتغالي تتضمن أسماء سجن من الأسرى اعطاهم قرصان سلوى لأسباب مجهولة من ميناء لشبونة البرتغال في دولة السلطان محمد بن عبد الله العلوي . وأودعهم هذا السجن المؤبد . وراى المؤرخ الدكالي ان الفرنسيين نقلوا أنقاض هذا الجوى إلى الثكنة العسكرية خارج الدار البيضاء ، وأعادوا بناء الجوى على الصورة التي كان عليها من قبل .

(62) ايكو ECUS عملة فضية قديمة . أول من ضربها الملك الفرنسي سان لوى (1215-1270) وهي تساوي ثلاث ليرات LIVRES وفي أول حالات صرفها . وهناك أيضاً نوع آخر عليها يساوي ست ليرات

[Faint handwritten notes at the bottom of the page]



SANCTUS
IESU
CHRISTE
EVANGELIUM
LIVIT

[illegible]

وقد ومرت القليل التي كانت فيها لمصرها بفعل ابي يحيى بن من تاريخ المرحلة بين الغزاة وميناء
 ت وركاسته ابي قسود الصبي
 به ان محمد بن محمد بن الحاج الدكائني كان في هذه المدة بعد ما من قول في العسب لمحمد
 ارجل جاد ما بين ما نعت (شخص) وحضر من اشبه غلده والنصارى ورعيه واه كاله الحال انما هو
 ربحه من بلاد الحبانية عايد الى المغرب في سبيل ابيه في سنة 667 هـ في ليلة
 سوري صوري واهب بلباس الرهبنة ورسول في خلع عرج علامته الزناد يعتم بها حال
 تلامه وباراهم مذهب كرم يشهد بذلك في بعض (منازل) كرمه لوموك (او في المزارع
 نفي من الملتقى بل حسب يلد ملانم لانه شريف دلاو من جسر مع اري انك لا يبرج بل عواض ما
 نيزاد د وخلصته امور ان المصلح انسر من نزل علم كبير وامير شكرا من
 بجاء السلطنة انقري اسك الحلاج ابراهيم معيني والحلاج ابراهيم المروزي لاني لسي
 الملاحج للملوك بسيفه اني سر على من شيطنة ملوك الحجاج ابراهيم الحياك خرم اعلم
 ما باله سيع بجبل كاري م ولا اسطرا هذا الملوك عوان في عثم انه م كاري
 عروصه رر هذا ونيزم بر (الاسك) بل هذا على كلاء ام وتلكه سيرة ولما عاد الي
 اسر خاله ان عثم انه بسيرة الاسك في عثم بلخه سر في نيل من المستول على اورشلا
 م بسا انه سر على ليلته انك لا يبرج يحصل في المصطفى من النصارى وشره كراء ولا تصور ان
 لي عمو الانك لا يبرج مع ما على النور عليه من الحسنة في نيل النور من انقطع
 المعاد والعلوي ان بعثه في من حير انك لا يبرج لا تصلح عفو الاصل
 ضل عن عضد الاعيان هذا هي صورة الانك لا يبرج في النور وشره كراء صورته (العمل
 ملكه يانه اورشلا واول مشاعرك عليه في نيل النور ما لم يبرج عمو راجع التاريخ
 في خبر صورته من غير تعهد بل لا حصة له عليه في نيل النور في نيل النور على انك لا يبرج
 على علمه بالحق في الخبر من حبله الجمعة لا سوان (الابرج) على انك لا يبرج

صفحة بخط المؤرخ محمد بن علي الدكالي المملوك
 يورد فيها على ادعاء تنصير أحد الدلائل

على الراحب بلطازار لوائولا ١١ ويرجع من لشبونة لينسلك في سفره طريق
 البحر ، ولكنه لم يكد يصل الى مدريد حتى توفي بالطاعون في 15 ستمبر 1607 .
 ذلك هو مجمل الحياة المسيحية المعروفة للراحب بلطازار لوائولا ، أما أصله
 وحياته السابقة في الاسلام فليست الا مجرد رواية وتخمين - باعتراف
 المصادر الاوربية نفسها - ولم تسفر الابحاث التي أجريت في مالطة وروما
 وفلورنسا ومدريد وغيرها من المدن التي دخلها هذا الراحب عن أي برهان
 يثبت صحة نسبه الدلاني ، أو حقيقة حاله فيما قبل الاسر . وقد عاد الاوربيون
 الى افتراض انه حفيد للسلطان محمد الحاج بعد أن كانوا يقولون انه ابنه
 مأمرة . وزعموا أن هذا المتنصر كان ابنا لمحمد بن محمد الحاج الذي خلف
 آخاه أحمد في إمارة فاس من عام 1064 الى 1070/1654 - 1660 . وادعوا ان
 المتنصر تولى إمارة فاس عدة بعد وفاة والده في انتظار أن يصير سلطان المغرب
 في يوم من الأيام . . وكل هذه الافتراضات باطلة إذ كان الأمير محمد بن محمد
 الحاج ما يزال حيا في سنة 1051 التي أخذ فيها هذا الاسير المتنصر ، بل ان
 محمد بن محمد الحاج لم يتول إمارة فاس الا بعد ثلاث سنوات من تاريخ
 الاسر ، وامتدت حياته الى سنة 1660 . هذا بالإضافة الى أن أسيرة الدلائيين
 في ذلك العصر كانت من التهمة والنباهة بحيث لا يخفى قرد عنها على المؤرخين
 والنسابة المغاربة . وقد عاصر الدلائيين خصوم ومنافسون كثيرون من السعديين
 والعلويين وشيعتهم ، ما كانوا ليسكتوا عن التشهير بهم لو كان أمر المتنصر
 حقيقة واقعة . ونحن نعلم أن خصوم الدلائيين عيروهم بأصلهم البربري ،
 وقبحوا عليهم اطعامهم الضيوف ، وتصدرهم المجالس وارتقاءهم المناظر بعد
 الضعة والخمول ، فكيف كانوا يعضون الطرف عن سيرة التمسح والمروق من
 الدين لو كانت !

ويرى المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي (63) أن هذا المتنصر ليس
 لا علجا من عماليك الدلائيين ، ادعى عندما أسر انه أمير دلاني لتحصل له
 حظوة عند النصارى ، أو لينجو من العقاب الصارم الذي كان يتعرض له كل
 مسيحي ثبت عليه انه اعتنق الاسلام . ويعتقد المؤرخ السلوي ان هذا المتنصر
 هو عميلوك الحاج ابراهيم الخياط خديم الأمير عبد الله الدلاني الذي أسره
 الهولنديون في سفينة الرئيس على مرشيك وباعوه في جبل طارق . وهذا
 لا يصح لما عرفنا من أن أخذ سفينة الرئيس مرشيك كان يوم فاتح ستمبر 1957 ،
 في حين كان أسر المتنصر قبل ذلك بست سنوات ، أي خلال سنة 1651 . على
 أن حوادث الاسر كانت متعددة ، والاسرى من المماليك وغيرهم كثيرون ، ولا

بعد ان يكون على أى حال هذا المتنصر من قدماء العلوج المسيحيين الذين سبق ان ملكهم بعض المسلمين من الدلائيين أو غيرهم . كما يظهر ذلك من كلام الراهب بلطازار لويولا مائديز (١٥١) .

3 - الدلائيون فى فاس

١٤ استولى محمد الحاج على مدينة فاس (عام ١٥٥١ - ١٦٤١) عقب مقتل الجاهد العياشى . ولى عليها القائد أبا بكر التاملى ، واسند القضاء الشرعى الى أحمد الازمورى (٥٥) والفنبا الى محمد بن سودة (٥٦) . وكانت فاس اذ ذاك تستل على ثلاث مدن متميزة : المدينة الجديدة السطياء أو فاس الجديدة ، وعدوة الاندلس وعدوة القرويين أو فاس القديم . وكان يتولى أمر كل من العدوتين رئيس من أعيانها . وقد توارث آل الميرنى الاندلسيون رئاسة عدوة الاندلس بفاس . وأول من ولاه الدلائيون أو أقروء فى هذا المنصب عن أفراد هذه الأسرة هو عبد الكريم الميرنى . ولم تترغم أسرة معينة - على ما يظهر - عدوة القرويين ، والحاكم الذى تولى أمرها على عبد الدلائيين هو ابن الصغير . وكانت مقاليد المدن الثلاث بيد المتولى على فاس الجديد دار الإمارة ومعهده الديوان . ويعتبر قائدا العدوتين مساعدين له يزوران فى قصره كل صباح . ويتشاوران معه فى مهمات الأمور قبل الرجوع الى مقر عملهما لمباشرة الأعمال العادية وتنفيذ الخطة المتفق عليها .

وهكذا كان أبو بكر التاملى القائد المسؤول عن مدن فاس فى السنوات العشر الأولى من إمارة الدلائيين (١٥٥١ - ١٥٦٥/١٥٤١ - ١٥٥٥) وهو وان استقر فى فاس الجديد ، فإنه لم يسكن قصر الإمارة الذى تركه الدلائيون لابناء الشرفاء السعديين احضراما منهم لآل البيت النبوى الكريم . ولم يفادر السعديون هذا القصر الا على يد السلطان الرشيد بن الشريف (١٥٦٧) وعرفت

- (٥٤) انظر صورة الراهب بلطازار فى المروحة رقم ١٥ .
 (٥٥) القاضي أحمد بن محمد بن على الازمورى ، الشيخ . المعولى الفقيه كان أعجوبة الدنيا فى الحفظ والفهم كثير الاستشهاد فى التدريس . توفى فى جمادى الثانية ١٠٥٧/١٠٤٧ .
 انظر ترجمته فى : محمد الكتانى ، سلوة الانفاس ، ج ٢ ، ص ٦٠ .
 (٥٦) الفقيه محمد بن محمد بن أبى القاسم ابن سودة . استاد الزاوية الدلائلية . تقدمت ترجمته فى الباب الثالث . وقد ولاه الدلائيون بعد ذلك القضاء فى فاس عام ١٥٥٧/١٥٤٧ .
 (٥٧) أبو القاسم الزيانى . رسالة البلدان ، ص ٤٧٠ . وورد فى مناقشة الجعفى وزير السلطان اسماعيل (ج ٢ ، ورقة ١٧٦/ب) ان بنات الشرفاء السعديين خرجن من قصر الإمارة بفاس الجديد عام ١٥٥٥ . وهكذا تنق الروايتان على لقاء السعديين فى قصر الإمارة فى معظم السنوات التى كانت فاس فيها تابعة للدلائيين . وان كان الجعفى قد حدد لخصومج الشريقات تاريخا متقدما قليلا عما ذكره الزيانى

بلى في هذه الفترة عهدا سعيدا امتاز بالطمأنينة والاستقرار ، لكن هذا
 صفاء لم يلبث أن تكدر بسبب الخلاف الذي نشب بين القائد التاملي ورئيسي
 مدونين وتطور الخلاف الى نزاع مسلح ، فقامت الحرب على قدم وساق بين
 بين الفاسيين الجديدة والقديمة ، وقطع القائد التاملي النهر عن المدينة
 مدينة وحرم خصومه من الماء وضيق عليهم الخناق ، فاستنجد أهل فاس
 بعميد محمد بن الشريف صاحب سجل ماسة الذي لبى دعوتهم مسرعا ، وقبض
 على القائد التاملي وزج به في السجن . غير أن محمد الحاج الدلائي ما كاد
 يتم بحيلة الأمر حتى زحف الى فاس في جيش قوى من البربر ، والنقي
 محمد الشريف في المكان الذي يسمى (ظفر الرمكة) بضاحية فاس ، ولم يلبث
 ابن الشريف في المعركة الا يوما أو بعض يوم ثم رجع الى سجل ماسة ! فتحصن
 الفاسيون الذين كانوا معه في مدينتهم القديمة ، وضرب عليهم القائد أبو بكر
 التاملي الحصار مدة طويلة ، هلك أثناءها عبد الكريم الليريتي رئيس عبدة
 الأندلس وغيره من أعيان البلد ، وأخيرا استسلمت المدينة ورجعت الى طاعة
 الدلائيين .

(أ) أحمد بن محمد الحاج الدلائي أمير فاس

رأى السلطان محمد الحاج - بعد القضاء على الفتنة التي قامت في فاس -
 أن يولى على هذه المدينة ابنه الثاني أحمد . فأقامه نائباً عنه في مدن فاس الثلاث
 وما يليها من البلاد . واستقر الأمير أحمد الدلائي في المدينة البيضاء (فاس
 الجديد) ، واشتغل في أول عهده بنصفية الجور وتبعية رؤوس الفتنة الذين
 كانوا قد لجؤوا الى ضريح المولى إدريس ، واحتنوا ببعض التشرعاء الجوطيين .
 وكان ضريح الشيخ محمد بن عباد (58) داخل باب الفتوح قد تهدم ولم يبق منه
 إلا جدار الشرقي ، فجدد الأمير أحمد الدلائي بناءه . وجعل على القبر سقيفا .
 وأعطى كاتبه محمد (المدعو حم) الطاهري حق التصرف فيما يحمل لهذا الضريح
 من الهدايا والصدقات ، وكتب له بذلك ظهيرا بقي بيده وبيد عقبه .
 ولم يكن الأمير أحمد الدلائي رجل حرب وكفاح ، ولم تتوفر له صفات
 البطولة التي كان يتحلى بها أبوه وأخوه عبد الله . فكثر بسبب ذلك عيبت
 القبائل المجاورة لفاس وفسادهم ، ولا سيما قبيلة الحياينة التي طفت ورجعت
 إلى سالف عهدها في السلب والنهب . ولما لم يجد أهل فاس غناء في أميرهم

(أ) الشيخ محمد بن عباد النفزي الرندي تلميذ الشيخ أحمد بن عائش السلواوي ، هذا الإمام
 الفروبي وحظيها . ومؤلف السرح المشهور لحكم ابن عطاء الله ، وغيره من الكتب في
 مختلف الفنون . كانت وفاته عام 790/1390 . انظر ترجمته مسجلة . وأخبار تجديد
 ضريحه في : محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الانفاس ، ج 2 ص 133/142

أحمد ، توجهت جماعة منهم الى والده في الدلاء تحيل اليه الفتاوى الفاضلة
شروعية قتال الأعراب المحاربين ، وترجو منه أن يحمي فاسا من المعتدين
بها . وكان ذلك سببا في الحملة الشاذلية الكبرى التي قادها محمد الحاج
بنه ضد قبيلة الحياينة كما سبق . ولم يطل مقام الأمير أحمد لدلاني في
بني ثلاث سنين وبضعة أشهر . إذ توفي في ربيع الأول 1051/1052 .

ب) محمد الدلاني يخلف أخاه في إمارة فاس

يمتاز الأمير محمد بن محمد الحاج الدلاني بالعلم والأدب وحسن الخلق .
وبدأ خلف أخاه أحمد في إمارة فاس وما والاها من أعمال المغرب . وسار مع
الناس بسيرة حميدة ، وأمور سديدة (69) ولم تجد علينا المصادر بأكثر عن
ذلك فيما يخص الأعمال التي قام بها هذا الأمير في مدينة فاس . اللهم الا ما
كنا من تجديده ضريح ابن عباد الذي بناه أخوه أحمد . وذلك بعد أن احترق
لعدة . ومات كثير من الناس ممن كانوا يطفئون النار (70) وهذه البناية
من الأثر الوحيد الذي بقي حتى اليوم مما شيده الدلائيون في فاس . ونحن
لاستطيع بهذه المعلومات الضحلة أن نأخذ فكرة واضحة عن الأمير محمد
دلاني ، لكن يمكن أن نعتقد بأن حظه من الفروسية والفجدة والحكمة السياسية
لم يكن بأوفر من حظ أخيه أحمد . إذ لم يستطع خلال السنوات الست التي
نصاها في عمالة فاس أن يفرض احترام السلطة الدلالية في المدينة ولا في
حارجها . وقام ثوار في الأقاليم الشمالية التي كانت تابعة له دون أن يحرك
ساكنا أو يحاول معارضتهم والضرب على أيديهم .

وكان للدلايين علاقة مصاهرة بأسرة الشرفاء القادرين (71) فأعطوهم
من التصرف في فتوحات (72) ضريح أبي الحسن بن حزمهم (73) الأمر الذي

سليمان الخوات . الدور الزاوية . ورقة 240/ب

أو عبد الله الضعيف . تاريخ الضعيف . ورقة 12/ب . وقد ذكر خير الحزاني ضريح

ابن عباد وتجديده أيضا محمد بن الطيب القادري في نشر الثاني الكبير . ورقة 112/ب

عرفنا في الباب الثالث أن أحمد بن عبد القادر القادري تسمى الزاوية الدلالية تزوج بنت

الشاذلي أخ السلطان محمد الحاج . وتزوج بعد ذلك أخوه غلال بن عبد القادر القادري

جد محمد بن الطيب القادري صاحب كتاب نشر الثاني . بنت أحمد بن صالح المبريني

الذي تولى قيادة فاس من قبل الدلايين

المواد بالفتوحات الهدايا التي تقدم لضريح الولي من مال وشمع وزيت وماشية الخ

أبو الحسن بن حزمهم (بكر الحاء وسكون الراء ، بعدها زاي مكسورة) حرف اسمه الى

(حززم) . عالم كبير ، وصوفي شهير ، ولد ونشأ في فاس ، وتلمذ على القاضي أبي

بكر بن العربي . والشيخ أبي يعزى . توفي في شعبان 559/هـ بولوز 1164 . وابنه محمد

هو المعروف اليوم بسيدي حزام . في الحمة ذات المياه المعدنية الشهيرة بضاحية فاس

آثار حتى بعض الأسر الفاسية فأخذت تكيد للدلائيين وتعمل على التخلص منهم . ولم يكن هؤلاء وحدهم خصوما للنظام القائم ، وإنما كان يشاطرهم هذا الرأي كل الذين أصيبوا بسوء في حوادث قمع الثورة الأخيرة ، وهم كثيرون . وداخل هؤلاء الخصوم رئيس إحدى الفرق العسكرية الدلائية المربطة في فاس . وهو القائد أبو عبد الله الدريدي ، وربط معه رئيس عدوة الأندلس أحمد بن صالح الليريني علاقات المصاهرة ، وتم الثامر على اغتيال الأمير محمد الدلائي بالسهم (ربيع الثاني 1070/1059) . وقد حمل جنمان الأمير محمد إلى الدلاء ودفن في الزاوية القديمة . واستخلف السلطان محمد الحاج علي فاس حفيده أحمد بن عبد الله (74) وكان ما يزال حدثا صغيرا ، فرجع بعد قليل إلى الدلاء . ومعه كل ما كان في قصر عمه بفاس الجديد من العيال والخشم والعبيد . واستقدم السلطان محمد الحاج إلى الدلاء جماعة من أعيان فاس تزيد على مائة رجل فوبخهم على غدرهم بولده محمد ، وزج بهم في السجن أياما ، ثم بعثهم لفاس الجديد مكبلين فذبحوا جميعا (75) ومهدت هذه المذبحة السبيل أمام القائد الدريدي الذي أعلن نفسه حاكما على فاس الجديد ، وآزره في ذلك صهره الليريني في عدوة الأندلس ، وابن الصغير رئيس عدوة القرويين ، وقطعت فاس بذلك صلتها بالدلائيين . وسنرى في الباب التالي التطورات التي طرأت على العلاقات بين الدلاء وفاس ، ونهاية هؤلاء الرؤساء الثلاثة .

4 - آثار الدلائيين

(أ) المباني في الدلاء وفاس

شيد الدلائيون كثيرا من المباني سواء في العهد الأول الذي انحصر اهتمامهم فيه بالناحية الصوفية والعلمية ، أو في عهدهم السياسي الأخير . وكان من أبرز مآثرهم العمرانية الأولى الزاوية الدلائية القديمة التي أسس سجدما الشيخ أبو بكر الدلائي حول عام 974/1566 ثم بنى فيها المدارس والنور والأسواق حتى صارت قرية آهلة بالسكان ومركزا علميا ممتازا . وبنى الشيخ أبو بكر أيضا بالقرب من الزاوية الدلائية جسرين على نهر أم الربيع يسمى أحدهما قنطرة (أمسدل) - بتشييد الدال المفتوحة - والآخر قنطرة (مريض الفان) أي مطحنة الخنازير . ولما أفضى الأمر إلى محمد الحاج الدلائي

(74) أحمد الدلائي هذا هو الذي سبترغم وثرة البربر أيام السلطان اسماعيل
(75) أبو عبد الله الضعيف ، تاريخ الضعيف ، ورقة 1/8 ، انظر تفاصيل محنة أعيان فاس في
سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 205

نفس في سطح الاطلس المتوسط عام 1638/1648 مدينته العظيمة التي جعلها
على مثال مدينة فاس بأسوارها الفخمة المسننة ، ومبانيها المندفقة في حوض
بزل بواسطة أنابيب تحت الأرض : وميدان في وسطها القصر والديوان .
كانت عاصمة الإمارة الدلائية زهاء ثلث قرن . ثم بنى محمد الحاج بالقرب من
مدينته ثلاثة جسور على روافد نهر أم الربيع يظن أنها على فنتورة (أسيل
باب زمرور) وقنطرة (خلاطة) - بتشديد اللام - وقنطرة ناجزونس أي
لعرجا . وكلها على غير الطريق الرئيسية بين مراكش وفاس بل هي على
طريق ثانوية تخرج بالمنتجعين عن الأراضي الجميلة للأزقة فلذلك لا تعرف
إلا عند الأهالي . (76) وسنرى في الباب التالي السلطان الرشيد بن الشريف
سلط معاول الهدم على الزاويتين الدلايتين ليشركهما قاعا منفصلا إلا آثار
بيرة استطاعت أن تغالب نوائب الدهر . وكان لمحمد الحاج الدلائي كثير من
آثار العمرانية في مدينة فاس أختى الزمن كذلك على أكثرها حتى لم يعد الآن
مروفا منها - فيما أعلم - إلا ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح ، وهو اليوم
غير مستوف لم يبق منه إلا لياب والصور الخارجي (77) . «وبنى (محمد الحاج)
السقاية التي بفاس الجديد قرب باب التميع ، وبنى المقبرة التي بها مولاي
عبد الله مدفون . وبنى المدرسة التي هنالك ، والقبعة التي على سيدي عبد
الرحمن الشريف بباب عجيسة . ودار الضيوف التي على نهر وادي الجواهر .» (78)

(ب) النقود الاشقوبية

إذا كنا لا نعرف أصلا لكلمة (أشقوب) التي تنسب إليها النقود الاشقوبية
ولا ندري ان كانت محرفة عن الشقوب التي هي - لغة - كل عبوة بين جبلي
أو صدغ في كهوف الجبال ، فإننا لا نستطيع كذلك أن نجزم بأن الدلائل عم
الذين ضربوا هذه السكة لعدم العثور على نص صريح في الموضوع . على أن
القرائن التاريخية تؤيد أن هذه النقود دلائية ، فقد ظهرت الاشقوبية عمام
1658 - 57/1668 ووقع التعامل بها في المغرب ولا سيما في فاس التي كانت
تحت نفوذ الدلائيين . وظلت منذ هذا التاريخ السكة الرسمية في البلاد التي
لحلت محلها النقود التي ضربها السلطان الرشيد بن الشريف عام 1680/
1670 - 69 .

(76) أحمد بن قاسم المنصوري ، تاريخ ديان . فصل القناطر والآبار على نهر أم الربيع
مخطوط المؤلف غير مرقم

(77) انظر اللوحة رقم

(78) عبد البودود التازي . فزعة الاخيار المرضيين . ورقة 1/4 . وفي هذا الكتاب
وفيما يخص (دار الضيوف) التي على نهر وادي الجواهر يرجع الى ص 24 من هذا الكتاب



ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح بفاس
من بناء الأمير محمد الدلائي

تصوير: ج. ب.

وكانت النقود الاشقوبية هذه مربعة الشكل ، مصنوعة من فضة مخلوطة نحاس ، ووزن الدرهم الاشقوبي عشرون حبة وأربعة أسباع الحبة من حبوب شعير العسل بها في الوزن (79) أي أقل من نصف الدرهم الشرعي الذي هو خمسين وخمسي حبة . والاقوية الاشقوبية ثمانون فلسا من النحاس ، والدرهم ثلاث موزونات وثلاث ، في كل موزونة أربعة وعشرون فلسا ، ثم كان الموزونة تعدل ضعف ذلك أي ثمانية وأربعين فلسا اشقوبيا ، إلى أن طرد الرشيدية سنة ثمانين فطرحت السكك كلها ولم يبق معاملة إلا الرشيدية ، وصارت (الاشقوبية) تجوز في أربعة وعشرين فلسا عند ضرب سبي المستديرة في جمادى الثانية سنة احدى وثمانين وألف .. (80)

الباب السادس

نهاية الزاوية الدلائية

١ - بدء انتفاض الاطراف على الدلائيين

(أ) ثورة الخضر غيلان في الشمال

(ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس

(ج) قضية البلديين في فاس

٢ - الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط

(أ) عوامل الثورة

(ب) حصار عبد الله الدلائي في القصبة

(ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة الى دولة أوربية ؟

٣ - القضاء على الزاوية الدلائية - تخريبها

(أ) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي

(ب) استيلاء الرشيد على فاس

(ج) معركة (بطن الرمان) - تخريب الزاوية الدلائية

١ - بدء انتفاض الاطراف على الدلائيين

(١) ثورة الخضر غيلان في الشمال

الخضر غيلان مغربي من بني جرفط القبيلة العربية التي تسكن بين الغرائس وتطوان ، وليس هو من الموريسكيين المهاجرين من الاندلس كما يدعيه بعض الاوربيين . كان غيلان من أكبر مساعدي المجاهد العياشي والمقدم على الغزاة في بلاد الهبط ، ثم اعتصم بجبال الريف بعد موت رئيسه العياشي ، وظل يراقب الدلائيين ويشربص بهم الدوائر ، الى أن وافته الفرصة خلال عام 1052/1053 فانقض على مدينة القصر الكبير واستولى عليها ، وقتل بها علي بن أحمد الذي اغتال المجاهد العياشي . وأخذ الخضر غيلان يومئذ دائرة نفوذه شيئاً فشيئاً ، ويغير على المدن والقبائل الخاضعة للدلائيين ، وصول ويجول في المنطقة الواقعة بين القصر الكبير وفاس . ولما دلت قبيلة شراكة في وجهه ، وكانت من أقوى القبائل في شمال فاس واشد ما شوكة ، حاربها الى أن قل حداثها ، وأوقع بها هزيمة منكرة ، وانتهب حلتها وخيامها ، «فدخلوا فاسا مسلوطين منتصف جمادى الاولى عام 1070» (١) .

ولم تشر نفوذ غيلان في مناطق الشمال ، خصوصاً عند قبائل الهبط التي كان يرأسها في حركات الجهاد أيام الرئيس محمد العياشي وانضم اليه جماعة من الفاسيين الناقمين على الوضع القائم في مدينتهم ، واجتمع عليه أعراب الحظ وغماره وسائر القبائل التي كانت ترغب في التخلص من سيطرة الدلائيين ، أو تسعى في الانتقام منهم على ما ألحقوا من أذى بمجاهدي الغرب ورؤسهم العياشي .

أعلنت أخبار الثورة في الشمال بالسلطان محمد الحاج الدلائي ، فأخذ مهياً للقاء خصمه غيلان في معركة حاسمة . ولم يكده ينتهي شهر الصيام من عام 1070/يونيه 1660 حتى خرج محمد الحاج من مدينة الدلاء على رأس جيش جرار من البربر ، قوامه 80.000 رجل ، وتقدم يغزو السير الى أن وصل الى عرق بومسليام في بلاد الغرب . وهناك على ضفة وادي بوحريرة أحد رؤساء حركة الزرقاء ، وجد الخضر غيلان ينتظره ، وقد اعصوبت عليه قبائل الغرب من أنصار المجاهد العياشي القدماء ، ودارت بين الفريقين معركة رهيبية ، نال فيها وفرة جموع الدلائيين عنهم شيئاً ، فولوا الادبار ، ولاذوا بالفرار . ولم تزل قتلهم المهزومة ببلاد الغرب وتناصنا تحمل الى الناس البرصان الواضع على الانتكاسة الخطيرة التي أصابت إمارة الدلاء ، والضعف الفاضح

الذي نزل بها ، فازدرتها العيون ، وزالت هيبتها من القلوب . وكانت افادة الخضر غيلان من هذه المعركة الفاصلة مزدوجة ، فبالاضافة الى الاسلاب التي امتلأت بها أيدي أتباعه وأنصاره ، تآلق نجمه من جديد ، وانتشر ذكره في أوساط القبائل . واستطاع أن يستبد بشمال المغرب كله في ظرف وجيز . ولم تمنع عليه الا مدينة تطوان ، فقاومه حاكمها المقدم عبد الكريم النقسييس الذي ظل وقيا للدلائيين الى آخر حياته . ولم يستطع غيلان أن يسيطر نفوذه على تطوان الا بعد أن آيس حاكمها الجديد أحمد بن عيسى النقسييس الحفيد (2) من وصول نجدات الدلائيين اليه . وانهرم الصلح بين الطرفين عام 1072/1062 على أن يظل أحمد النقسييس حاكما لتطوان ويقدم غيلان عندما مينا من الجنود يساعدونه في حركاته الجهادية .

ورأى الخضر غيلان أن يعزز موقفه ، ويضمن المكاسب التي حصل في الشمال ، بالتحالف مع المسيحيين الذين كانوا يحتلون التصور المغربية المحيطة به ، فاتفق مع الحاكم الاسباني لمدينة سبته (المركيز دي لوس اركوس) « MARQUISE DE LOS ARCOS » وعقد معه في أوائل سنة 1061 اتفاقية يقدم غيلان بمقتضاها الى حاكم سبته 10.000 من الجنود المشاة ، و 2000 من الفرسان على أن يدافع عنه المركيز ضد جميع خصومه (3) . وظل غيلان في نفس الوقت يحافظ على علاقاته الطيبة مع انجلترا ، وأبى أن يعارض في نزول الانجليز بطنجة عندما قدمت الاميرة البرتغالية (كاترين) هذه المدينة مهرا لزوجها شارل الثاني ملك انجلترا ، ولم يتدخل غيلان في ذلك بالرغم من الحاج الاسبانيين - مراعاة لمصلحتهم الخاصة طبعاً - وحثهم اياه على أن يحول دون تنفيذ هذا المشروع بصفة مباشرة (4) .

وقد توطدت أواصر الصداقة بعد ذلك بين غيلان والانجليز ، فساعدوه في حربه ضد الدلائيين ، في نفس الوقت الذي كان الاسطول الانجليزي يتصل بالامير الدلائي المحاصر في القصبه ، ويقدم له المؤنة والذخيرة أملا في أن يسلم اليه هذا الحصن . ولم تكن أطماع الانجليز في الاستيلاء على قصبه سلا وليدة

(1) هناك مقدمان من حكام تطوان يسمى كل منهما أحمد بن عيسى النقسييس . أولهما أحمد الحد الذي كان يحارب الصاري في سبته أيام السلطان أحمد المنصور الذهبي . وكانت وفاته عام 1033/1022 . والثاني هو أحمد بن عيسى النقسييس حفيد أحمد الأول . وقد نزل حكم تطوان عام 1071/1060 - 1661 . وظل بها الى أن قبض عليه السلطان الرشيد ابن الشريف العلوي عام 1078/1667 . انظر تفاصيل أخبار هذين المقسمين عند محمد داود ، تاريخ تطوان ، القسم الثاني من المجلد الاول ، ص 236 وما بعدها .

(2) الكونت دو كاستري ، مصادر لم نشر لتاريخ المغرب ، سلسلة فرنسا الثانية ، 2411 .

(3) نفس المصدر ، ص 23 .

هذا التاريخ فحسب ، وإنما حاولوا أن يستولوا عليها لأول مرة من يد
الموريسكيين المحاصرين من طرف المجاهد العياشي . وكاذ الاميرال (بلاك)
L'AMIRAL BLAKE « قائد الاسطول الانجليزى أن يستلم القصة من
أيديهم لولا أن تأخر ورود التعليمات اللازمة من حكومته ، بسبب الاضطرابات
الداخلية القائمة اذذاك فى انجلترا . وبعد أن تمكن الانجليز من مدينة طنجة
ابرموا مع غيلان سنة 1674 معاهدة ود وتحالف سعيها وراء تحقيق مطامعهم فى
الاستحواذ على قصبة سلا التي كانت قد دخلت تحت نفوذه . لم يعد سنتين
عمرزوا هذه المعاهدة بأخرى توطد أواصر الصداقة والتعاون بين الطرفين .
وهكذا أصبح المجاهد النائر الخضر غيلان شخصا وديعا مسالما لخصومه
السائقين . بل حليفا للجانب الذين يحتلون بلاده . يوقع معهم معاهدات الود
والتعاون . رغبة منه فى تثبيت نفوذه ، ومساندته للتغلب على منافسيه من
بنى قومه . وكانت نهاية غيلان - عفا الله عنه - القتل على يد السلطان
اسماعيل العلوى عام 1673/1084 .

(ب) ذوال نفوذ الدلائيين من فاس

طلت فاس خاضعة للدلائيين نحو عشرين سنة (1051-1070 1641-1660) تحت
أمر القائد أبى بكر التاملى ، ثم الاميرين الدلائيين أحمد ومحمد كما
سبق . وبعد ذلك خالفت فاس الدلائيين ! واجتازت الثورة الفاسية خلال
السنوات الست التالية ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى (من عام 1070 الى عام 1073 / 1660 - 1663) وفيها انضمت
فاس عن الدلائيين ، تحت تأثير ثورة الخضر غيلان بالشمال . وقد التحقت
طائفة من الفرسان الفاسيين بمدينة القصر الكبير لمساندة ثورة غيلان بينما
أخلت طائفة أخرى تعمل للقيام بانقلاب داخلى فى فاس . وجاءت المذبحة
الرهيبة عقب وفاة الامير محمد الدلائى ، فأحدثت انما كبيرا واستياء عميقا فى
نفوس الاسر المنكوبة فى رجالها وابنائها واقاربها . وفى نفوس السكان عموما .
حتى أن الامير الصغير أحمد بن عبد الله الدلائى الذى عينه جده السلطان
محمد الحاج نائبا عنه فى فاس ، رأى أن الظروف لم تعد مواتية لاقامته فى
هذه المدينة التي أصبحت تتأجج حقدا على أسرته . ففكر راجعا الى الدلاء .
وهكذا انفسح المجال أمام القائد أبى عبد الله الدريسي (5) ليتزعم أمر
فاس الجديد ، ويعمل باتفاق مع رئيسى العدوتين فى المدينة القديمة على

(5) أبو عبد الله الدريدى كان رئيس جماعة من اخوانه ذرية من العرب الهلالية فى ديار
السعديين الى أن دخلت فاس فى طاعة الدلائيين . فانخرط الدريدى وقومه فى جندهم
وظلوا يربطون فى هذه المدينة مع حاميتها الى أن نادوا على الدلائيين عام 1660/1070

الاستقلال بالامر في هذه المنطقة ، وقطع كل علاقة لهم بالدلائين . ولم تمض سنتان على هذا الانفصال حتى قام الدلائيون بمحاولة اسرجاج العاصمة الادريسية ، وقاد الامير عبد الله الدلائي جيشا قويا زحف به الى فاس رمضان 1073 / ماي 1662) وحاصرها عشرة ايام دون أن تفتح له ابوابها . لم يجرؤ قوادها على مبارزته وقتاله . ولم يجد عبد الله بدا من الرجوع على عقبه بعد أن أهلك حرث الفاسيين ، وأفسد زرعهم خارج المدينة .

المرحلة الثانية (1073 - 1074 / 1663 - 1664)

عادت فاس في هذه الفترة تلقائيا الى طاعة الدلائين . إذ لم يكن للدريدي ومن معه من الرؤساء المستبدين من الكفاءة السياسية والحربية ما يمنهم للذود عن المدينة وأهلها ، ولرد عادية المغيرين عليها . خصوصا في تلك الفترة التي كانت الفوضى ضاربة أطنابها في المغرب بصفة عامة ، ولاسيما في المناطق التي أخذ ظل الدلائين يتقلص منها . وكثر حيث قبيلة الحياينة وسادها ، وضاق الفاسيون ذرعا ببغيها ، فخرجت جماعة منهم الى الدلاء لعند السلطان محمد الحاج عما بدر منهم من عناد وعصيان ، وترجوه أن يعيد الأمن والطمأنينة الى مدينتهم التي أصبحت تعيش في جو من الخوف والاضطراب . فعلا خرج السلطان محمد الحاج الى قرية آزرو (صفر 1074 / شتنبر 1663) وضرب خيامه فيها حيث مكث نحو شهر ينظر في شؤون الرعيّة . ويتخذ الاجراءات الكفيلة بتأمين السبل وحفظ النظام في الاقاليم التابعة له . وجاءته بعد القبائل ، وخرج شرفاء فاس وعلمائها ، وخطيبها واعيانها . بقصد التهنئة له والتسليم عليه ، والاستعفاء من اذية جنوده . فأكرمهم وجزى وفادتهم . ورجعوا الى فاس مكرومين (كذا) مسرورين . وأقام هناك في اصلاح احوال الرعيّة وتمهيد البلاد الى الشتاء ، ورجع الى الدلاء . وكان رجوعه اول ربيع الاول ، فانحط القمح والاسعار بسبب اقامته هناك ، وأمنت الناس الطرق من القطع والنهب والقتل ... (6)

وقد روى السلطان محمد الحاج على عدوة فاس الاندلس أحمد بن صالح المبريني ، وابن الصغير على عدوة فاس القرويين . وأسند القضاء الى الفقيه أبي عبد الله المرّي التلمساني .

ج) قضية البلديين في فاس (7)

البلديون أو المهاجرون (كذا) هم اليهود الذين أسلموا في فاس بعد الفتنة الكبرى التي استبيحت فيها دماؤهم وأموالهم بهذه المدينة عام 1275/674 - 1276. وقد كتب السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (657 - 1259/685 - 1280) أبدي الناس عن البلديين وأسكنهم المدينة البيضاء (فاس الجديد) التي كان أسسها في تلك السنة واتخذها دار ملكه. واندمج البلديون في حياة المسلمين واشتغلوا بحرفهم، وعمروا أسواق المدينة. لكن ظهر منهم الغش والخيانة في البيع والشراء فمنعوا من تعمير الأسواق في فاس وظلوا غيبوبين هكذا طيلة أيام السعديين.

وقد شغلت مسألة البلديين الفاسيين علماء المغرب دحرا طويلا، وبلغ عدد الفتاوى التي أقرت منعهم من مزاولة التجارة في أسواق المسلمين اثنين وخمسين، بينما أفتى علماء آخرون بعدم مشروعية حرمان هذه الطائفة من المسلمين من الكسب والاتجار - مهما كان أصلها - لأن الإسلام يجب ما قبله. وألف الشيخ محمد بن أحمد ميارة (8) كتابا سماه: نصيحة المقترين، وكفاية المضطرين، بالترقية بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين، ولا خبر به الصادق الأمين، ولا ثبت عن الخلفاء المهتدين. «جمع فيه فتاوى من قال بالإباحة، وأسقط فتاوى من قال بالمنع، وهو الأكثر عددا وعدالة وعدة، ثم اتبع تلك الاجوبة بما ظهر له بحسب رأيه من الاخذ والقياس، وذلك الاخذ أكثره خطأ، والقياس غير محكم» (9).

وفي هذه الفترة التي تؤرخها (1073 - 1074) قام البلديون بمحاولة الرجوع الى الانجار في أسواق فاس، وشكوا أمرهم الى القاضي أبي عبد الله المرى وقدموا له فتاوى الفقهاء الذين يبيعون مشاركتهم سائر المسلمين بالبيع والشراء، وأعطوه هدية له وأخرى للسلطان محمد الحاج الدلائي، وطلبوا من القاضي أن يستأذن لهم السلطان على أن يجعلوا لهما خراجا سنويا مقابل

(8) الف القاسم الزباني كتابا سماه قصة المهاجرين المعروفين اليوم بالبلديين بفاس، ذكر فيه تاريخ اليهود في فاس منذ أسسها المولى إدريس الثاني، وسيرة من أسلم منهم الى عصره، ويحيط باسم مؤلف هذه القصة غموض، إذ نجد بعض النسخ غفلا من اسم المؤلف، بينما يسبها البعض لاحد القاسمين، ويرى الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني أن هذا يشكك في نسبتها للزباني كونه من أرباب الفكر ما يراه العرب لآلهم من فضل على غيرهم، ولقريبه لكتاب في الانحياز للبلديين إذ لو كانت فكره ضدهم ما حرطه.

(9) الشيخ محمد ميارة أستاذ الزاوية الدلائية وصاحب الفرج المشهور على المرشد المعين تمت ترجمته في الباب الثالث، وقد تحامل عليه الزباني في قصة المهاجرين وقال عنه ان أصله يهودي.

(10) أبو القاسم الزباني، قصة المهاجرين، ص 481.

ذلك . فبعث بالهدية والموافقة الى الدلاء غير أن محمد الحاج كان يعلم تاريخ الفتاوى في القضية خصوصاً من والده الذي كان مقيماً عدة بفاس يقرأ على الفصار . لانه ثبت عليهم الغش مراراً . فكتب محمد الحاج الى المرى يخبره بالنع . وكتب لقائده أحمد بن صالح بتفصيل القضية . وأمره الا يترك المرى يفعل ما أراد هو والمهاجريون . فجمع القائد أحمد بن صالح اعيان فاس وقرأ عليهم كتاب الأمير فصاروا الى المرى ووربخواه ومنعوه من القضاء أياماً . ولولا خوفهم من محمد الحاج لقتلوه ونهبوا داره . لاجل ما كان بين الفريقين من البغضاء القديمة (10) .

المرحلة الثانية (1074 - 1076/1064 - 1066)

لم تكف ترجع وفود الفاسيين من أزرو ويرد خبر ارتحال السلطان محمد الحاج الى مدينة الدلاء . حتى ظهرت نغرة الانفصال من جديد عند القائد الدريدي والى فاس الجديد . غير أن سكان المدينة الادريسية لم يوافقوه على ذلك . وظلوا على وفائهم للدلائيين سواء منهم أهل عدوة فاس الاندلس أو عدوة فاس القرويين . وكان الذي يتولى أمر معارضة الدريدي والوقوف في وجهه هو صهره رئيس الاندلسيين أحمد بن صالح الليريني . وقد كون القائد الدريدي عصاة من المقاتلة للقيام بأعمال اللصوصية والنهب فأخذ يغير على قبائل بسط سايس وقراها وعداشرها . ويصل الى زرعون ومكناسة الزيتون ويأتي بأمتعتهم وأموالهم ومواشيهم الى فاس الجديد ويبيعها . وكثر القطع والنهب والقتل بسبب ذلك . وانقطع السفر في الطرق . ويخرج أهل فاس العليا (11) الى لقائه بالطبول والغواط (12) وكثر التكبر عليه بفاس الادريسية من الاسراف والفقهاء وأعيان الناس (13) .

انقطعت الصلات بين مدينتي فاس القديمة والجديدة . وتطور الخلاف بينهما الى القتال . وجرت خطوب هلك فيها عدد كبير من الناس . ورأى السلطان محمد الحاج الدلائيين أن يردخ الدريدي الشاير . فجهز كتيبة قوية من فرسان قبيلة مجاط أرسلها الى بلاد سايس . فترصدت للدريدي وعصائمه حتى اذا خرجوا من فاس وابتعدوا عنها هجم عليهم المجاطيون وحكموا السيوف في رقابهم ولاذ أفراد العصاة بالفرار وتبعهم فرسان مجاط يطاردونهم الى أبواب فاس . وبقوا يحاصرونهم في المدينة الجديدة أياماً . وشكر القائد

(10) أبو القاسم الزباني . قصة المهاجرين . ص 486

(11) المراد بفاس العليا (فاس الجديد)

(12) (الغواط) في اللغة الدارجة المغربية هي نوع من الزاير الشعبية والمفرد (غيط)

(13) محمد القادري . نشر الثاني الكبير . ورقة 119/ب

المحاطى أهل فاس الادريسية على وفائهم وعدم انسياقهم مع العصاة ، وظل على اتصال بهم طيلة مدة الحصار الى أن رجع الى الدلاء . وبقي أهل فاس القديمة على ولائهم للدلائيين الى قيام الدولة العلوية كما سنرى في فصل آت .

2 - الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط

(ا) عوامل الثورة

لم تكن هناك خلافات - على ما يظهر - بين الامير عبد الله الدلائى وبين رئيسى العدوتين وسكانهما . بل بالعكس كانت الثقة متبادلة بين الامير ومساعديه ، فهو ينسبهم عنه فى المفاوضات مع الاجانب ويدافع عن مصالحهم لدى الدول الاوربية ، ولم يكن عبد الله الدلائى يرهق كاهل المواطنين بالأتاوات والمغارم لاستغنائهم بالضرائب المفروضة على الصادرات والواردات فى الميناء ، ولا يؤديها فى الغالب الا التجار والبحارة الاجانب . هذا بالإضافة الى العمل التجارى الضخم مع أقطار شمال افريقية الذى يشترك فيه كل من الامير الدلائى وأعيان العدوتين ورؤساء السفن . فما هى ياترى الاسباب التى دعت الى الانقلاب فى سلا والرباط ؟ وكيف تم تنظيم الثورة والامير الدلائى حاضرا برافب الامور عن كثب ؟ للإجابة عن هاذين السؤالين ينبغى أن نرجع الى الوراء قليلا لنتذكر الحالة التى أدت الى تدخل الدلائيين فى شئون العدوتين خلال عامى 50 - 1051 / 40 - 1041 . فعندما كان المجاهد العياشى يحاصر المورسكيين فى القصبة جمع محمد الحاج الدلائى من حوله رؤساء قبائل الغرب الذين كانوا ينافسون العياشى ، ووقع اغراء الاعراب للتقاعس عن نصره المجاهد واغتياله . وتم للدلائيين ما أرادوا من السيطرة على بلاد الغرب كلها ، ولكن هذا الانتصار لم يكن فى الحقيقة الا عابرا ، كما لم يكن خضوع القبائل الا ظاهرا اذ كان حب العياشى وتقديره متمكنا من نفوس مساعديه وأنصاره ، فلم يستسلم قط عبد الله العياشى ولا الخضر غيلان ، وظلا يناصبان الدلائيين العداء جهارا ، ويتناوشانهم فى كل مناسبة . هذا الى ما كان من وحشة المورسكيين ونفرتهم من الامير عبد الله الدلائى بعد أن حاصروهم فى القصبة وطردوهم منها وانتزع من أيديهم السلط الحقيقية غير تارك لديوانهم الامسائل لائوية تافهة . فقد كان هناك اذن خصوم للدلائيين من الاعراب والمورسكيين انما هم انتصار الخضر غيلان فى الشمال فجمعوا شتاتهم ونظموا الانقلاب فى جو من التكتم التام . ولم تتحدث المصادر العربية عن هذه الثورة التى قامت فى العدوتين الا عروضا وباشارات خاطفة ، ولم نتعرف على بعض التفاصيل الا بواسطة المراسلات التى وجهها قناصل الدول الاجنبية المقيمون فى سلا آنذاك

الى حكوماتهم ، ولا سيما القنصل الهولاندى دافيد دوقرييس الذى عاش تلك
الاعداث . وعبر نهر أبى رقرق تحت وابل الطلقات النارية للشوار (14) .

ب) حصار عبد الله الدلائى فى القصبة

فى يوم هادى من أيام شهر جمادى الاولى عام 1070/فبراير 1660 بينما
كانت الحالة تسير سيرها العادى فى العدوتين ، والبغارة يشتغلون فى المرفأ
ليخرجوا الى عرض البحر سفينة محملة بالسلع فى ملك أمير سلا وأعيان التجار
لتسجها الى الجزائر ، وفى نفس الوقت الذى كان الأمير الدلائى يستقبل القناصل
فى قصره المطل على نهر أبى رقرق ، اذا بالمدافع تقصف قصفا مرعجا متواليا .
والبنادق العديدة تطلق نيرانها دفعة واحدة ايدانا بنشوب الثورة . وكانت
القبائل العربية المجاورة لسلا والرباط على موعد مع هذه الإشارة ، فأعلنت
العصيان على الفور ، وحملت السلاح ضد الدلائيين . وقام الرباطيون بمحاصرة
الأمير عبد الله فى القصبة بينما أخرج السلاويون مدافع العياشى الضخمة
ولصبوها على ضفة النهر وبدؤوا يطلقون النار على القصبة ، ولم تمكن مدافع
الرباطيين من اصابة حامية الحصن لانخفاض أرضهم فكوموا الشراب الى أن
جعلوه غاليا كالابراج ، وبدؤوا يصلون القصبة بنيران مدافعهم . وكان مع
الأمير عبد الله الدلائى داخل الحصن ألفان من جنود البربر ، ردوا بالمثل على
هذا الهجوم المفاجىء ، وصوبوا مدافعهم شمال النهر وجنوبه وقاوموا فى نفس
الوقت السلاويين والرباطيين . ولم تنظر مدينة سلا لبعدها عن مرمى مدافع
القصبة ، بينما هلك كثير من الرباطيين بالقنابر التى كانت تقذف بها مدافع
الدلائيين وسط الشوارع والساحات ، وبلغت أخبار الانقلاب الى السلطان
محمد الحاج الدلائى فجيش الجيوش وقصد سلا لكنه وجد الخضر غيلان قد
سبقه الى الميدان ، ومن حوله أعراب الغرب ، وكانت الدائرة على محمد الحاج ،
وبقى ابنه عبد الله محاصرا فى القصبة ثمانية عشر شهرا أظهر خلالها بطوثة
نادرة وجلدا كبيرا .

ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة الى دولة أوربية ؟

تقول بعض الروايات الاوربية ، ان عبد الله الدلائى لما طال عليه الحصار
فى القصبة ، وأيقن أن آباء لن ينجده ، لجأ الى الاوربيين ليمدوه بالميرة والذخيرة
ويساعدوه على فك الحصار . وتتضارب هذه الروايات ، فيزعم بعضها أن عبد
الله الدلائى طلب المعونة من حاكم سبتة الاسباني الماركيز ديلوص اركوص

(14) انظر الى الرسالتين التى بعث بهما دوقرييس الى الولايات العامة حول ثورة العدوتين فى :
دو كامبرى ، مصادر ثم تشر ، سلسلة البلاد الواطئة . 643-6 - 616

واقترح عليه أن يسلم قسبة سلا الى ملك اسبانيا فليب الرابع . مقابل أن يحمل فقط الى الجهة التي يريد النزول فيها من سواطي المغرب لكن اسبانيا التي كانت مرتبطة بحلف صداقة مع الخضر غيلان . أخبرته بهذا الاقتراح . وأشار عليها برفضه لما كان يعلم من حرج موقف خصمه (15) وتقول رواية أخرى أن عبد الله الدلائي أرسل الى حاكم طنجة الانجليزي الكونت ديطيفيو Le Comte de TEVIOT. Gouverneur à Tanger . يطلب منه الزاد والمعلولة وكان هذا الحاكم يخشى غيلان ويعرف رغبته في الاستيلاء على مدينة طنجة . لذلك رحب بمبعوثي الامير عبد الله الدلائي . وبعث اليه بسفينة محملة بالطعام والذخيرة الحربية . فمكنت هذه الاغاثة القسبة من أن تحمل الحصار عدة طويلة . ثم جاء أسطول الانجليزي بمدد آخر الى القسبة . فاقترح الامير عبد الله الدلائي على قائد هذا الاسطول أن يسلم اليه قسبة سلا مقابل ألف قنطار من مسحوق البارود . وألف بندقية (16) . على أن التعليمات السرية التي وردت على حاكم طنجة الكونت ديطيفيو من حكومته في 21 دجنبر 1663 (جمادى الاولى 1074) لم تشر الى هذا العرض المزعوم . وإنما طلبت منه أن يمتلك قسبة سلا حالة ما اذا طلب منه الدلائي ذلك مقابل شروط معقولة . وان يبالغ المجهود حتى لا يقع هذا الحصن في يد الخضر غيلان (17) . ويبدو أن كلتا الروايتين لا أساس لهما من الصحة . أما الاولى التي تقول بمدد الامير عبد الله الدلائي يمد الى الاسبانيين فان ذلك مناف للعداوة الصريحة القائمة بين الطرفين باستمرار . وما زلنا نذكر جهاد هذا الامير ضد الاسبانيين في العمورة . ومحالفته للدول الاوربية المعادية لاسبانيا . ك هولاندا . وانجلترا . وفرنسا . ولم يثبت أنه هادن الاسبانيين أو عاملهم بالتجارة أو غيرها فكيف يتصور أن يلجأ الامير الدلائي الى عدوه اللدود في أخرج الظروف يرجو منه العون والنصرة ؟ وفيما يتعلق بالمساعدة الانجليزية . يبدو من المعقول جدا أن يتوجه الامير الدلائي الى هذه الدولة التي تربطه بها معاهدة 19 غشت 1657 ولا سيما وقد كانت طنجة أقرب المراكز التي يمكن أن يستنجد بها . لكن مسألة تسليم القسبة الى الانجليز مقابل كمية من الذخيرة الحربية تنفصها العجة والبرهان . ولا يمكن الاعتماد على ما جاء في التعليمات السابقة التي وردت على الكونت ديطيفيو . لأنها إنما نتجت عن احتمال تقدم الدلائي باقتراح تسليم القسبة الى انجلترا لا عن وقوع ذلك بالفعل . هذا بالإضافة

15) « De Castries, Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Pays Bas, T.V.P. XXVII. »
16) « Mission Scientifique du Maroc, Villes et tribus, (Rabat et sa Région) T.I. P. 84 »
17) « Archives Marocaines, T. XVIII, P. 29. »

أن الأمير عبد الله الدلائى كان قد خرج من القصبة قبل ورود هذه التعاليمات نحو عامين ونصف إذ استطاع أن يفلت من الحصار المضروب عليه في شهر ربيع الأول 1071 / يونيو 1661 ويغادر الحصن خلسة إلى تامسنا على ظهر سفينة الجبزية (18) بعد أن أسند القيادة إلى أحمد الجنوى الذى تابع مقاومة الحصار إلى فصل الربيع من عام 1074 / 1664 . وكان الرئيس غيلان قد حل هذا الحصار الطويل ، فأرسل أخاه الطاهر فى ثلاثمائة فارس ليوقع اتفاقاً مع رؤساء مدن أبى رقراق الثلاث كى يقتسموا بالسوية جميع المداخل وفى 3 ماي 1664 قطعت القصبة كل علاقة مع الزاوية الدلائية ودخلت فى حماية غيلان وقد أقر أحمد الجنوى فى منصبه ثم سموه قنات (19) .

وهكذا ترك الدلائيون مكرهين مدن أبى رقراق بعد أن ظلوا فيها نحو ربع قرن ، كانوا فيه أصحاب الحكم المطلق والسلطان الذى لا يحد ، ونعموا بكثير من الشراء والجاه ، ورعبتهم الدول الأجنبية وخطبت ودهم عن طريق المعاهدات ، ولقوا نفس المصير المحزن الذى لقيه العياشى على يديهم ، فذاقوا ألم الحصار أعواماً ، وتركوا فى الميدان ألوف القتلى واكتفوا من الغنية بالآياب.

3 - القضاء على الزاوية الدلائية - تخريبها

(1) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوى

كان للشريف بن على جد الملوك العلويين الحاليين منزلة رفيعة ، وحظوة كبيرة عند السجلماسيين ، وكان له أولاد عديدون ، أكبرهم المولى محمد الذى نرقم بلاد تافيلالت ودرعة منذ منتصف القرن الحادى عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) بعد أن طرد منها أبا حسون السملالى ، وجرت بينه وبين الدلائيين من أجل تحديد مناطق النفوذ وقائع حربية عديدة سبقت الإشارة إليها . ولما توفي الشريف بن على (رمضان 1069 / يونيو 1659) خرج ابنه الرشيد من تافيلالت فآرا من أخيه السلطان محمد بن الشريف ، لمنافسة كانت بينهما . وظل الرشيد يتنقل فى جبال الأطلس الكبير والمتوسط إلى أن وصل إلى الزاوية الدلائية ، وأقام بها أياماً . وتقول بعض الأساطير أن أحمد الدلائيين أخبر الرشيد بأنهم عرفوا من بعض الأخباريين (20) أن إخلاء زاويتهم سيكون على يد سلطان يسمى الرشيد ، وطلب منه أن يغادر الدلاء عاجلاً مخافة أن يصيبه

(18) دوكربرى . مصادر لم تنشر . سلسلة البلاد الواطنة . ج 5 ص 27

(19) نفس المصدر والجزء . ص 28 . وأحمد الجنوى هذا لعلة من أبناء الامين سعيد الجنوى

الحاكم السابق لمدن سلا وخليفة الأمير عبد الله الدلائى
يراد بالأخباريين الكهان الذين يطلعون على أحداث المستقبل وينبئون بالقب



أقرب مثال لصورة السلطان الرشيد بن الشريف العلوي

من رؤسائهم بسبب ذلك . ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي حل فيها
 ربيع بن الشريف بالزواوية الدلائلية ، فقد سبق له أن أقام بها عدة يدرس
 علم أيام الطلب (21) وزارها مرة أخرى مع اخوته عندما سجن أبو حسون
 سلطان أباهم الشريف بن علي في سوس ، وكانوا يرغبون في وساطة الشيخ
 محمد بن أبي بكر الدلائي لاطلاق سراح والدهم الأسير .
 خرج الرشيد بن الشريف من الزواوية الدلائلية ، وصار إلى فاس وتازا
 وأبى به المطاف إلى حصن اليهودي الثرى ابن مشعل في أرض بني بركاس
 شمال غربي وجدة ، وقتله وأخذ أمواله وذخائره وفرقها فيما تبعه وانصاف
 له ، فتقوى بذلك عضده وتوافر جمعه وتماثل الركبان حديثه (22) وصار
 سلطان محمد بن الشريف إلى ملاقات أخيه الرشيد حين بلغه اجتماع قبائل
 المغرب الشرقي عليه ، وكان اللقاء بين لآخوين في بسيط انجاد (23) غربي
 وجدة ، ولم تكن تنشب المعركة حتى خر السلطان محمد بن الشريف ضرباً
 معرم 1075 / غشت 1664) وانضم جنده إلى أخيه الرشيد ، فتقوى أمره وتقدم
 إلى تازا فملكها بعد حروب عصبية ، وصفا له المغرب الشرقي كله ، وبأيعه
 أهله على السمع والطاعة . ثم قصد سجلماسة ، وكان قد تزعم أمرها ابن أخيه
 محمد الصغير ، فحاصرها سبعة أشهر إلى أن فتحها وأبسط نفوذه على شرق
 المغرب وجنوبه .

(ب) استيلاء الرشيد على فاس

لما علم الفاسيون نبأ ظهور الرشيد بن الشريف وانتشار نفوذه، عقدوا
 حفا مع جيرانهم الحيانية والبهاليل وغيرهم من القبائل العربية ، ليقتلوا في
 وجهه ويمنعوا عليه ، وأمر رؤساء فاس عامتها بشراء الخيل والعدة والاكثار
 بها ، ووظفوا على كل دار مكحلة (بتندقية) ومن لم توجد عنده مكحلة منهم
 على ، فاشتمروا من ذلك فوق الكفاية . . . (24) وحاول الفاسيون أن يفسروا
 سلطان الرشيد في تازا ويبادروه بالحرب قبل أن يتوجه اليهم ، لكنهم

(21) عبد الرزود التازي . نزعة الاخيار الرضيين . ورقة 7/ب

(22) محمد الصغير الافرائي . نزعة العادي . ج 1 . 301 - 302

(23) ذكر محمد الحجوي في رحلته الخطية . ص 78 بسيط انجاد فقال وهو سهل مشحون
 الجبل التسماني أعني جبل بني بركاس . والجبل الجنوبي وهو من جبل درن أعني جبل
 بني بركوكا والزكارة وبني يعلى وأبتداؤه غرباً من قصبة جولة سيجي شرقاً إلى وجدة
 شرقاً . وسكان هذا السهل عرب الشجع والمهايا وأهل انجاد أولاد أحمد بن إبراهيم
 والكل عرب رعالة أصحاب الغيام

(24) أحمد التامصري . الاستقصا . ج 7 . ص 33

كادوا يقابلون محاربه حتى انهزموا من غير قتال وطاردهم جند السلطان الى
نهر سبو خارج مدينة فاس . وقد قضى الرشيد عام 1065/1070 هـ
كله في حصار فاس وقتالها دون جدوى ولم يستطع الدخول اليها الا بعد
ان عقد اتفاقا سريا مع بعض اعيانها الذين مهدوا له السبيل ، وصلوا حصونه
واعتدوا عن المدينة ، في اخبار طويلة (25) هذا مجملها :

كان للرشيد وزيران يعتمد عليهما ، هما أخوه الحزان ، وابن أخيه احمد
بن محرز ، وقد نصحا به بأن يتخذ واسطة يكون بينه وبين أهل فاس ، ودلاء
عن احمد بن الشيخ عبد الرحمان الفاسي صاحب الزاوية التي بجي القلقين
كان له من الوجاهة عند قومه . فأرسل اليه الرشيد بعض خاصته سرا
ورعده ومناه . فقبل احمد الفاسي أن يقوم بالدعوة للعلويين ، واتفق مع طائفة
من اعيان المدينة الادريسية على التخلص من أحمد بن صالح المريني حاكم
المدينة من قبل الدلائيين . وبذلك اتجه السلطان الرشيد لحصار فاس الجديد
واستطاع بمساعدة بعض السكان أن يصعد على السور من جهة الملاح ويدخل
ال المدينة ويقبض على رئيسها أبي عبد الله الدريدي . واتفق ابن صالح مع
أهل فاس القديم على أن يسير هو الى السلطان محمد الحاج الدلائي لياتسئ
بحش من البربر يساعدهم على مدافعة خصمهم ، وخرج الحاكم الليريتي ليلا
في عشرة من الفرسان من باب الفتوح واتجه نحو خولان (26) في طريق صفرو
بلدحق منها بمدينة الدلاء . غير أن الرشيد الذي أشعر بذلك اعترض طريقه
في الفى فارس وقبض عليه في منتصف الليل ، ثم أصبح على أبواب المدينة
القديمه يعلن للفاسيين أسره للحاكم ويطلب منهم أن يبايعوه على أن يحسن
معاملتهم ، ويصفح عن اساءتهم . فلم يجند الفاسيون بدا من الاستسلام
والخروج الى السلطان الرشيد ، فبايعوه وقدموا له مراسم الولاء والطاعة .
بعد ذلك قتل ابن صالح شر قتلة في جماعة عن أتباعه وأصحابه . وانتهت
أموالهم وأمتعتهم ، وبيعت عقاراتهم وضمنت الى بيت المال ، بعد أن شهد نحو
20 من العلماء باستفراق ذمهم . وكافا السلطان الرشيد داعيته أحمد الفاسي
بأن صرف اليه فتوحات أبي الحسن بن حرزهم بعد أن انتزعها من يد القادريين
وكان للدلائيين بالقرب من فاس مركزان هامان ، أحدهما مدينة صفرو التي
بجوارها برابرة آيت موسى ، والثاني مدينة مكناس التي براض على أبوابها
برابرة آيت ولال . وقد هجم السلطان الرشيد أكثر من مرة على صفرو دون
جدوى ، وأمكنه أخيرا أن يستولى على مكناسة الزيتون وينتصر على الولائيين .

(25) ذكر هذه الاخبار مفصلة عبد السلام بن الخطاط القادى في التحفة القادرية . 1302 وما بعدها
بلاد خولان هي التي فيها حمة سيدي حوازم بضاحية فاس

د) معركة (بطن الرمان) - تخريب الزاوية الدلائية

في الوقت الذي توالى فيه انتصارات السلطان الرشيد بن الشريف العلوي كان أمر محمد الحاج الدلائي في ادبار ، فقد بلغ من الكبر عتيا وأصاب مرض السادة احدى عينيه وفقد أبنائه ما عدا عبد الله ، ولم يكن اخوته وبنوه من أبطال حرب وكفاح ، وانما كانوا رجال علم ودين ، فضعفت القيادة الحربية للدلائيين وان بقيت قبائل الاطلس الباسلة وفيه لهم . وماذا يا ترى يستطيع رجل بلغ الثمانين من عمره أو قاربها أن يعمل في الميدان ؟ وماذا يمكنه أن يصنع في ترتيب الجيوش وتجهيزها وقيادتها ؟ الحقيقة ان كل شيء كان خلال عام 1608/1608 ينذر بقرب حلول الكارثة بالزاوية الدلائية . فبعد أن انتزع الخضر غيلان المناطق الشمالية وبلاد الغرب من يد الدلائيين ، جاء السلطان الرشيد واستولى على المغرب الشرقي ومدينتي فاس ومكناس . وعبنا حاول محمد الحاج أن يقاوم هذا التيار الجارف ، فخرج على رأس جنده من البربر ليقصد خصمه الرشيد في سهول سايس ، والتقى الجمعان على ضفة نهر بومزورة أحد روافد وادي فاس «فتقاتلا قتالا خفيفا نحو ثلاثة أيام ثم رجع محمد الحاج الى الدلاء» (27) .

تجلى للسلطان الرشيد في هذه المناوشات ضعف الدلائيين وعجزهم ، فخرج اليهم في جموع كبيرة ، ولم يعترض طريقه أحد حتى أشرف على الزاوية الدلائية ولم يعد يفصل بينه وبينها الا نحو 25 كلم . فوجد الدلائيين مجتمعين على حربة في سهل (بطن الرمان) (28) بقيادة أحد أبناء محمد الحاج (29) .

لما دارت المعركة الفاصلة بين الدلائيين والعلويين في الايام الاولى من عام

(27) محمد القادري ، نشر الثاني الكبير ، ورقة 124/ب

(28) يختلف الزاوية الدلائية موضعان يحمل كل منهما اسم الرمان ، ففي شمال الزاوية الدلائية بطريق خيفرة يقع السهل الذي تسميه قبائل زيان (بورمان) وهو الذي نرجح ان المعركة دارت فيه ، لوقوعه على الطريق الطبيعية التي يمكن أن يسلكها الرشيد من فاس الى الزاوية الدلائية . ويوجد بجنوب مدينة الدلاء في طريق قسبة تادلة مكان يسمى (بطن الرمان) تقوم فيه اليوم قرية زاوية الشيخ . ويبعد أن يكون جيش العلويين قد سلك طريق الغرب التي تبلغ مسافتها ضعف مسافة الطريق الاولى . لاسيما وان بلاد الغرب وتامسنا وتادلا لم تكن قد دخلت بعد في طاعة السلطان الرشيد ولا يمكن أن نفسر هذا اختلاط الاسمين على بعض المؤرخين لان الامام اليوسى وهو البربري الذي لا تخفى عليه مواقع بيته ولا تلتبس عليه أسماؤها قد عبر في **الحاضرات** عن ميدان المعركة ببطن الرمان ، ومنه نقل ذلك سائر المؤرخين . فلم يبق الا أن نقترح أن (بورمان) كان يسمى ماذاك ببطن الرمان ، أو أن اليوسى تصرف قليلا وأدخل كلمة (بورمان) في قالب عربي لم يبق حيا من أبناء محمد الحاج في هذا التاريخ الا عبد الله . بينما تعبر جل المصادر عن قائد معركة بطن الرمان بأنه أحد أبناء محمد الحاج . الا أبا القاسم الزياتي فإنه قال في الترجيحان . (ص 373) «فلما محلة أهل الدلاء مع ولده محمد الحاج وهو عبد الله

1668/1070 ولم يصمد البربر الا قليلا ثم تراجعوا مهزومين ، فتبعهم الرشيد الى أن نزل على أبواب مدينة الدلاء . ويصف لنا أبو علي اليوسى عن مساعدة هذه الفترة العصبية من حياة الزاوية الدلائية المحتضرة ويذكر حال السلطان محمد الحاج بقوله : «...فدخلنا عليه وكان لم يحضر المعركة لعجزه من كبر سنه ، فاذا بالفعل يدخلون ، فدخل عليه أولاده (30) وأخوته ، وأظهروا جزعا شديدا وضيقا عظيما ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم : ما هذا ؟ ان قال لكم حسبكم فحسبكم ، يعنى الله تعالى . وهذا كلام عجيب ، واليه يساق الحديث . والمعنى ان قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين » (31)

ثم خرج محمد الحاج لملاقاة السلطان الرشيد وسأله عما يريد فأجابته الرشيد بأنه يريد الملك . فقال محمد الحاج : (هو الآن فى محله) وبأيعه ودفع له بعض المال . وقد مكث الرشيد فى الدلاء شهرا ونصف شهر (8 محرم - 22 صفر 1079/17 يونيو - 30 يوليو 1668) واستولى على ما كان فى عاصمة الدلايين من مال وذخيرة وخيل وسلاح ، وأخذ ما فى الخزائن من الكتب والوثائق ، وما فى الحظائر من الماشية والدواب ، ولم يترك للدلايين الا ما لاغنى لهم عنه وأمرهم بالرحيل الى فاس ثم أعمل المعاول والفؤوس فى مباني المدينة ، وهدم ما استطاع أن يهدمه منها وتركها خرابا موحشة . ثم صعد الى الزاوية الدلائية القديمة وفعل بها ما فعل بالزاوية الحديثة وكانت مبانيها أقل منانة وصلابة فهدمها كلها وطمس معالمها ، وتركها قاعا صقفا كان لم تكن بالأمس ، ولم يترك منها الا القبتين المشيدتين على ضريح الشيخ أبى بكر الدلائي وابنه محمد فى جوف المسجد .

(30) لم يبق لمحمد الحاج من الأولاد فى هذا التاريخ الا عبد الله . ولعل اليوسى يقصد بالأولاد ما يشمل الاخفاء ايضا
(31) الحسن اليوسى . المحاضرات . ص 86 - 87

الباب السابع

أثر الدلائيين في خارج زاويتهم

١ - خروج الدلائيين الى فاس

- (أ) تغريب الدلائيين الى تلمسان
- (ب) ثورة أحمد الدلائي على السلطان اسماعيل

٢ - العلماء الدلائيون في فاس ومكناس

- (أ) محمد المستنوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس
- (ب) تلاميذ الدلائيين في فاس

٣ - الكتب التي ألفها الدلائيون

- (أ) جدول مؤلفات الدلائيين
- (ب) جدول الكتب التي ألفت في الدلائيين

٤ - بقايا البيت الدلائي

- (أ) مساكن قبيلة معطاط اليوم
- (ب) أحفاد الدلائيين في فاس والدار البيضاء والرباط

١ - خروج الدلائين الى فاس *

لما استولى السلطان الرشيد على الزاوية الدلائية ، أخرج منها جميع من كان فيها من السكان وأجلاهم عنها . فرجع العلماء والطلبة والتجار الى مسقط رؤوسهم ، وتفرقوا في جبال الاطلس وعلى ضفاف ملوية ، أو في بلاد تادلا وضواحي مراکش . وتوجه الدلائيون ، ومعهم الامام اليوسى ، بأمر من السلطان الرشيد الى فاس ، ولم يحدد لهم مكانا معيناً يقيمون فيه بهذه المدينة . فسكنوا حيث أمكنهم السكن ، واختلطوا بعامّة الناس ، وكان لهم كثير من الاصدقاء والاصهار من بين الميونات الكبيرة في فاس . مثل القادريين والطاهريين وغيرهم . وقد أقرهم السلطان الرشيد في منازلهم التي اختاروها بعد رجوعه من مراکش . ثم بدا له في شهر رمضان من نفس السنة (1079) أن يخرج طائفة من الدلائين الى ضريح أبي الحسن بن حرزهم (حرازم) بظاهر فاس ، حيث بقوا هناك الى آخر السنة . فعفا عنهم وسمح لهم بالدخول الى المدينة (1) ماعدا محمد الحاج وبنيه فإنه أمرهم بمفادرة المغرب والالتحاق ببلاد الجزائر .

٢ - تقريب الدلائين الى تلمسان

خرج محمد الحاج وعشيرته الأقربون الى تلمسان في مستهل عام 1080/1080 ونزلوا بحرم العباد الذي فيه ضريح الشيخ أبي مدين الفوت . وهناك أسطورة تقول أن محمد الحاج اغتم كثيرا عندما وجد نفسه خاملا مهلا لم يعبا به أحد من التلمسانيين . كأنه لم يكن الى زمن قريب سلطانا نافذا الأمر عزيز الجانب . فقال لبعض ذويه : «كنت وجدت في بعض كتب الحدائق أني أدخل تلمسان . فظننت أني أدخلها دخول الملوك ، فدخلتها كما ترون» (2) وكانت مدينة تلمسان خاضعة اذذاك للأنراك العثمانيين الذين تربطهم بالدلائين أواصر الود والصداقة . وقد رأينا في الباب السادس بعض جوانب

* يشتمل هذا الباب على استطرادات موجزة خارجة عن نطاق عصر الزاوية الدلائية . لكنها ضرورية للإلمام بالتطورات الطارئة على أبناء هذه الزاوية حتى نغوصنا الحاضر (1) ذكر أحمد الناصري في الاستقصا ، 39:7 أن السلطان الرشيد بعد إخراج الدلائين الى ضريح الشيخ ابن حرزهم «فعفا عن الجميع ورددهم الى بلادهم الا ... وهذا سبق فلم لأنه لم يسمح لأحد من الدلائين بالرجوع الى بلادهم خصوصا أيام الرشيد . وربما وقع اليأس بقصة آل زاوية آيت عباس . فهم الذين خرجوا الرشيد الى فاس . ثم أذن لهم المؤيد إسماعيل بالرجوع الى ديارهم على أثر توليه الملك . على أن محمد والقادريين ممن صدر نشر الثاني الكبير . ورقة 127/ب على أن الرشيد سماح الدلائين في ...»

التقارب الدلائى التركى . ولا سيما فى ميدان التبادل التجارى . والتعاون فى
العباد البحرى ضد المسيحيين . فكان ميناء مديلا مفتوحا باستمرار فى وجه
واحدة الجزائر العاملين فى المحيط الاطلسى . يأخذون منه الثروة والذخيرة .
ويحملون اليه غنائمهم للبيع . أو يلجئون اليه من عواصف المحيط البسوج
أو من غارات الاعداء ومطاردتهم . كما كانت موانئ الجزائر كثيرا ما تستقبل
السفن التجارية للاخير عبد الله الدلائى . ومراكيب المجاهدين السلوبيين
والتطوانيين . وزاد فى التقارب بين الدلائيين وأتراك الجزائر . اتفاقهم فى
خصومة العلويين وخصمتهم العدا . فمنذ طلوع محمد بن الشريف من
تافيلالت الى المغرب الشرقى فى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى . وجموعه
على تلمسان وتوغلة فى بلاد الجزائر . والعثمانيون يعانون خسروب المحن
وصوف المتاعب من جراء تصرد الجزائريين عليهم . بما أذكاه فيهم السلطان
العلوى من روح الثورة والمقاومة . فكان الاتراك يتميزون عيظا على محمد بن
الشريف ولا يستطيعون محاربتة لا بغاله فى الصحراء . ثم جاء الرشيد بن
الشريف فركز نفوذه أولا فى بنى يزناس وبسيط أنكاد ووجدة . وتضايق
العثمانيون من اجتماع قبائل الحدود عذية والتفافها حوله . وسيمتد الخلاف
بين العثمانيين والعلويين الى أيام السلطان اسماعيل ليتطور الى معارك
طاحنة .

عكذا يبدو أن الظروف كانت مواتية بعض الشيء للدلائيين فى منافعهم
بتلمسان ولو أنهم فارقوا الأهل والوطن . وتركوا التفوذ والصولة . وتجردوا
من الثروة والجاه فانهم وجدوا فى ولاية الامر بالجزائر أصدقاء يواسونهم
ويعرفون بمجدهم القديم . لكن سوء الطالع وعشر الجد لاحقا الدلائيين حتى
فى بلاد الغربية . فعاملهم التلمسانيون بما يعاملون به حكامهم الاتراك من
النفرة والجفاء . وعدوهم خصوصا عملا بقاعدة (صديق العدو عدو) . وطالما
لعرس الدلائيين فى السنوات الخمس التى قضاها بتلمسان الى تهجمات
السكان واذاؤهم . فبالإضافة الى أنواع المضايقات والاهانات . لم يشورع
التلمسانيون عن سلب كل ما وصلت اليه أيديهم من مال الدلائيين ومنافعهم .
بل وقتل من تمكنوا من سبك دمه منهم . وقد توفى محمد الحاج الدلائى بعد
سنتين من مجيئه الى تلمسان (4 محرم 1082/14 ماي 1071) فدفنه ولده عبد
الله فى العباد بالقرب من ضريح الامام السنوسى . ثم توجه الى الحجاز لاداء
فريضة الحج . وبقي فى بلاد الشرق العربى نحو عامين ولعله كان يبحث
خلالها عن مكان ملائم يمكن أن يستقل اليه بأهله . فى مصر أو غيرها من
الأقطار الاسلامية . ولا عبرة بما يدعيه بعض المؤرخين الاوربيين من خروج

عبد الله الدلائي بأهله وذخائر أسرته إلى مصر عند استيلاء السلطان الرشيد على الزاوية الدلائية وإقامته هناك إلى أن أدركته الوفاة ، فإن ذلك محض فراض تنقصه الحجة والبرهان ، وبجافية الرأي والمنطق ، بل تنقصه الوثائق الصحيحة ، واجتماع المؤرخين المغاربة . فقد عرفنا في الباب السابق أن السلطان الرشيد العلوي حينما تصدى لحرب الدلائيين لم يهملهم ولو فترة قصيرة . فبعد أن تغلب عليهم في بطن الرومان طاردهم إلى مدينة الدلاء ، وأخرجهم منها على التو إلى فاس بعد أن استولى على جميع ذخائرم ، من مال وسلاح ومأشوية وغير ذلك . فكيف باترى يمكن لعبد الله الدلائي أن يخترق الحصار ، بعد الانحزام والانكسار ، أو يفلت بالذخائر من أيدي جند الرشيد الذين كانوا يتطلعون إلى الاستحواذ على ما للدلائيين من سلاح وكراع ! اللهم إلا أن نفترض وقوع ذلك قبل مجي الرشيد ! وهذا يعني أن الدلائيين كانوا قد بلغوا درجة الانهيار واليأس ، الأمر الذي يتنافى وخروجهم في تجمع عظيم لملاقاة خصمهم على مسافة 25 كلم من الزاوية . وما كان أحراهم - لو صح هذا الافتراض - أن يخرجوا جميعا وفي مقدمتهم الشيخ الهرم محمد الحاج ، إذ لا عقل أن يفر بطل الأسرة الشاب عبد الله تاركا وراءه أباه العاجز وحريمه عرضة لهجوم الخصوم .

على أن جميع المؤرخين المغاربة الذين تعرضوا لذكر أخبار الدلائيين لم يسيروا إلى هذا الفرار المزعوم . بل على العكس من ذلك نرى من أهم منهم إسماعيل هذا الحادث التاريخي ينص على أن عبد الله الدلائي كان لا يزال في الزاوية الدلائية عند استيلاء الرشيد عليها « وخرج فيمن خرج من الزاوية مع والده عند تخريبها وسار معه إلى تلمسان » (3) .

وهناك وثيقة تاريخية عامة تؤيد وجود عيال عبد الله الدلائي في تلمسان خلال عام 1074/1085 ، وتنص على أنه رجع في هذه السنة من المشرق إلى عاصمة الجزائر حيث بقي ينتظر اخلاء الثورة القائمة في تلمسان ليتحقق أهله في هذه المدينة . ورد ذلك في الرسالة التي بعث بها أحمد بن عبد الله الدلائي إلى السلطان اسماعيل بن الشريف معتذرا عن تخلفه بتلمسان . بعد أن رجع أهله إلى فاس : « ...الاعلام لسيدنا بعذري عن التخلف . فليعلم مولانا السلطان نصره الله أن موجبه مامعي من عيال أبي فكرحت أن أفتلت عليه وهو غائب ، فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر . ولما خرج برسم الوصول إلى

العباد حرم القطب الغوث أبي مدين نفع الله به ، وجد هذه الفتنة بين يديه
وأخر حتى يسكن هرجها ، ويخمد وعجها ... (4)
وكانت الفتنة التي تحدث عنها أحمد الدلائي عظيمة في تلمسان ، كما
كان أحمادها والقضاء عليها من طرف الاتراك أعظم وأشد . وقد سلم الدلائيون
منها إذ عاد أكثرهم إلى فاس قبيل نشوب الثورة باذن من السلطان اسماعيل
(جادي الأولى 1085/سنتبر 1074) وأوصى عبد الله الدلائي في الجزائر
فاد الحملة التأديبية التركية التي توجهت إلى تلمسان ، وطلب منه أن يجنب
حدوده مساكن أهله في حرم العباد . وجاء عبد الله الدلائي فعلا إلى تلمسان
بعد سكون البيعة ، ومكث فيها إلى أن توفي أواخر عام 1086/1076 ودفن
بجوار والده محمد الحاج بالعباد ، ورثاه ابنه أحمد بقصيدة بليغة مؤثرة
تشمل على 52 بيتا ، جاء في مطلعها :

الأهل غنى مثلي كئيب أراسله وأسكوله قبا دعت به بلائله
بطارحني أحزانه وهمومه يسائلني عن معتنى وأسائله (5)

ب) ثورة أحمد الدلائي على السلطان اسماعيل

أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي شخصية فذة تمثل آخر أبطال
الدلا، وفرسانها الشجعان . بدت كفاهت الحربية في وقت مبكر من عمره ، وولاه
جده محمد الحاج أمر فاس ، وهو ما يزال حدثا في مستقبل العصر كما سبق ،
لزم بعض الرواة أنه هو الذي قاد الدلائيين في معركة بطن الرمان ، وسبق
أخيه إلى تلمسان فمهد لهم السبيل وحيا المقام . وليست الغرابة في شخصية
أحمد الدلائي آتية من بطولته المبكرة ، وتفوقه في التدبير والحرب ، أو من
غلبه الجرم وأدبه الرفيع ، فقد سبقه إلى هذه ليادين أبوه وجده وكثير من بني
عه . وإنما الغرابة في أن أحمد الدلائي كان في نفس الوقت بطلا مغوارا وعالما
كبيرا وأديبا ممتازا ، لا أعالي إذا قلت أنه أشجع الدلائيين وأشعرهم على
الطلاق . والمرء قد يمتاز في إحدى الناحيتين الأدبية أو العسكرية ، وقد
يشارك فيهما معا ويكون عاديا في الأمرين ، أو يتغلب عليه أحد الاتجاهين على
مساب الآخر . أما أن يبرز تميزا تاما في الميدانين ، ويجمع عن جدارة بين
الحسين . فذلك ما لا يوجد به الدهر إلا نادرا ولا تجده إلا عند أبي فراس
العمداني وأحمد الدلائي . وأديبنا البطل المغربي جدير بأن تتناول آثاره

11 انظر نص الرسالة في ملحق رقم 10
12 انظر نص القصيدة عند سليمان الحوات . البدور الضاوية . ورقة 206/ب - 1/407

بالدرس والتحليل أقلام الباحثين ، وسيجدون في (تلمساتياته) ما يضاهي (الروميات) .

وقد تخلف أحمد الدلائي في تلمسان ، ولم يعد مع الدلائيين الذين دخلوا إلى فاس متعللا بالقيام على شؤون عيال أبيه عبد الله الخليل في الشرق . ولما كثرت الاقاويل في شأنه وبدأت الشائعات تتحدث عن الثورة ، خاف أحمد على أهله المقيمين في فاس أن يلحقهم أذى بسبب ذلك ، فكتب إلى السلطان اسماعيل يطريه ويطمئنه ، ويبين له الاعذار التي عافته عن الالتحاق بالمغرب . وقد أكدت الأحداث أن أحمد الدلائي لم يكن صادقا في اعتذاره ولم يقصد من الرسالة التي وجهها إلى السلطان سوى كسب الوقت اللازم لتدبير شؤون الثورة وتنظيمها بمساعدة أتراك الجزائر . وانحد أحمد الدلائي من خروج السلطان اسماعيل من العاصمة واشتغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز (6) في مراكش فرصة لإشعال نار الثورة . فدخل إلى المغرب في أوائل عام 1677/1688 وقصد الدلاء ؛ وهناك التف حوله جماعة الاطلس المتوسط وملكوا بلاد تادلا بعد أن عزموا المخازنية ومن معهم من الاعراب المناصرين للدلايين . ولما علم السلطان اسماعيل بخبر الثورة بعث بجيش يتألف من ثلاثة آلاف فارس تحت امره القائد يخلف . لكن أحمد الدلائي سرعان ما قضى على هذا القائد وكثير من جنده ونهب محلاته وخيله . ثم بعث السلطان بفرقة أخرى من الجند لقيت نفس المصير . «وشن البربر الغارات بعد ذلك على من جاورهم من القبائل إلى سايس ، ووقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش فاس والبربر ، مات فيها من كبراء الجيش عدد كبير ، ولجؤوا إلى مدينة مكناس . وحدث الخوف بأحوازها» (7) وقد احتفى الدلائيون وأنصارهم في فاس محتمين بحرم المولى ادريس وسيدى أحمد الشاوي ، وبعث الامام اليوسي إلى أحمد الدلائي يلومه ويستعطفه ، بقطعة شعرية جاء فيها :

أبا العباس كنت المرتجى في تلاف في تجاف وارتياف
وكنت أحال أن الود كاس شرباه على الانصاف صاف ..
ورأى السلطان اسماعيل أن الأمر قد لا تنفع معه الكتاب والسرايا .
فأخذ يستعد لمنازلة خصمه العنيد بنفسه ، وأرسل إلى جميع الاقاليم يطلب

10 أحمد بن محرز بن الشريف كان وزيرا لعمه السلطان الرشيد . وبايعه المراكشيون والصوسيون بعد وفاة الرشيد . ثم دخلت فاس وكثير من قبائل المغرب في طاعته . وجرت بينه وبين عمه السلطان اسماعيل معارك كثيرة . وأخيرا حاصره السلطان في مراكش نحو سنتين ونصف إلى أن قتل غدرا في منتصف عام 1677/1688 . وحمله عبيده وأنصاره إلى تارودانت حيث دفن . انظر تفاصيل أخبار ابن محرز في : عبد السلام القادري ، التحفة القادرية ، ص 332 وما بعدها . سليمان الخوات ، البيور الضاوية ، ورقة 215 ب

المساعدة بالجند والسلاح وخرج الرعاة من فاس وغيرها بعد أن استعدوا استعدادا كبيرا ، والتحقوا بالسلطان في مراكش . ودام تجهيز هذه الحملة العظيمة نحو ستة أشهر ، ثم زحف السلطان اسماعيل الى البربر في 5 صفر 1078/30 مارس 1678 . ولم يكد يقطع وادي العبيد حتى وجد جيش أحمد الدلائي في انتظاره « فكانت الحرب بينهما سجالا . وأظهر كل فريق قوته وما هو له مريد ووقعت حروب بين الفريقين لم يسمع بمثلا في المغرب . ولا خبر بها من ورخ (كذا) من أمره كل أمر عجيب ... » (8) وانتصر أخيرا السلطان اسماعيل بعد أن سقط في ميدان القتال عدد كبير من الجانبين . ومات عن رعاة فاس أربع مائة ، وبلغ مجموع القتلى من البربر ثلاثة آلاف . أمر السلطان اسماعيل أن تقطع رؤوس سبع مائة منهم ، وبعث بها الى فاس مع قائد هذه المدينة عبد الله بن حمدون الروسي . وكان يوما مشهودا في العاصمة الأدرسية كومت فيه رؤوس الثوار ، وأطلقت المدافع ، وزينت الأسواق . وفرح الناس بانتهاء الفتنة . أما أحمد الدلائي فانه التجأ الى جبال آيت يسرى الواقعة في الأطلس المتوسط ، « وبقي بين ظهرائهم . وكلمتهم بيده . وأمره نافذ فيهم نحو من عام وخمسة أشهر وأيام » (9) الى أن توفي يوم الخميس 10 محرم 1091/23 فبراير 1680 . وتنضرب الروايات في سبب موته ، فيزعم البعض أنه أصيب بالوباء الذي كان منتشرًا في تلك الأيام بينما يقول آخرون انه اغتيل بأمر من السلطان اسماعيل ، دس له السم ابن بركة كبير آيت بوز وابن راحة كبير آيت مقداد في جبال هسكورة .

2 - العلماء الدلائيون في فاس ومكناس

ما كاد العلماء الدلائيون يستقر بهم المقام في فاس . بعد إخلاء زوايتهم ، حتى حنوا الى المناظر من جديد وأخذوا يشتغلون بالتدريس كما كانوا يفعلون في الدلاء . وانتشروا في مساجد المدينة الأدرسية ومدارسها يعقدون المجالس العلمية ، ويفيدون الطلبة الذين أقبلوا عليهم اقبالا عظيما . وكان عدد العلماء الدلائيين الذين تصدروا للتدريس في بادئ الأمر يربو على عشرة . بينهم المحدثون والفقهاء والمفويون والنحاة والأدباء ، وفيهم المشاركون في كثير من هذه الفنون كمحمد الم رابط الدلائي ، ومحمد الصادق الدلائي ، والحسن

أحمد بن الحاج ، الدرر المنتخب المستحسن ، ج 6 ، ورقة 1/43 .
 عثمان الحوات ، الدور الضاوية ، ورقة 1/216 .

اليوسى (10) . واشتغل بتدريس الادب وفوائد اللغة في فاس من العلماء
الدلائيين أحمد بن المسناوى . ومحمد بن أبى عمر . وأحمد بن الساذلى ومحمد
بن عبد الله بن محمد الحاج وكليم بن أحمد الشيخ محمد بن أبى بكر
الدلائى . كما توجهت طائفة أخرى من اعلام الدلائيين الى مكناسة الريحون
واسقطونها طيلة حياتهم . منهم الشيخ عبد السلام بن الساذلى الذى تولى
الامامة والخطابة بجامعة الاعظم والتصب للتدريس والافتاء فيها . وتخرج على
يده جماعة من علماء العاصمة الاسماعيلية لم ينصح المؤرخون عن اسمائهم .
الى ان توفى بالطاعون عام 1090/1679 فخلفه فى الامامة والخطابة بجامعة
مكناس الاعظم أخوه الطيب بن الساذلى . وكان قبله عالما كبيرا وزاهدا عابدا .
اشتغل كذلك بالتدريس والافتاء فى النوازل الفقهية . وكان المعتد فى هذا
البدان الى أن أذركته الوفاة عام 1107/1095 .

وقد عانى العلماء الدلائيون فى فاس ألم الغربة أولا . ووقع التضييق
عليهم فى الحرم التى لجؤوا اليها طيلة عهد ائمة أحمد الدلائى . لكن ذلك كان
أحر محنة أصابتهم فى فاس ذاقوا بعدها حلاوة العيشة الحرة التى لا قيود
فيها ولا حصار وانسجموا مع الفاسيين . وهذا لا يعنى أن العلماء الدلائيين قد
انحطت قيمتهم العلمية أو هبط جناحهم . بل كان لهم مزيد من الخطوة
والشفوف منذ الايام الاولى التى وضعت اقدامهم ارض فاس حتى ان السلطان
الرشيد كان يوليهم كثيرا من الاجلال والتقدير ويحضر بنفسه المجالس
العلمية التى كان يعقدها الحسن اليوسى فى القرويين . ويجالس فى قصره
اليوسى ومحمد الم رابط الدلائى ويتحدث اليهما فى غير كلفة ولا احتراس .
وما زلنا نذكر دخول اليوسى يوما وهو مريض على السلطان الرشيد الذى
ضحك من تناول اليوسى شراب الريحان . ونصحه بأخذ سويق الشعير الذى
هو دواء أبناء البادية . وأنشد السلطان الرشيد يوما معرضا بمحمد الم رابط
الدلائى الحاضر فى المجلس هذا البيت :

ومن تكد الدنيا على الحر أن يرى عذوا له ما من صداقته به
فقال الم رابط : « يا أمير المؤمنين ان من حسن حظ المرء أن يكون خصمه عاقلا »
فاستحسن الرشيد والحاضرون بداهته وحسن اجابته .

(10) عثرت الامام اليوسى فى جملة الدلائيين - وأن لم يكن منهم - الم رابط صغيرا يتقرب منه
وهو مقامه فى الراوية الدلائية كصداقته واستلذا . وتزوجته وانجابه الاولاد فيها .
والمقاربة الجبرية الصنهاجية التى تربط بين اليوسيين والمعاين . حتى أن السلطان
الرشيد عامله - من بين سائر العلماء الغرباء فى الدلاء - بما عامل به الدلائيين
أنصهم ورحله معهم الى فاس

وقد سلك السلطان اسماعيل مع العلماء الدلائيين نفس الخطة التي سلكها معهم أخوه الرشيد من قبل ، فأحاطهم بمظاهر الاجلال والاحترام ، وولى منهم الشيخ محمد المراتب الخطابة بالمدرسة المتوكلية (11) وصى أهم المدارس بفاس . ثم أسند هذا المنصب الديني الهام بعد وفاة المراتب الى أخيه محمد الساذلي الذي بقى يخطب ويدرس في المدرسة العنانية أعواماً عديدة . وخلفه بها بعد موته محمد بن عبد الرحمن الدلائي الذي عمده المؤرخون آخر خطباء المغرب ، لانه بالاضافة الى غزارة علمه وجمال خلقته وأناقته بزمه ، كان صنيته نصيحاً جهورى الصوت حلوه . وله تأليف في الخطب لم يؤلف مثله ، وجميع الخطباء عيال عليه (12) . ثم نقل السلطان اسماعيل محمد بن عبد الرحمن الدلائي للخطابة في مسجد الشرفاء الذي هو ضريح المولى ادريس الثاني ، وكان الناس يقصدون هذا المسجد من كل أنحاء المدينة ويزدحمون للانصات الى هذا الخطيب المغموم . وتأثر المؤرخ محمد بن الطيب القادري في صغره بأحدى هذه الخطب ، وقال في ترجمة ابن عبد الرحمن الدلائي : «... ولم أدرك القراءة عليه ، لكن رأيته مرة واحدة في صغري يخطب على منبر جامع الشرفاء ، وصوته يسمع في نواحي المسجد ، اذ كان صنيته جداً » (13) .

وقد تطور مركز الدلائيين في فاس بسرعة ، ولم يعد أعلامهم بضاحون العلماء الفاسيين فحسب ، بل بذوهم وغبروا في وجوههم . «واحتلوا الصدارة من الارستوقراطية الدينية والفكرية في فاس» (14) اذ تكونت طبقة جديدة من العلماء الدلائيين وولدوا في فاس ونشئوا بها ، فكانت صلتهم بالمدينة أقوى وأقرب من صلة آبائهم ، وسلمت عقولهم من التفكير في الغربة ، وأفندتهم من الحنين الى الزاوية المتهدمة ، الا ذكريات عابرة غير ذات أثر . وتم بذلك انحصار الدلائيين وامتزاجهم التام بالفاسيين . ومن أشهر هذه الطبقة من الدلائيين محمد بن أحمد بن الساذلي الذي كان اماماً في اللغة والادب ، مبرزاً في العروض والقوافي منفرداً بهذا الفن في فاس ، وعنه أخذ كل من تعاطى الاوزان الشعرية في العاصمة العلمية في عصره . وقد بدأ شرح رائية الامام اليوسى في رتاء الزاوية الدلائية لكنه توفي قبل اتمامه ، عام 1137/1724 - 1725 . فأكماله ابن عمه القاضي محمد البكري الدلائي الذي كان اماماً خطيباً في ضريح المولى ادريس ، مدرسا بجامع القرويين ، متولياً القضاء والقضا في

(11) المدرسة المتوكلية هي المدرسة العنانية المشهورة بحي الطالعة بفاس

(12) سليمان الحوات ، الدور الضاوية ، ورقة 248/ب

(13) محمد بن الطيب القادري ، نشر الثاني ، 217:2

(14) LEVI PROVENÇAL, LES HISTORIENS DES CHORFAS, p. 300.

فاس ، وألف في النوازل الفقهية وفي الأدب ، وكانت وفاته عام 1174/1771 .
ثم تولى قضاء فاس من بعده ابنه أحمد البكري ، وكان مثله فقيها أدبيا ، يعني
بأيام العرب وأشعارها وحكمها وأمثالها ، ويحفظ من ذلك قدرا كثيرا ، مع
معرفة بالتاريخ والحساب ... (15) واستمدعاه السلطان محمد بن عبد الله
ليعلم ابنه عبد السلام في تارودانت ، وسماه قاصيا في هذه المدينة ، فاشتغل
بالتدريس والخطابة في مسجدتها الأعظم ، واستفاد عنه كثير من طلبة الاعتقاد
الموسمية إلى أن توفي هناك عام 1198/1784 .

واتصلت حلقات العلماء الدلائين في فاس إلى النصف الأخير من القرن
الماضي . ونجد الشيخ محمد المكي الدلائي الذي عاش إلى عام 1241/1825 -
1826 يعتبر امام المعقول والمنقول في فاس . صاحب الشيخ أحمد التجاني وأخذ
عنه الطريقة ولازمه طيلة حياته إلى أن بلغ على يده درجة عالية من الصفاء
الروحي . وقد كتب السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله (1206 - 1238/
1792 - 1822) ظهيرا بتوقيع هذا العالم الدلائي ، بعث به إلى كاتبه في فاس
أحمد الرفاعي ، وإلى القاضي العباس بن سودة يقول لهما : ... فنامر كما أن
نقر (كذا) الفقيه العلامة سيدي المكي الدلائي في مسجده الكائن بحومة زقاق
الرواح على حاله من الإمامة والتدريس لحفضه (كذا) لكتاب الله العزيز
واعنائه (كذا) بمجالس الدرس وعلى ما يجده من ظواهر أسلافنا الكرام وغيرهم
المتضمنة لتوقيعهم واحترامهم فعلينا الاقتداء بمن مضى والإحذ بما خذهم كما
تلقوا ذلك بالقبول والرضى وعلى هذا يكون عملكما والله يعينكما والسلام .
وفي ثالث صفر الخير عام إحدى (كذا) وعشرين ومائتين وألف (16) وقد
ألف في ترجمة الشيخ محمد المكي الدلائي ابنه محمد كتابا سماه : **بقية الراثي**
بالتعريف بالشيخ أبي عبد الله سيدي المكي الدلائي . ومن حديث بشي من
التفصيل عن أهم شخصية دلائية برزت في فاس ، وهي شخصية الامام محمد
المسناوي الذي انتهت إليه رئاسة العلماء في فاس دون منازع ، وأصبحت له
السيادة المطلقة في التدريس والافتاء والتأليف .

محمد المسناوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس

أبو عبد الله محمد المسناوي بن أحمد بن محمد المسناوي بن الشيخ
محمد بن أبي بكر الدلائي . ولد في الدلاء عام 1072/61 - 1062 وجاء به والده
إلى فاس بعد تخريب الزاوية الدلائية وهو ابن سبع سنين فدرس على علماء

(15) سليمان الحرات . الدور الضاوية . ورقة 1/40

(16) محمد بن المكي الدلائي . بقية الراثي . ورقة 4/4

أسرته وغيرهم من القادرين والفاسيين . كما أخذ عن الإمامين الحسن البصري
وعبد الملك التميمي ، وبقي ينهل من معين العلم ويعمل إلى أن يخرج عالما
كبارا . . . وقد أعطى ملكة التدريس والفتيا ، وسلم له أعيال عصره مرتسما
عليها . وانفرد برئاسة العلم في وقته وعصره . كان المرجع في معضلات
الساكن سواء من طرف السلطان المولى اسماعيل أو من طرف علماء الوقت (17) .
وامتاز محمد المسناوي زيادة على علمه الواسع بجمال الخلقة وحسن
الاستعداد وكثرة الوقار . فكان لباسه بالغ الحد في النظافة والاناقة ، وكلامه غاية
في اللطف والنبيل . ومجلسه محاطا بالهيبة والسكون ، لا يجروا أحد أن يعص
أو يلهو في حضرته . ويحضر دروسه العالية علماء المدينة وطلبتها على السواء .
وإذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على وجوه احتمالاتها ، ولا يدع شيئا مما
يقع في نفوس الحاضرين من مؤولاتها ، مما يقتضيه بحث العقول والمنقول .
مع وجود التحرير التام . . . (18) واشتغل محمد المسناوي بتدريس جميع
العلوم المعروفة في عصره واهتم في مستقبل عمره بالفقه ، والبلاغة ، والمنطق ،
والأدب ، والتاريخ ، وكان يواظب على اقراء تلخيص المفتاح للخطيب القزويني
بالرح الصغير لسعد الدين التفتازاني ، ومختصر الشيخ السنوسي في
المنطق . ثم انقطع آخر حياته لتفسير القرآن الكريم ، وقراءة صحيح الإمام
البخاري . وتكاثر عدد تلاميذ الإمام المسناوي في فاس ، وغصت رحاب
القرويين بالآخذين عنه وتعلمد له كل من كان يتعاطى العلم بالطلب أو التدريس
وأصبح شيخ الجماعة باتفاق . وقد قال عنه بروفسال بحق : « إن أكثر
كتاب التراجم في القرن الثامن عشر يعدون من تلاميذه » (19) . ولم يقتصر
نشاط الإمام المسناوي على التدريس فحسب ، وإنما استغل في نفس الوقت
بالتأليف ، وتمتاز كتابة هذا الإمام بالدقة في التعبير مع السلاسة والوضوح
وقد خلف تراثا فكريا عظاما يدل على عقل جبار ، وذكاء وفاد ، وتحرر في التفكير
مريب في ذلك العصر . وما بالك ببقية مالكي يعتبر شيخ الجماعة بفاس
والأساد الأول في القرويين ، يجروا على نقد المذهب ومخالفة ما تواضع عليه فقهاء
المالكية من سدل اليدين في الصلاة ، ويؤلف كتاب نصره القبض والرد على من
أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض . على أن قوة ادراك الإمام المسناوي
لعمق أفقه العلمي إنما تظهران بجلاء في كتابين صغيرين من مؤلفاته تعرض

(17) محمد بن الخطيب القادري ، نشر الثاني ، 204:2

(18) نصر الصغير ونسب الصحابة

(19) I. LEVI-PROVENÇAL, LES HISTORIENS DES CHORFAS, P. 301.

فيهما لمبحثين فقهيين عامين ، هما الذمة ، والتوكيل . وقد سمي الأول منهما
مرف الهمة الى تحقيق معنى الذمة ، وركبه على سبابة ، ومقتضيين ، ولاحقة ،
تكم في السبابة عن معنى الذمة لغة وسرعاً ، وفي المقصد الأول عن تعريف
ابن عبد السلام وابن عرفة للذمة ، ولخص في المقصد الثاني ما للشهاب
القرافي ، وابن الشناط في الموضوع وبحث معهما في بعض الامور ، وذكر أربع
مسائل : (1) تعريف الذمة اعتماداً على ما للقرافي وابن الشناط ، (2) شروط
الذمة ، (3) الفرق بين الذمة وأهلية المعاملة والتصرف ، (4) البحث في أن الذمة
وأهلية المعاملة هل هما من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف ، وجعل اللاحقة
في مسابقة السؤال المرفوع اليه في الموضوع ، أما الكتاب الثاني فهو
تقييد كاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف ، جعله في ثلاثة مباحث ،
البحث الأول في التوطئة للمقصود بالذات ببيان ما تصح فيه النيابة ويجوز
التوكيل وما لا يصح فيه ذلك ولا يجوز ، ويشتمل على سبابة في معنى النيابة
والاستنابة والوكالة ، ومطلب في حكم ذلك ومجمله ، وما يتعلق به ويساويه
من أجله ، ولاحقة فيما يلتحق بما سبق وينتهي عليه ، من بيان ما يصح نقل
أوبه الى الغير وما لا يصح نقله اليه . والبحث الثاني في المقصود بالذات من
حكم الاستنابة في الوظائف التي عليها مرتب معلوم ، وينقسم - كالاول -
الى طائفة : في الارزاق والاجارات والاقواق ، وما بينها من الخلاف واختلاف ،
ومقصد في حكم الانابة في الوظائف التي يؤدي عنها اجر ، ولم يكون اجرا
حينئذ هل للمستنيب أو للنائب ، وتابعة : في الكلام على ما تبع ذلك من
الثواب الآجل ، وحكم فائدة أيام العطلة المأجل ، وذكر في المبحث
الثالث أو الخاتمة كلام فقهاء المذاهب الأخرى غير المالكية في موضوع الاستنابة
ليتسع مجال نظر القارئ ، ويطلع على الخلاف العالي وأسواره .

وقد كاد الامام المساوي يتعرض لحنة شديدة على يد السلطان اسماعيل ،
لولا أن تدخل بعض رجال البلاط لصالحه وأثبتوا براءته . ذلك أن الأمير محمد
العالم ابن السلطان اسماعيل كان من أخص تلاميذ الامام المساوي وأقربهم
اليه ، ولما ثار محمد العالم في مراكش بقي يرسل أستاذ المساوي واغتنم
بعض منافسي الشيخ هذه الفرصة فأوغروا صدر السلطان عليه ، واتهموه
باطلا على خطة الأمير الشورية وممالأته آياه على ذلك . غير أن أنصار الامام
المساوي أكدوا للسلطان أنه كان ينهى تلميذه محمد العالم عن الشورى ،
واتهموا له قوله :

سلا فان لكل شيء غايبة والدعوى يعكس حيلة المحتال
فالمدر ليس بلوح ساطع نسوره والشمس طاصرة السافى الحال
فالا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو يبدو تعزز وجمال (21)

فاستحسن السلطان ذلك وتحقق من براعة الشيخ. وعاش الامام المساوى
عسا وستين سنة عقبلا على العلم ، وعلى العلم وحده . كان يستغل من
يدرس بالقرويين أو المدرسة العنانية الى البحث فى المشاكل الفقهية
ويؤلفها فى الكتب . أو الى ارشاد الناس الذين يستفتونه فى الاحكام
والعاملات . وقد جمعت فتاوى المساوى فى مجلد ضخم ظل المرجع الهام لرجال
نصاء والفتيا حتى اليوم . ولم تنحصر شهرة هذا الامام داخل أسوار فاس .
بل انتشرت فى المغرب كله . وقصده العلماء من سائر النواحي يأخذون عنه
يستحيونه ، فأجاز عددا كبيرا منهم (21) ولما أحس المساوى بدنو أجله
ثم قصيدة يضرع فيها الى البارى عز وجل وأوصى أن يشيع بها الى قبره .
ومنها :

بارب عطفاً على منسى أتى به القوم للمقابر
فجاء فردا بغير زاد وخلف الأهل والعشائر

وفد جرى عمل الناس فى فاس بعد ذلك بقراءة هذه القصيدة عنه تشييع
الذى . وتوفى الشيخ المساوى يوم 10 شوال 1136/1724 فكان موته ماتماً
لمدينة كلها . وشيعه جميع السكان فى محفل رهيب الى مدفنه فى قبة سيدي
عابدى خارج باب الفتوح ، وكسروا النعش الذى حمل عليه . وأخذ كل واحد
حفنة صغيرة من الخشب تتركب بالامام المساوى الصالح . ورتاه ابن عمه
محمد اليكوى بقصيدة مطلعها :

أبى القلب أن يملو ودعوى تجدرا فكفكفتنه أبغى بذلك تستبرا (22)

(21) محمد اكسوس . الجيش العرموم . ورقة 60/1 . وهذه الابيات من قصيدة تتكون من 53 بيتاً .
مطلعها : أهدى السلام معشر الأذيان ومشيما باليمن والأقبال
كان الامام المساوى يفتى بها الى تشييعه الامير محمد العالم اكسوس فى مجلة المراسلات
الأدبية بينهما

(22) أنظر بعض اجازات المساوى لعلماء عصره فى : سلطان الحوات . البدور الضاوية .
ورقة 186/ب وما بعدها

(23) أرجع الى ترجمة محمد المساوى الى : محمد القادري . نشر الثاني . 204:2 - 205 . ومعه
الكثاني . سلوة الانتقاس . 44:3 وما بعدها . وسليمان الحوات . البدور الضاوية
ورقة 186 وما بعدها . والى البارعى . حقائق الأذهار . الاسات 130 - 148 . والى
التصلي . البدور البهية . 342:2 . والى : LEVI PROVENÇAL, LES HISTORIENS DES CHORÉAS, pp. 301-302.

(ب) تلاميذ الدلائيين في فاس

يصعب على المرء أن يحدد عدد التلاميذ الذين تخرجوا على يد الدلائيين في فاس ، لاسيما وقد تعاقب عدد وافر من علماء هذه الاسرة على التدريس في العاصمة العلمية زهاء قرنين ، وكاد يكون جميع العلماء الذين عاصروا الامام السناوي الدلائى من تلاميذه . غير أنه ينبغي أن أشير إشارة خاطفة الى طائفة قليلة من الاعلام الذين كان للدلائيين فضل تكوينهم وتثقيفهم ، وساقصر على ذكر بعض تلاميذ ثلاثة من العلماء الدلائيين الاولين : محمد الشاذلي ، ومحمد المرباط ، ومحمد السناوي .

أما محمد الشاذلي فمن أشهر الآخذين عنهم في فاس المؤرخان الكبيران الاخوان القادريان عبد السلام والعربي . ويعتبر عبد السلام القادري (1110/1098) من أشهر المؤلفين في تراجم العلماء والشرفاء والصالحين ، ومن تأليفه العديدة كتاب ترجم فيه لوالد شيخه الشاذلي الدلائى وجده سماء : **زعة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر** . وكان العربي بن الطيب القادري (1106/1095) نسبة ثقة كأخيه مشاركا في كثير من العلوم الدينية كالحدِيث والفقه ، ومن تأليفه كتاب في وفيات أولاد الشيخ **عبد القادر الجيلاني** . كما أخذ عن الشاذلي الدلائى أيضا أبو العلا ادريس اللجرة - الكبير - (1137/24 - 1725) امام القراء في فاس وشيخ الجماعة بالمغرب صاحب الفهرست المسماة **عذب الموارد في رفع الاسانيد** ، التي ترجم فيها لشيخه في المغرب والمشرق .

ومن تلميذ محمد المرباط الدلائى في فاس محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر القاسمي (1134/21 - 1722) مؤلف **المنح البادية في الاسانيد العالية** ، وفيه يقول عن المرباط : «شيخنا الامام النحوي الخطيب أبو الرضى محمد بن النقيض الصالح أبي الاحسان محمد بن الولي الشهير أبي بكر» . المرباط ، سمع منه أوائل الكتب الستة ، وسيرة ابن سيد الناس ، وأجازني فيما له وكتب لي ذلك بخطه ... (24)

وأبو العباس أحمد بن علي الوجاري (1141/28 - 1729) الامام اللغوي الكبير الذي كادت تكون كل دراساته على الشيخ المرباط ، ثم انتصب للتدريس في فاس مدة طويلة وتخرج على يده أكثر علماء البلد . ولم يؤلف الوجاري كتابا في حياته ، وإنما ترك تلاميذ كثيرة جمع ما يتعلق منها بالنحو في مجلد سمس .

وأخذ عن الامام محمد المستاوي الدلائى فى فاس خلق كثير ، عن معدتهم
 الاربع الشهور محمد الصغير الافرانى المراكشى (27/1140 - 1728) صاحب
 الامادى البيضاء على التاريخ المغربى ، ومؤلف أشهر الكتب وأوثقها على تاريخ
 المغرب السعدية والعلوية ، مثل **نزهة الجادى فى أخبار ملوك القرن الحادى** ،
 و **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادى عشر** ، وفيهما يذكر شيخه المستاوي
 وينقل عنه ، وأبو عبد الله محمد الجلمى الحوات (1100/1747) قاضى شفشاون
 ومؤلف كتاب **تحفة المعاصر فى بعض صالحى تلامذة أبى عبد الله محمد بن**
ناصر ، وهو والد أبى الربيع سليمان الحوات صاحب **البدور الضاوية فى**
أخبار السادات أهل الزاوية الدلائية ، ويروى سليمان الحوات فى هذا الكتاب
 كثيرا من أخبار الدلائيين عن والده رواية شافية مستمدة من الدلائيين أنفسهم
 أو يقبس من كتاب **تحفة المعاصر** ، كما تتلمذ للمستاوي أحمد بن عبد الوهاب
 الوزير الغسانى (33/1146 - 1734) الاديب النفسى المرسى البارغ صاحب
 التأليف الكثيرة ، ومنها **رسالة فى التعريف بالشيخ المستاوي** ، ومحمد بن
 الطيب العلمى (21/1134 - 1722) الاديب الكبير الذى فتن أهل فاس بعصره
 وألف كتاب **الانيس المطرب فيمن لقيهم مؤلفه من أدباء المغرب** ، وفيه
 يذكر شيخه المستاوي الذى كان ينافح عنه فى مساجلات أدبية ، وورد علمى
 انتقادات بعض الأدباء لقصائد العلمى (25) ، وأبو عبد الله محمد بن الحسن
 الكندوز (35/1148 - 1730) امام اللغة والنحو فى عصره ، وأستاذ محمد بن
 الطيب القادري صاحب كتاب **نشر المثنى** ، ويعتبر أبو عبد الله محمد بن
 الطيب الشرقى (56/1170 - 1757) من ألمع تلاميذ المستاوي ، تربطه بالشيخ
 زيادة على العلم رابطة الدم ، وقد برز الشرقى فى علوم اللغة ترويرا تاما
 وأخذها عنه علماء المغرب والشرق ، وألف فى اللغة كتابا عظيمة ، مثل **المسفر**
عن خبايا المظهر الذى شرح فيه كتاب السيوطى فى علوم اللغة ، و **الحاشية**
الكبرى على قاموس الفيروزبادى فى أربعة مجلدات ضخمة ، ومنها **استمعة**
لميلته الشيخ مرتضى فى كتابه تاج العروس بشرح القاموس .
 ومن أشهر محدثين والفقهاء الذين تلمذوا للامام المستاوي محمد بن عبد
 الرحمن ابن زكري (37/1144 - 1732) العالم الثرى صاحب **شرح البخارى**
 و **القصيدة الهمزية التى عارض بها عمزية الامام البوصيرى الشهيرة** ،
 وشرحها فى مجلدين ، ومحمد بن عبد السلام بنانى (49/1163 - 1750) العالم
 المتوفى الرحالة صاحب **شرح الاكتفا للكلاعى فى ستة مجلدات** ، وشرح
 الزقاقية فى الاحكام الفقهية و **شرح الحزب الكبير للشافعى** ، ومحمد بن فاس

صوفى (1182/68 - 1769) المحدث الكبير الذي طال عمره وكثر تلاميذه حتى
مع شيخ الجماعة في فاس . ومن تأليفه شرح مختصر خليل في تسعة مجلدات .
ومحمد بن حدود بناني (1140/27 - 1728) فقيه فاس وعالمها الكبير الذي
كان إليه المرجع في الفثيا وتحقيق الوثائق . وأبو العباس أحمد بن مبارك
السجلناسي (1156/43 - 1744) الحافظ الكبير والفقيه الذي كاد يبلغ درجة
الاجتهاد ، وهو مؤلف كتاب **الذهب الابرين في مناقب سيدي عبد العزيز**
- الدباغ - . وكذلك كان الامير محمد العالم بن السلطان اسماعيل
من اخص تلاميذ الاعمام السنناوى واقرب الناس اليه . لازم
دروسه بمدة طويلة الى أن تخرج على يده عالما مشاركاً في اللغة وفوقاً عدداً .
والفقه والاصول ، وأديباً ماهراً يجيد الشعر والترسل . وظل الامير محمد
العالم على اتصال دائم بأستاذه السنناوى حتى بعد نزوحه الى تارودانت (20)
وقد مدح هذا الامير أستاذه السنناوى بقصيدة بعث بها اليه من مراكش ابان
قيامه بالثورة في هذه المدينة ، فأجابه السنناوى عنها بقصيدة أخرى مطلعها
أنسيم الرياض بالاسحار حاجك اليوم أم شجي الاوتار

3 - الكتب التي ألفها الدلائيون

اهتم الدلائيون بالتأليف منذ بروزهم في الميدان العلمي . وأول من دون
منهم كتاباً هو الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي الذي جمع أربعين حديثاً
نبوياً على نحو ما فعل الامام النووي وغيره من المحدثين ، وأضاف الى كل
حديث قصة تناسب موضوعه من قصص الوعاظ والزهاد . ثم ألف ابنه
الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وأحفاده كتباً كثيرة في الحديث والسيرة
النبوية . والفقه . والاصول . واللغة . والنحو . والصرف . والادب . والانساب
وغير ذلك من المواضيع المختلفة . وقد وصلت اليها - لحسن الحظ - جل
مؤلفات الدلائيين ، ولم يعد الدهر الا على أقلها . غير أن بعضها ما يزال مبعثراً
كالدواوين الشعرية التي توجد منها نتف هنا وهناك ، والتي لو جمعت
ودرس على الوجه اللائق لكوّنت مادة أدبية طريفة ومشرفة للمغرب في نفس
الوقت . وقد كانت كتب الدلائيين تحدث دويماً عظيماً في الاوساط العلمية ،
يردد صدىه المغرب كله ، وحتى المشرق أحياناً ، كما حدث عندما ألف محمد

(20) كانت نهاية الامير محمد العالم محزنة . إذ تار على والده السلطان اسماعيل واسنواى على
مراكش عندما كان نالماً عنه في اقليم سوس . ثم تغلب عليه سوء ريدان وعطش فبدأ
الى والده بمكناس . وقيل أن يصل الى العاصمة تحت السلطان اسماعيل من قطع يده محمد
درجله من خلاف في وادي بهت - بين الخميسات ومكناس - وحمل محمد العالم في حالة
مزربة الى مكناس فلم يدخلها حتى مات عام 1116/4 - 1705

المربط الدلائلي كتاب نتائج التحصيل في شرح التسهيل ، في أربعة مجلدات .
فقد سارت بذكره الركبان ، وخطبه علماء المشرق ، وبيعت بعض نسخه في
مصر بأثمان باهظة ، وقرظه من علماء الأزهر الإمامان أحمد شهاب وعبد القادر
ابن الجلال المحلي .

وقد أثبت هنا - في جدول - ما وقفت عليه من أسماء مؤلفات الدلائيين .
وبينت المكتبات العامة أو الخاصة التي توجد فيها . إلا كتباً قليلة لم أعرف
مبداً عن المكان الذي توجد فيه وضعت أمامها علامة استفهام (؟) على أمل
العثور عليها في الخزانة الملكية أو في غيرها من مكتبات الخاصة . وأردفت
ذلك بجدول آخر ذكرت فيه الكتب التي ألفت في الدلائيين ، دون أن أثبت فيه
ما ألفه الدلائيون أنفسهم في ذويم . مكتفياً بإيراد ذلك في الجدول الأول .

أ) جدول مؤلفات الدلائيين

اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
------------	--------	-------------

الحديث والسيرة

1	أربعون حديثاً	محمد بن أبي بكر الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 1205 ج 1
2	الزهر الندي في الخلق المحمدي	محمد بن عبيد الرحمن الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 457
3	زهر الحقائق وخلاصة الحقائق من سيرة سيد الخلائق وما يستتبع ذلك من النكت والدقائق	"	مخطوطة خ. ع. 300
4	فخر الثرى بسيد الوردى	"	"
5	شرح الشفا للقاضي عياض	الشرقي بن أبي بكر الدلائلي	"
6	شرح ثان للشفا	أبو عمر بن محمد الدلائلي	"
7	شرح ثالث للشفا	محمد بن عبد الرحمن الدلائلي	"

الفقه والاصول

8	تأليف في النوازل الفقهية	محمد البكري الدلائلي	"
9	تقييد كاشف عن احكام الاستنابة في الوظائف	محمد المساوي الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 579 ج 1 و 1095
10	المعارج المرتقاة الى معاني الورقات	محمد الميراث الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 270 طبع في طهران
11	نصرة القبض، والرد على من انكر مشروعيته في صلاتي التفل والفرض	محمد المساوي الدلائلي	"
12	نوازل المساوي	"	طبع على الحجر بفارس عام 1345 هـ في 298 صفحة
13	تأليف في الاصول	الشرقي بن أبي بكر الدلائلي	مخطوطة خ. ع. 579 ج 1
14	صرف الهممة الى تحقيق معنى الذمة	محمد المساوي الدلائلي	"
15	شرح مختصر ابن الحاجب	أحمد الحارثي الدلائلي	"

اللغة وقواعدها

16	حاشية على المطول للفتازاني في البلاغة	الشرقي بن أبي بكر الدلائلي	في خ. ع. وفي مكتبة خاصة بسوس
17	نتائج التحصيل في التسهيل 4 مجلدات	محمد الميراث الدلائلي	"

خ. ع. فرمز الى الخزنة العامة بالرباط - قسم الوثائق التسهيل هذا موجود في مكتبة ذكر المؤرخ بوجداد في مقدمة الفتح (ص 150) أن شرح كما اخبرني الاستاذ المحسن الجامع الاعظم بالرباط - وهي تابعة للخزنة العامة - بخط الإمام أبي العباس الصواني في دسالة اليونانتي أنه وقت على هذا التبرج بخط الإمام أبي العباس الصواني في دسالة مائة بسوس

اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
فتح اللطيف على البسط والتعريف	محمد المراتب الدلائلي	جميع على الحجر بدار
في علم التصريف	محمد والبكري الدلائليان	عام 1310
ترج رالية اليوسى فى رثاء الزاوية الدلائلية	محمد المراتب الدلائلي	مخطوطة ج. ع. 448 ك
ترج الفية ابن مالك فى محلهين		١

الادب

البركة البكرية فى الخطب الوعظية	محمد المراتب الدلائلي	توجد انالها فى مكتبة ابن خازن بكناس
تأليف فى الادب	محمد البكري الدلائلي	٢
تأليف فى الخطب	محمد بن عبد الرحمن الدلائلي	٣
تحريك الساكن وتهيج الشوق الكامن الى زيارة طيبة ومن بها ساكن رحلة حجازية نظمية	محمد المراتب الدلائلي	٤
النرة الدرية فى محاسن الشعر وغرائب العربية		٥
ديوان شعر	محمد بن محمد المراتب	مكتبة جامعة بطنجة
ديوان شعر		٦
زهرة الوسائل فى المدح والرسائل	احمد الحارثي الدلائلي	مخطوطة ج. ع. 3170 ك
كراسة من ديوان	محمد بن العربي الدلائلي	مخطوطة ج. ع. 3312 ك
فتح الانوار فى بيان ما يعين على مدح النبي المختار وهو كتاب فى الموسيقى والامداح النبوية		مخطوطة ج. ع. 4078 ك
		و 74 ك

الانساب

بغية الراى فى التعريف بالشيخ ابي عبد الله محمد المكي الدلائلي	محمد بن محمد المكي الدلائلي	مخطوطة ج. ع. 2000 ك
نقطة القاصد النواى فى التعريف بالشيخ عبد السلام المستاوى	بعض اقارب المستاوى الدلائلي	مكتبة ابن خازن بكناس
ترجمة الشيخ محمد العراق	محمد بن العربي الدلائلي	مخطوطة ج. ع. 1000 ك
التعريف بالاشراف الادارسة الجوطيين	محمد المستاوى الدلائلي	مخطوطة ج. ع. 937 ك
التعريف بالشيخ ابي العباس اليمنى		و 1032 ك
تقييد مشتمل على فروع بنى عمران		مخطوطة ج. ع. 471 ك
تقييد فى الاشراف الذين لهم شهرة بفاى		و 1014 ك
جهد المقل القاصر فى نصرة الشيخ عبد القادر		مخطوطة ج. ع. 1034 ك
		مخطوطة ج. ع. 487 ك
		مخطوطة ج. ع. 579 ك

اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
40 جواهر السباط في مناقب عبد الله الخياط	محمد المستوفي الدلائي	الخزانة الاحمدية بفس
41 درة التيجان والقطعة المولود والمرجان	محمد بن عبد الرحمن الدلائي	مخطوطات خ. خ. 459 و 522 د 1180 و 1234 ك
42 نتيجة التحقيق في بعض اهل الشرف الوليد	محمد المستوفي الدلائي	طبع على الحجر بفس

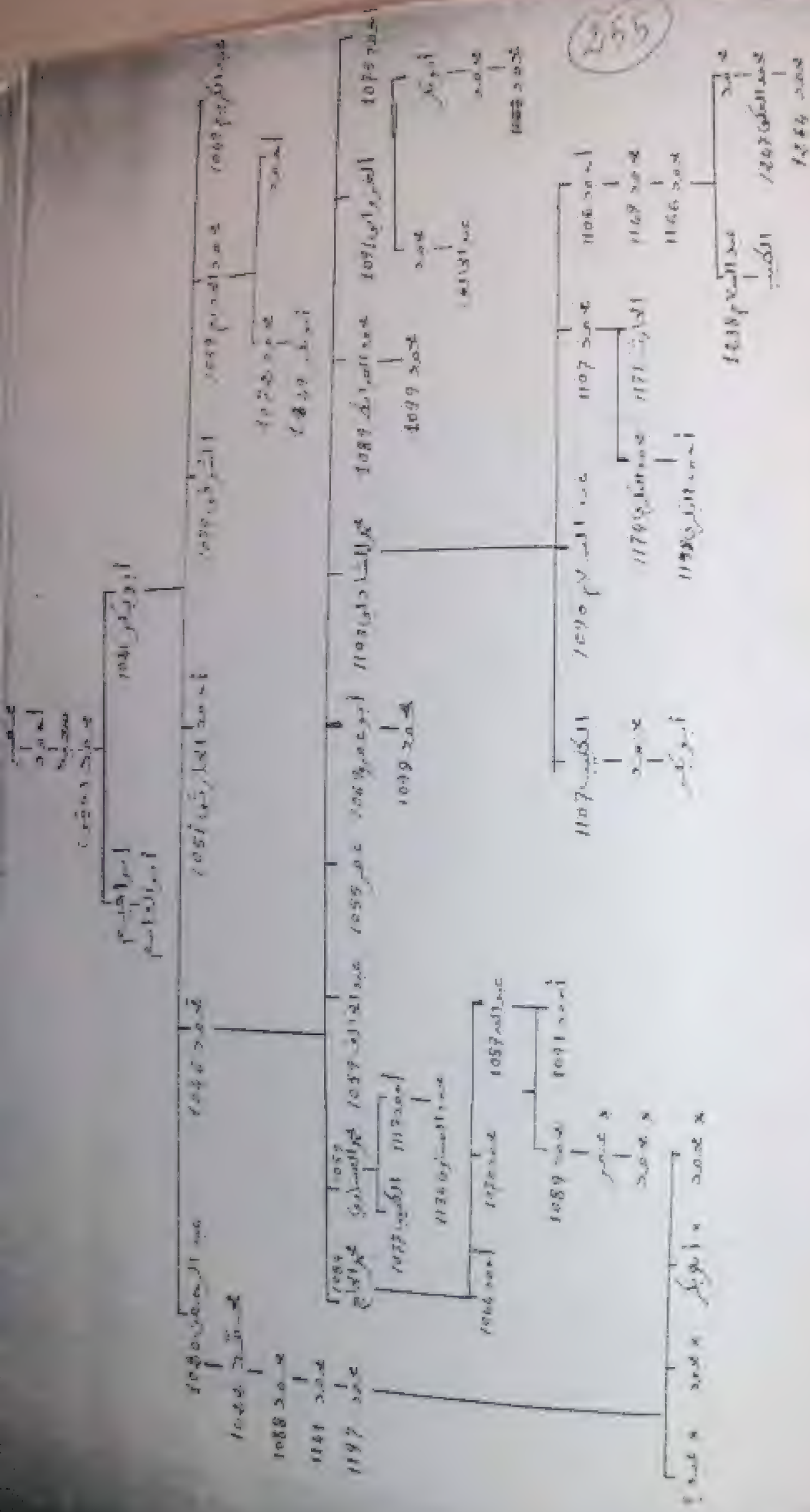
مواضيع مختلفة

42 تقايد جيدة في فتون مختلفة	محمد المستوفي الدلائي	كانت عند مؤلف السلوة
43 جواب على ما يقع في زمان المسغبة من كثرة السؤال	محمد الدلائي	مخطوطة خ. خ. 1081 د
44 انتهى سرى واشواقى في مسافرة الشريف العراقي	محمد البكري الدلائي	؟
45 الفهرست	محمد بن أبي بكر الدلائي	بوجه طوف عتيقا بمكتبة الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني
46 فوائد في التصوف	محمد المستوفي الدلائي	مخطوطة خ. خ. 984 د
47 شرح نظم الراصد ، لابي حامد العربي القاسمي	محمد المستوفي الدلائي	؟
48 كفاية علمية	" " "	الخزانة القاسمية

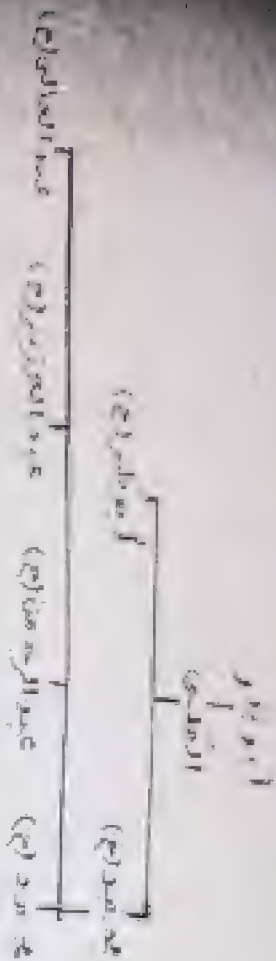
درة التيجان . راجع في بحر 500 بيت ذكر فيه محمد بن عبد الرحمن الدلائي شرفه
العرب وقد ترجمه محمد بن أحمد القاسمي ترجمه مقيدا في مجلد وسط . ورد نقيب
الشرفاء الادارسة الجوطيين عبد الرحمن بن عبد القادر الجوطي على ابن عبد الرحمن
الدلائي وبيحه عبد السلام القادري صاحب كتاب الدر السني . لانها راجعا لعمد الاسرة
الغالبية الى جولة . وذلك في أرجوزة من 105 بيت مطلعها
سلام داخل حمى النبي
والنصر للدلائي مؤرخان كبيران هما محمد بن الطيب القادري الذي نظم أرجوزة تشمل على
(60) بيتا سماها الصوارم الفكية . ونظم أبو القاسم الزباني أرجوزة أخرى من (90) بيتا
سماها . حمدا لمن أنزل في الذكر الحكيم
أكرمكم الله العظيم

(ب) جدول الكتب التي ألفت في الدلائيين

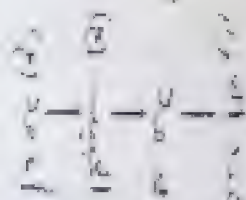
اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
1 البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية	سليمان الخوات	مخطوطات ج. ع. 2011 د ك 4434 د و 554 ك
2 اختصار البذور الضاوية	أحمد البوعزاوي	ع
3 اختصار ثان للبذور الضاوية	محمد إبراهيم الكتاني	خزانة المؤلف
4 اختصار ثالث للبذور الضاوية	العابد القاسي	الخزانة القاسية
5 تأليف في إسانيد الشيخ محمد ابن أبي بكر الدلائلي	الحافظ أحمد القاسي	ع
6 تأليف في ترجمة محمد المناوي الدلائلي	محمد حمزة العياشي	في مجل الخزانة الحمراوية
7 تأليف آخر في ترجمة محمد المناوي الدلائلي	أحمد بن عبد الوهاب الوزير القسالي	بقلم برصه سليمان الخوات في البذور الضاوية 2011 د ورقة 184/ب وما بعدها
8 حقائق الإزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية	محمد بن أبي بكر اليازجي	مخطوط ج. ع. 401 د
9 ديوان يشتمل على قصائد في مدح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائلي	مجهول	مخطوط ج. ع. 3312 ك
10 نزهة الأخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكرين	عبد الودود بن عمر التازي	مخطوط ج. ع. 1404 ك
11 نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر	عبد السلام بن الطيب القادري	الخزانة القاسية
12 القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية	الحسن البرسي	مخطوط ج. ع. 161 د
13 شرح درة التيجان	محمد بن أحمد القاسي	مخطوط ج. ع. 1433 ك
14 شرح رائية اليوسى في رثاء الزاوية الدلائية - في ستة أسفار ضخام	محمد بن المهدي ابن سودة	خزانة أبناء المؤلف في قسن

[illegible]

1871



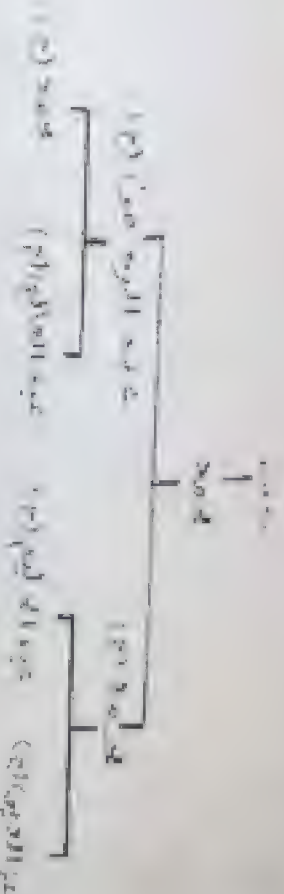
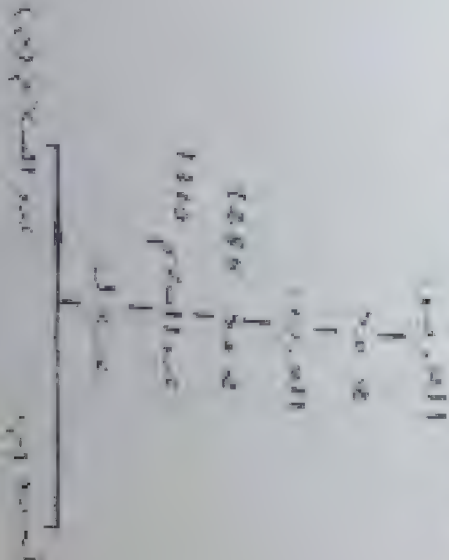
أبي الحارث



أبي الحارث



أبي الحارث



هذا هو النسب الذي ذكره المؤلف في كتابه...
 وهو النسب الذي ذكره المؤلف في كتابه...
 وهو النسب الذي ذكره المؤلف في كتابه...

4 - بقايا البيت الدلائي

(أ) مساكن قبيلة مجاط اليوم

عرفنا في الباب الأول أن أصل الدلائيين من مجاط ، وهي قبيلة بربرية من صنهاجة (27) التي كانت تسكن في القديم أقاصي الصحراء المغربية حيث لا يزال بعضهم هنالك حتى اليوم يكتبون بالحروف البربرية القديمة . واستوطن المجاطيون الذين طلعوا إلى المغرب قديما ملوية العليا ثم انشروا في جبال الأطلس ، وعمرت طائفة منهم - مع أربع قبائل أخرى - مدينة محمد الحاج الدلائي في أواسط القرن الهجري الحادي عشر . وبعد انتهاء الإغارة الدلائية وفشل الثورات البربرية تفرق المجاطيون في البلاد . وتوجد اليوم في المغرب ثلاث قبائل يطلق على كل منها اسم مجاط : (28)

أولا - مجاط ناحية مكناس . ويقيمون على بعد نحو 10 كلم من هذه المدينة في طريق الحاجب . ومن أشهر عشائريهم بنو محمد ، وبنو يحيى ، وبنو سرفاء ، وبنو فكران .

ثانيا - مجاط ناحية مراكش . وتشتمل على فرقتين : مجاط التحنية . وتقع مساكنهم على بعد نحو 30 كلم من مراكش في طريق الصويرة . وتكتنف مجاط التحنية قبائل الودايا شمالا وشرقا ، وقبيلة أحمر غربا ، وآيت يعوز جنوبا . وأما مجاط الفوقية فيسكنون في نجاد الدير على سفاف نهر (أسيف المال) جنوبى مساكن اخوانهم التحنيين . ويبعدون عن مراكش بنحو 70 كلم في طريق أزميز . وتجاور مجاط الفوقية قبائل مروضة وكدمية . وهي تابعة من الناحية الادارية لدائرة ابيمتانوت .

ثالثا - مجاط سوس . وهي أهم هذه القبائل الثلاث . تسكن غير بعيدة عن تازروالت حيث زاوية الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي . وتكتنفها شمالا قبيلة ايدا وسملال وجنوبا اقران (بالأطلس الصغير) وشرقا آيت عبد الله . وغربا آيت رخا . وتتبع اداريا دائرة بوزكارن . وينتمي المجاطيون

(27) يقال أن كلمة (سبكال) هي تحريف لصنهاجة . فهل هذا يعني أن السبكالين هم مغاربة صنهاجيين اسودت بشرتهم بناتس الطقس الحار الذي يعيشون فيه وبناتس اجدادهم صبح حمرتهم السوداءين ؟

(28) عرض الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في هامش كتاب العز والصولة (1941) لقبائل مجاط فذكر أن هنالك اليوم بالمغرب أربع قبائل مجاطية . جامعة واحدة منها بنو مراكش وأخرى يعوز شوشاوة . كما عد زاوية سيدي أحمد بن موسى من جملة عشائر المجاطيين القاطنين بحدود شوشاوة .

السوسيون على زاوية الشيخ أحمد بن موسى التي يعتبرونها مدرستهم الخاصة ، فيصرفون من زكواتهم على من بها من الطلبة والمحتاجين حتى اليوم لذلك يحيط السوسيون جميعهم قبيلة مجاط بكثير من التقدير والأجلال ويعتقدون أن حقول المجاطيين لا تمحل حتى في السنين المجدة .

(ب) أحفاد الدلائيين في فاس والدار البيضاء والرباط

كانت أسرة الدلائيين كبيرة في فاس ، وتشعبت فروعها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19م) حتى غدت كالندوة العظيمة ، ثم بدأ عدد أفراد هذه الأسرة يقل إلى أن لم يبق منهم في مستهل قرننا الحاضر بفاس إلا بضعة رجال «أهل مروءة ودين غير أنهم لا علم عندهم وإنما يحترفون بحرفة معاشية من تفسير كتب ونحو ذلك» (29)

واليوم تعيش في فاس خمس أسر دلائية ليس لها من اتصال بالدلائيين القدماء إلا (الحيازة) والانتساب إليهم بالتواتر على الألسنة ، حتى أن بعض الناس لما رغب في امتلاك مقبرة الدلائيين الشهيرة بالكفادين في زقة باب الحراء قرب وادي الزيتون داخل باب الفتوح بفاس (30) استغل ضعف هؤلاء الدلائيين المادي والمعنوي فاشترواها منهم - عن طريق الاحتيال والأكراه حسب زعمهم - وأشهد عليهم البيع الواحد تلو الآخر . ومهما يكن من أمر فإن تملك مقبرة للمسلمين خصوصاً مقبرة تضم أحداث علماء أعلام ، وتحويها إلى موقف للسيارات ثم إلى ما لا يعلم ، منكر يجب تغييره ، وبهتان لا ينبغي السكوت عنه . وكان بعض الدلائيين قد انتقل في أواسط القرن الماضي إلى السكنى برباط الفتح . ونشأ منهم في هذه المدينة أديب صوفي هو محمد بن العربي الدلائي . كان يلزم دروس الشيخ أحمد دنية ويعتبر مجالسه الحديثية والفقهية ، ويشتهل في نفس الوقت بالتجارة في سوق المعطارين . وقد مدح محمد بن العربي الدلائي شيخه دنية حينما ختم صحيح البخاري بقصيدة عظمها :

بدا في سماء المجد والسعد طالع وأسفر عن وجه السعادة ساطع

(29) القديس الغزالي : الذوق البهية . 345-2
سبق للأستاذ عبد السلام بنسودة أن استنكر ذلك في أسوأ الأعداد الأوتس لجريدة «الرأي العام» التي كانت تصدر بالدار البيضاء . ولمعرفة أسماء بعض العلماء الدلائيين الذين دفنوا في مقبرة الكفادين وتراجعتهم يمكن الرجوع إلى سلوة الأنفاس . ج 4
من صحيفة 89 إلى صحيفة 100



زاوية محمد بن العربي الدلائي في الدار البيضاء
- الزاوية الحراقية -

ثم مدحه لما ختم مختصر الشيخ خليل بقصيدة أخرى مطلعها :
خليلي حدثني حديث أحبتي فذكرهم أنس لأهل المحبة (1)

وصاحب محمد بن العربي الدلائى بعد ذلك الشيخين الصوفيين الشهيرين
العربي الدرقاوى ومحمد الحراق ، وسلك على يدهما طريق القوم الى أن بلغ
درجة المشيخة . وأسس في الرباط الطريقة الحراقية وعنه أخذها كثير من
الناس ، منهم العالم أحمد بن عاشر الحداد الذي شيد أركان هذه الطريقة في
الرباط من بعده . ولمحمد بن العربي الدلائى أزجال كثيرة في طريقة شيخه
محمد الحراق ، وأناشيد صوفية حسنة . وشعر كثير أغلبه في مدح الرسول
عليه السلام . وقد ألف محمد بن العربي الدلائى كتابين ، أحدهما في مدح
رسول الكريم بطريقة السماع أو الألحان الموسيقية ، سماه فتح الأنوار في
بيان ما يقين على مدح النبي المختار ، ذكر فيه أن أركان (السماع) ثلاثة لا بد
لكل منشد من معرفتها وهي الشعر المتقنى به ، والطبع المترنم بلحنه ، والوزن
القروخ ذلك الترنم في قلبه . ثم أتى بعد ذلك بالبحور الشعرية وتفاعيلها
محصرة . والطبوع الموسيقية مجملته ثم مفصلة . والكتاب الثانى الذى ألفه
محمد بن العربي الدلائى في ترجمة الشيخ محمد الحراق ، ذكر فيه نسب
الشيخ ومشاركته في العلوم ولاسيما علم الباطن ، وعرض لرسائله الى اخوانه
ومريديه ، وخصص في الأخير باباً لقصائد الحراق وتوشيحاته ومقطعاته
مرتبة على البحور ، مبتدئاً بالطويل :

أطلب ليلي وهى فيك تجلت ونحسبها غيرا وغيرك ليست .

ثم انتقل الشيخ محمد بن العربي الدلائى الى مدينة الدار البيضاء حيث
أسس زاويته المشهورة في البقعة التي كانت وهبت للشيخ الحراق ، غير بعيدة
عن المسجد العتيق بطريق دار المخزن في المدينة القديمة ، وأخذ يلقى فيها
الأرواد ويحضر خلق الذكر بالسماع على الطريقة الحراقية . وكانت الدار
البيضاء في ذلك الوقت (أواخر القرن 13 هـ / 14 م) خالية فمرة ليس فيها إلا
المسجد العتيق المجاور لدار المخزن اذا أقيمت فيه صلاة الجمعة لا يجتمع العدد
الأدنى الذى لاتصح هذه الصلاة إلا به وهو اثنا عشر رجلاً . وتزوج الشيخ
محمد بن العربي الدلائى في الدار البيضاء ، وظل يحن الى مسقط رأسه
الرباط ، ويتردد عليه من حين لآخر الى أن توفي في 15 شوال 1285/1869
ودفن بركن الصحن الاول عن يمين المستقبل داخل زاويته في الدار البيضاء .

أظهر عن القصيدة وترجمته ابن العربي الدلائى في محمد ديب السطاح النادرة عن

وخلفه ابنه الصالح عبد السلام الدلائي ، وكان مثله عالما ورعا يتجنب الظهور ويصل إلى الانعزال عن الناس . سلك سبيل والده في التصوف والانقطاع إلى العبادة والذكر وتربية المريدين إلى أن توفي عام 1310/92 - 1893 ودفن بجوار والده في زاويتهم . وما يزال حتى اليوم بعض أقرباء محمد بن العربي الدلائي يعيشون في الدار البيضاء والرباط . وليس بأيديهم من الوثائق ما يوصلهم إلى نسبهم بالدلائيين القدماء .

هكذا تفرقت قبيلة مجاط العظيمة أيدي سببا ، وقل أفراد البيت الدلائي الجيد بعد كثرة ، وافتقروا بعد غنى ، وارتحل عنهم العلم بعد طول إقامة ، والله عاقبة الأمور .

262



السيد محمد بن محمد بن حسن الدلائي
- تاجر في فاس -

اللوحة رقم 23



مقبرة العلماء الدلائيين الشهيرة بزقة باب الحمراء بفاس

- تحولت الى موقف للسيارات !! -

من تصوير المؤلف

الخاتمة

لقد تعاقبت على الزاوية الدلائية أطوار الحياة الطبيعية ، من نشوء وترعرع وارتقاء ، ثم تقيقر وفناء ، في أمد قريب لم يجاوز قرنا واحدا ، وهو عمر قصير بالنسبة للمؤسسات الدينية والعلمية التي يفرض فيها أن تخلد خلود الدين والعلم . لاسيما وقد تم تأسيس الزاوية الدلائية في موقع جبلى هام بعيد عن العاصمتين المغربيتين فاس ومراكش ، على يد شيخ أصيل في هذه البيئة تتوفر لديه كل المؤهلات التي تضمن التفاف الناس حوله ، فلم يختلف اثنان في صلاح الشيخ أبى بكر الدلائى ، ولم يعرف عنه قومه المحاطيون وجيرانهم الزياتيون والتادليون الا النسك والعبادة منذ حداثة سنه ، والزهد في الدنيا والاعراض عن زخرفها الزائل على ما آتاه الله من بسطة في الرزق . ولم يمت هذا الشيخ حتى كانت الزاوية الدلائية قد سارت بذكرها الركبان ، واشتير أمرها في المغرب كله ، وقصدها الناس من جميع الجهات ، ومن بينهم علماء كبار استطابوا المقام فيها شهورا وأعواما ، وازدهرت بهم المجالس العلمية ازدهار حلقات الاذكار بالمريدين . وخلف محمد بن أبى بكر أباه على رأس الزاوية الدلائية ، وكان عالما كبيرا له خمسة من الاخوة بضاعتهم العلمية غير مزجاة ، تصدروا للتدريس جميعا فنفت سوق العلم في الدلاء ، وتكاثر فيها الطلبة الذين أووا الى مدارس كبيرة بلغت حجراتها ألفا وأربعمائة ، واتسعت المكتبة العلمية الدلائية التي كانت تستنسخ لها الكتب النادرة في المشرق والمغرب الى أن بلغ عدد الكتب فيها عشرة آلاف مجلد . ويكفى الزاوية الدلائية فخرا أن يعد من تلاميذها الامام الحسن اليوسى صاحب المحاضرات والقانون ، وأحمد المقرئ صاحب نفح الطيب ، ومحمد العربى الفاسى مؤلف مرآة المحاسن ، وأضرابهم من فطاحل العلماء ، وأن تنجب من أبنائها عشرات الاعلام في مختلف ميادين المعرفة ، مثل محمد بن أبى بكر الدلائى شيخ الحفاظ بالمغرب ، وابنه محمد المرباط امام اللغة والنحو في عصره ، وأحمد ابن عبد الله الدلائى أشهر قومه وأعلمهم بالآداب .

وشاء القدر أن يتولى أمر الزاوية الدلائية في منتصف القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) رجل طموح من هذه الاسرة المجيدة ، بجره بريق الجاه والسلطان وأعماه حب الرياسة ، فانغمز في ميدان السياسة . وكانت له مؤهلات كثيرة للنجاح ، من عصبية صنهاجية قوية ونفوذ وروحى كبير وثروة طائلة ، الى رجاحة عقل وحسن تدبير وبطولة نادرة . وملك السلطان محمد الحاج الدلائى أهم البلاد ، وامتد نفوذه فشمط وسط المغرب وشماله وغربه ، ودخلت في طاعته سلا ، والرباط ، ومكناس ، وفاس ،

ونازا ، وتطوان ، وأسس بالسفح الغربي للأطلس المتوسط مدينته العظيمة التي ورثت عن زاوية الدلاء الأولى اسمها وعلمها ونفوذها الروحي . وقد انضوى تحت لواء الدلائين المجاهدون البحريون أو القراصنة السلويون ، وأقام عبد الله الدلائي في قصبة سلا نائبا عن أبيه السلطان محمد الحاج في حكم مدن أبي رقراق وما يليها من بلاد الغرب ، وفي الاتصال بتطوى الدول الأوروبية الكبرى التي كان لها قناصل قارون في سلا وتطوان يمثلونها لدى الأمير الدلائي ، ويفاوضونه في موضوع العلاقات التجارية ، والمسائل الناجمة عن القرصنة البحرية وخاصة مسألة الأسرى وفدائهم . وكان لاسطول الجهاد الغربي وزله الراجح أيام الدلائين ، يرهبه الأوروبيون أكثر من رعبهم لاسطول التركي في الجزائر ، ويسعون بجد في مهادنة الدلائين والتحالف معهم ، رغبة منهم في المحافظة على سلامة أساطيلهم التجارية التي كانت تمر عبر البحرين الاطلسيقي والمتوسط . وأعضى عبد الله الدلائي عدة معاهدات مع هذه الدول ، ساعدت على نشاط الحركة التجارية في الموانئ المغربية ، واستغنت الخزينة الدلائية بالضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات والواردات ، وتزود الجيش الدلائي بالعتاد الحربي الحديث المطلوب من أوروبا . ووجه الدلائيون سفراءهم إلى هولاندا ، فكانوا محل تقدير واعجاب ، واستطاعوا أن يحلوا كثيرا من المشاكل العويصة التي ظلت معلقة بين البلدين طوال سنين عديدة .

لكن بالرغم من تمكن سلطنة محمد الحاج وانتشار نفوذه لم يستطع أو لم يجرؤ على أن يوحد المغرب كله تحت سلطته ، واكتفى بنوع من التعايش السلمي مع بقايا السعديين في مراكش ، ومع العلويين في قافيلالت ودرعة . وأبى حسون السملالي في سوس . وبذلك أصبح لا يعدو أن يكون مجرد حاكم مقاطعة - وإن اشتملت على أهم أقاليم البلاد - وغدا سلطانه غير شرعي بالرغم من المييعات التي حصلها إليه علماء المدن والقبائل وأعيانها وهي مقدمتهم أهل فاس . إذ لم يكن من الطبيعي ولا من الممكن أن يظل المغرب مقسما إلى مناطق نفوذ تحت سيطرة أربعة من السلاطين بلغ التنافر بينهم منتهاه ، بل كان هذا النوع من حكم ملوك الطوائف مظهرا من مظاهر الضعف والانحلال في البلاد ، ومرض خطيرا أصاب الأمة أن لم تنسف منه أدى بها إلى الهلاك . لو كان لابد أن يتغلب أحد المزعمين الأربعة على منافسيه لتخلص له البلاد كلها ، أو أن يأتي زعيم جديد قوي ينتزع السلطة من أيديهم جميعا . والحقيقة أنه كانت للدلائين في السنين الأولى لامارتهم قوة حربية كبيرة تمكنهم من القضاء على منافسيهم في يسر ، وقد حاربوا فعلا السعديين والعلويين وأحقوا بهم

عزائم نكراء ، لم يكن من الصعب معها الاجهاز عليهم والتخلص منهم نهائيا
لولا نسبهم الشريف .

وكان ظهور السلطان الرشيد العلوي في المغرب الشرقي واستيلائه على
فاس ومكناس بداية النهاية بالنسبة للزاوية الدلائية . وفي الايام الاولى من
عام 1668/1079 غادر الدلائيون زاويتهم الى فاس ، والحسرة تملأ أفئدتهم ،
والدموع تترقق من مآقيهم ، تاركين وراءهم الدور والقصور ، والمال والسلاح ،
والعز والجاه . وأعمل السلطان الرشيد معاول الهدم في الزاويتين الدلايتين ،
القديمة والحديثة ، فخر بهما وطمس ما استطاع أن يطمس من معالمها ،
وتركهما خاويتين على عروشهما تعشش فيهما اليوم وتنق الغريبان باكية
سوء طالع الدلايين وعثر جددهم . ثم بعد النكبة والغربة أدرك العلماء
الدلائيون منزلة رفيعة في العاصمة الادريسية ، وزاحموا علماءها على منابر
التدريس والخطابة في المساجد والمدارس الى أن أصبحوا يحتلون الصدارة في
هذا الميدان . وتولى كثير من الفقهاء الدلايين خطة القضاء والافتاء في فاس
ومكناس وتارودانت ، ودرس علماءهم في هذه المدن وفي غيرها كمراكش ،
وتعلم لهم كثير من الناس من جميع الطبقات ، حتى الامراء العلويون مثل
محمد العالم بن السلطان اسماعيل ، وعبد السلام بن السلطان محمد بن عبد
الله . وخلف الدلائيون تراثا علميا هاما يمثل في عشرات الكتب التي ألّفوها
في مختلف الفنون ، وفي آثارهم الادبية الرائعة المبعثرة في ثنايا الكتب
والكراسات والمجاميع في المكتبات العامة ودور الخاصة ، والتي لو جمعت
ودرس على الوجه اللائق لكونت دواوين أدبية منوعة .

وصفوة القول أن الزاوية الدلائية أدت رسالتها الاولى على أحسن وجه ،
وظلت نبعًا فياضا يكرع منه رجال العلم والدين طيلة قرن كامل . ولم يسج
الدلائيون في ميدان السياسة لأن البيئة الروحية التي كونتهم لم تعددهم
ليكونوا ملوكا ذوي بطش وسلطان فحاولوا أن (يصوفوا) السياسة وقنعوا
بالرفعة التي انبسط نفوذهم عليها تاركين حوز مراكش للمشرفاء السعديين .
وما وراء جبل العياشي للمشرفاء العلويين ، ولم يحاربوا أبدا حصول السلائي
لأنه من سلالة الصالحين ، ثم ملكوا فاسا فلم يسكنوا قصر الامارة حتى
لازعجوا الشريفات السعديات . وظل الدلائيون هكذا حائرين بين الصادة
والروح والدين والدنيا الى أن جاء السلطان الرشيد بن الشريف العلوي الذي
قبض على الامر بيد من حديد ووحد المغرب كله تحت سلطته ، فرد الى
الدلايين رشدهم وحملهم الى فاس ليتابعوا أداء رسالتهم العلمية والدينية كما
أدأها آباؤهم الاولون .

ملحق رقم (1)

ظهير السلطان محمد الشيخ السعدي
بتعظيم الشيخ سعيد بن أحمد الدلائي *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما .

عن أمر عبد الله تعالى مولانا أمير المؤمنين ، المجاهد في سبيل رب العالمين
المؤيد المنصور بالله ، القائم بأمره ، الشريف الحسنی أدام الله عزه وأيد ملكه
أمين ، محمد الشيخ بن محمد . انا جددنا بحول الله وقوته لحامل أمرنا العلي
المبارك الكريم اسماء الله وخلد مآثره ، وهو ولينا في الله سبحانه ، الذي
نعظم قدره ، ونلتزم تبجيله وإيثاره ، السيد الافضل الولي الاكمل ، المبارك
الخير الصالح ، الاستاذ المعلم الناصح ، سيدي سعيد بن أحمد الدلائي ، وصل
الله كرامته ، ووالى بمنه سعادته ، تجديدا تاما ، له خاصا ولاخوانه عاما ،
على ما بأيديهم من ظهار أسلافنا الكرام ، وغيرهم رحمهم الله ، المتضمنة
لشرفهم وتوقيرهم واحترامهم ، ومحاشاتهم من سائر كلائفنا (1) ووظائفنا
المعمودة لغيرهم . بعد أن تصفحنها فألفينها مؤسسة المبني ، ومستقيمة
اللفظ والمعنى ، في غاية ما يكون من التحقيق والتعظيم والرضى ، من غير
تغيير ولا تبديل ، ولا تحريف وتحويل . وتركناهم على ما كانوا عليه من
التصرف في بلادهم المعروفة من غير اعتراض لهم فيها ولا نزاع من أهل
دائرتنا . ولنعلمهم كافة عبدا وحرًا ، وقائدا ووزيرا ، بأننا البسناهم لباس
التوقير والاجلال والاحترام ، وتوجناهم بتاج العز والأكرام ، فلا سبيل
لخلق عليهم كائن من كان . ومن حاد عن أمرنا هذا أو خالفه فلا يلزمنا الا
نفسه . وعليهم بطريق المسكنة (2) والوقوف على ما تعود منفعة ومصلحته
لدارنا العلية بالله ولا بد والسلام . وكتب في سادس محرم الحرام عام ثلاثة
وخمسين وتسعمائة .

* سليمان الحوات ، البدور الضاربة ، ورقة 3/7
(1) الكلائف جمع محرف عن الكلف ، والمفرد : كلفة . وهي ما كان يفرضه المنوك على رعاياه
من اتارة أو خدمة خاصة ، ويقال للكلفة أيضا نانية
(2) المراد بطريق المسكنة طريق التصوف وتسمى أيضا طريق الفناء لان المتصوفين الصادقين
يتصرفون عن الدنيا وينحدون فيها

ملحق رقم (2)

قصيدة الأستاذ أحمد بن قاسم المنصوري بمناسبة زيارة أطلال الزاوية

الدلائية *

طالما تشوفت لزيارة رجال الدلاء بمقرهم الاول بالدلاء ، الى أن اقتصرح
على الصديق الحميم الاديب المنشيط سيدي محمد حجي المفتش بوزارة التربية
الوطنية أن أرافقه لزيارة الزاويتين الدلائيتين ، الاولى التي كانت ينسوع
رجالهم ومقر عرفانهم في أول مستقرهم بتلك البلاد الزبانية من فخذ آيت
اسحاق وحيث مدفن علمائهم وعظمائهم ، والثانية التي صارت دار علم وصلاح
ومملكة بعد ، وهذه جاءت يسار الطريق الرئيسية من مراكنش لفاس على نحو
65 كلم من قصبة تادلا . وتعرف الآن بزاوية آيت اسحاق . أما الزاوية الاصلية
الاولى الآنفه الذكر ، فقد جاءت شرقي هذه بنحو 12 كلم في شعاب جبال
الاطلس الزباني ، يسلك الذهاب اليها في شقة بشقة من ثنايا وشعاب ،
وتلال وعقاب ، تذكرك فيما أنشده الامام ابن حجر عند زيارته لقبر الشيخ
الاكبر محيي الدين ابن العربي حيث يقول :

قطعنا في زيارته عقابا وما بعد العقاب سوى النعيم

يسر الله هذه الزيارة عشية يوم الاربعاء 25 حجة 1381 هـ 30 ماي 1902 م
وعندما وقفنا على تلك الآثار وهاتيك الديار التي كانت طافحة بالمعارف
والخبرة بالصلاح والدين والكرم ثم ما آلت اليه من اطلال خربة ، وبلاقع ينقي
الغراب وينعب فيها البوم ، هاج القريحة ذلك المشهد الغريب والمظهر الرهيب ،
ومن جهة أخرى أعادت لي تلك الزيارة ذكرى أيام الصبا والشباب التي مرت
في ببلاد زيان وأطلسها الفيغان ، وهذا ما تترجم بعضه هذه القصيدة :

ذكرت الصبا وعيده بمربع مضت بين هاتيك الربوع الروائع
عشية مرت بي النجائب خلصة خلال ثنايا شاهقات الطوائع
لنايا (بكرض الخير) I تسمى وأسده 2 ثنايا « زيان » 3 لاللقا 4 والجارع 5

نشرت هذه القصيدة في جريدة الميثاق ، لسان رابطة علماء المغرب ، العدد 12 من السنة
الاولى بتاريخ فاتح ربيع الاول 1382/2 غشت 1902 . من 4 بعد عنوان على اطلال
الزاوية الدلائية

أرض الخير : عقبة يصعد بها الذهاب لزيارة هذه الاضحية ، ومعنى كرمش بالعربية عقبة .
أى عقبة الخير والمراد بالخير رجال تلك الزاوية
المراد بأسده الشعبة التي جاءت شرقي هذه الاضحية المسماة (ألف ازم) بالبربرية أيضا
ومعناها بالعربية شعبة الاسد
زبان هي القبيلة المشهورة وفيها جاءت الزاويتان في فخذ آيت اسحاق
اللقا : رملة مشوية
والجارع : رملة مشوية لانبت

تعاذت بي الذكرى لا يامها الالى
 زمان شبابي (6) ينثنى برابع
 رابع كان الجود يهني (8) حياها
 وبهمر العرفان من جدرانها انهمار رباهما من غزير البنايع
 وينصب رفرق المحابر دفقة
 من اودية أم الربيع يمددها
 وكلم رتعت في خصب عرفاتها
 بها فتية بالدين كان هيامها
 عزائين (12) في أنسابها من برابر
 اعزاء في أحسابها ، ان يهب بها
 وفي ليلها تعشو (14) المحارب هجدا
 ولما أتيت اليوم شوقا أحجها
 وقد خلد التاريخ ذكرى رجالها
 وقلت اذا ما فاتني من زمانها
 بها قد توى المجد الرفيع يساوق (16)
 يفرح شذاها من أبي بكر الرضى (17)
 محمد (18) من قد طبق الافق جوده

مضت ، وليال ، ما توى برواجه
 سقتها غواد (7) بالغسوت الهوامع
 بمعنى الدلاء يا لها من رابع
 كما انصب رفرق المياه الدوافع
 شبوكة واسرو 10 لانضوب الوقائع 11
 ذور النوايا الحسان في حسان الدراع
 وبالعلم شيب مثل كهل ويافع
 لصنهاجة أولى السيوف الشعاع (13)
 غيوث لدى النكب ليوث الوقائع
 قياما قعودا جافيات المضامع
 وفي حجتى حجتى جيل الطبايع
 رجال يراع أو رماح شوارع (15)
 لقاء ففى تلك القباب السواطع
 العلا والمعالي وهى جسد روائع
 وقطب رحي ذا البيت دون مضارع
 بعلم ومال - فهو جسم الصنائع

(6) كانت نشأة الشاعر بزيان بمدينة خيبر . ولد بمكناس ولكن جاء به والده الى العسكر الذى كان يرأسه بخيبر قبل سماع الولادة ، وما يرجحها حتى هاجمهم الفرنسيون من حملة الاحتلال

(7) الغواوى جمع غادية السحاب التى ينشأ صباحا أو فطرة الغدا

(8) يهني يسيل لا ينشئ شئ

(9) شبوكة : واد ينحدر من جبال شرقى مدينة خيبر وهو احد روافد أم الربيع

(10) اسرو : واد ينحدر من شرقى خيبر ، فى حين يصب أم الربيع من حال غربى خيبر ويصب واد شبوكة فى اسرو ويصبان بصفة كلمترات قبضان فى أم الربيع . ويخرج هذه فتمر ازاء الزاوية بكلمترات

(11) الوقائع : جمع وقعة نقرة فى الجبل يستطع منها

(12) القرنين : السيد الشريف

(13) الشعاع : الطوال

(14) تعلقوا : قصد ليل

(15) الرماح الشوارع : المسددة

(16) يساوق : ينافس

(17) أبو بكر هو قطب هذه الاسيرة علما وصلاحا ودينا . ولد سنة 1913 وتوفي سنة 1961

(18) محمد فتح هو النجل الاثر الذى ملا الدنيا علما وعسلا ودينا ونوالا وصلاحا وله حول

سنة 1967 وتوفي سنة 1946

فجوزي ، ثم كان خير مضاجع
هوادي (19) العشايا أو صوب المظالم
رأيت الليالي قد رمت بفوجي
وعزة هاتيك القصور اللوامع
باطلال يوم تعبني وبلاقم
يلد مذاقا أو يسوغ الحارح
وغصت بدمع من عاق مشايخ (21)
رويدك ، ذاك الدهر رب الفواجع
فلا تعبني فاعتب ليس بنافع
فكن بقضاء خير راض وطاقم

وسر برور الصالحين بوالد
لقتهم غواد رائحات تسوقها
فماذا رأيت ؟ إذ أتيت لروضها
رعتها فهدت من شوامخ ركنها
بليل ذاك الفائق الحسن نضرة
وغاد رحيق شربها رنقا (20) فما
تباين نواصي الزائرين بلوعة
الأيام المتنازع منها تحسرا
عزاء ، فما ينفك بالقوم غادرا
وسلم ، قضاء الله حتم ونافذ

ملحق رقم (3)

أحدى القصائد التي كان يلقيها شاعر الزاوية الدلائية أحمد الدغوري في مواسم عيد المولد النبوي الشريف بين يدي الشيخ محمد بن أبي بكر يمدحه في آخرها بالكرم وأحياء الشريعة واتباع السنة *

رحلوا وقاطن شوقهم لم يرحل
فألفت من جسدي الذبول لفقدهم
فعلى الظلول تزايد الزفرات من
باربع أين ظباء حيك والمها
باربع ويحك أين من بتقاتهم
أجري الضواهر مدلجين حداتهم
ألقوا السهاد من الرقاد وحالفوا
وسرت بهم تجتأب كل مضلة
وغدت بهم تختال كل مفازة
لم لا وقصدهم الذي فضلت به
ونظيب طيبة حيث حل تعطرت
الهاشمي الأبطحسي محمد
خير الأوائل والأواخر من له
وكذا إليه الجذع حن وأن من
ومن الزلال العذب على محافظنا
وشكا البعير إليه فرط عنائه
والضرب أقصع معلنا بشائنه

وسروا بلبسي بين تلك الأرحل
أسفا ومن خلدي ذبول الليل (1)
حرقى على عبارات دمعى الليل (2)
وجأذر بهم جيبيدك كم حلى (3)
يزهو نفاك كانه لم يعطل (4)
متحملي الانتقال أي نحمل
قطع الوهاد بكل حرف هو جل (5)
عيس ليا شرف يفوق ويغلى (6)
من ركبهم حظيت برفعة منزل
أعلام مكة كل معنى أفضل
كل العوالم وهو أكرم مرسل
هادي الأنام وسيلة المتوسل
نطق الجهاد رضي بأفصح مقول
شوق لوطاته بمحضر محفل
من بين أنمله جرى بسلسل
وشكا الغزال إليه خيفة موجل
والذئب سلم جهرة بتلك

سليمان الخوات ، البدور الضاوية ، ورقة 44/ب وما بعدها

- (1) في النسخ المخطوطة (الدهول الليل) وهو لا يستقيم من ناحية القواعد الدعوية لذلك افترضت أن يكون الأصل (ذحول الليل) . ولعل الشاعر يرى في تغريد الليل ما يراه غيره في سجع الحمام من تعبير عن الحزن وآثر للدهول
- (2) ترايد : مضارع حدث الحدي تاديه . والهمل - تضم الهاء وتسمى الهم المتفرجة - جسم هامل . من صلت العين إذا قاضت دموعها
- (3) المها : مفردة مهاة وهي البقرة الوحشية . والجؤذر - تضم الجيم وتضم الهمال وفتحها - ولدها . ويضرب بها المشي في حسن العيون
- (4) النقاء : مصدر لقي أي نظف وطهر . والتقا من الرمل : الشطمة تتقاذ محبوبة . وهو يرسل هنا مطلق المكان
- (5) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة . والهوجل من الدوق السريعة من سيرها
- (6) فضلة - يفتح الهم ويفتح الضاد وكسرهما - أرض يضل فيها السائر . والعيس : كرام الأمل أو البيض التي يخالف بياضها سواد خيطه . ويقال العجل عيس وللناقة عيساء

رأى انشقاق البدر أوضح آية
ويكفه صم الحصا لاخي الحصا
ومن الدليل على علاه سموه
أم الملائكة الكرام معظما
ما زال يصحبه السعود صعوده
حتى دنا من قاب قوسي الاصطفيا
لولا ما حصل الوجود لواجد
لولا ما عرف الاله ولم يبدن
ماذا يحاول من ثنائك حادث
بك أقسم الجبار جل جلاله
يا مصطفى الرحمن أنت حبيبته
ها أنت أمنع من يلاذ به حمي
كن لي بحقك منقذا مما دهى
وأدم لوارث. سرك السر الذي
يعني شرائعك الزكية حافظ
نعم الامام سميك العلم الذي
وعليك من صلوات ربك دائما
تفضل ديمتها على ربع به

لذوى الشقاق لو اهتمدوا بتأمل
ة مسبحا أبدى العجاب لو اجتلي
ليلا على أعلى العلا شرفا على (7)
والمرسلين وساد كل مجل
والله يزلفه بكل تفضل (8)
بمنزل عنه الوجود بمنزل
لولا سبيل رشادنا لم تفضل
يتفضل لله حلف تفضل
بعد البناء من القديم الاول
وعليك صلى في الكتاب المنزل
ها أنت أنجح مأملي لمؤمل
ها أنت في الدارين أكرم مؤمل
من أجل متوقع ومفضل
أورثته أبدا يزيد وخول
السنن السنية ذو العطاء الاجزل
يسمو السماء سناؤه بك اذ حلى
أهمي سحائبها السوامي الهطل (9)
كملت سعادة جيلنا لا تأمل

(7) (على) في آخر البيت مضارعة يعنى ، كخرج يفرح ، بمعنى ارتفع وسما . واستمر هذا المعنى
قضية المعراج وصعود الرسول الى سدة الملتقى
(8) السعود مفعول به ثان مقدم للفعل يصحب - الرباعي - والمفعول هو صعوده
(9) ضمير (سحائبها) يعود على السماء وهي مقهورة من السياق غير مذكورة . والسوامي جمع
سامة . والهطل - بضم الهاء وتشديد الطاء المفتوحة - جمع هطل أى نزل سادس
والسوامي والهطل وصفان للسحاب

ملحق رقم (4)

(أ) حزب الفلاح محمد بن سليمان الجزولي *

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبرا ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق . جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو أهله (ثلاثا) ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنت الوهاب (ثلاثا) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا) باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثا) سبحان ربى العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ثلاثا) أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي وأتوب اليه (ثلاثا) لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (تسعا) لا اله الا الله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثبتنا يا رب بقولها ، وانفعنا يا رب بفضلها ، واجعلنا من أخيار أهلها ، واحشرنا في زمرة قومها (ثلاثا) آمين آمين آمين رب العالمين .

(ب) الصلاة المشيشية لعبد السلام بن مشيش العنسى :

اللهم صل على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاءت الفيوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة . ولا شيء الا وهو به منوط ، اذ لولا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط ، صلاة تليق بك منك اليه كما هو أهله . اللهم انه سر ك الجامع الدال عليك ، وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك . اللهم الحقني بنسبه ، وحقني بحسبه ، وعرفني اياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل ، واحملني على سبيله الى حضرتك ، جملا محفوفا بنصرتك ، واقذف بي على الباطل فأدمغه ، وزج بي في بحار الاحدية ، وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا اسمع ولا

العربي الفاسي . مرآة المعاسن . ص 54 وما بعدها
لم أعلق على نصوص هذا الملحق لاشتغالها على آيات قرآنية وأحاديث وأخبار صوفية
يغيب تحليلها في هامش صغير مكثفا بتصحيح النص تاركاً الفرج للطلاب والمكتف
المؤلفة في الموضوع كشرح ابن زكري للصلاة المشيشية وهو مطبوع

أعبد ولا أحس إلا بها ، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي ، وروحه سر حقيقتي
وحقيقته جامع عوالمى ، بتحقيق الحق الاول ، يا أول يا آخر ، يا ظاهر يا باطن ،
اسمع ندائى بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، وانصرنى بك لك ،
وأبدنى بك لك ، واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك . الله ، الله ، الله
ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد . (ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهي لنا من أمرنا رشدا) .

(ج) السبعات العشر :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (سبعاً)
- بتكرير البسملة ، وأما التعوذ ففي الاولى فقط - سورة الناس (سبعاً) .
سورة الفلق (سبعاً) . سورة الاخلاص (سبعاً) ، ثم سورة الكافرون (سبعاً) .
- بالبسملة فى الجميع مكررة مع كل واحدة - آية الكرسي (سبعاً) . سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم (سبعاً) . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد (سبعاً) . اللهم اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات (سبعاً) . اللهم افعل
بى وبهم عاجلاً وآجلاً فى الدنيا والآخرة ما أنت أهله ، ولا تفعل بنا يا مولانا
ما نحن أهله ، انك غفور رحيم ، جواد كريم ، رؤوف رحيم (سبعاً) .

(د) العشرات التسع :

أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمداً رسول الله (عشر) . صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم مرة واحدة) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
(عشر) . باسم الله الرحمن الرحيم (عشر) . اللهم صل على سيدنا محمد
النبي الامى وعلى آله وسلم (عشر) . أستغفر الله ان الله غفور رحيم (عشر) .
لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (عشر) . لا اله الا الله وحده لا شريك له .
سبحان الله العظيم (عشر) . الحمد لله رب العالمين (عشر) . الشكر لله رب
العالمين (مرة واحدة) . حسبي الله ونعم الوكيل (سبعين مرة) .

ملحق رقم (5)

لشاعر الزاوية الدلائية أحمد المدغوي في إحدى ختمات الشيخ محمد
ابن أبي بكر الدلائي لصحيح الامام البخاري *

بخاري من تأرجها الهباء
وليس المسك والكافور الا
أمنكر فضليها أحسدت أرضا
تنبه ويك ان الى بخاري
أمير المؤمنين أولى انتقاد
كان كتابه والكتب منه
لمنه به سميا بل سريسا
ونفس وجوده لما ادلهمت
وقاء علاك من بالارض طرا
ميت الجيل محيي العلم نصحا
فمن عن حجه أقصته منا
فمكة حننا ومنى منانا
وان لطيفة الغرا لطيبا
على انا بجاعك وهو بساب
نؤمل أن نبليغ لا حرمنا

بخار دون مجره الكساء (1)
شدا هو من تضوعها ضياء
تقر لها وتحسدها السماء
لجامع جامع صبح السماء (2)
به حسن انتقاء واتقاء (3)
تمد سمية والاولياء (4)
تمد الاولياء ما تشاء
وياجي النازلات هو الظياء
فانت من الشقاء لهم وقاء
كما أحيا ميت التحط ماء
فأتمه وأقعه القصاء
وتعبتنا وزهرنا الدلاء
يعطر منه ناديك الهواء
مفاتحه لبغيتنا الرجاء
هنا وهناك بفتح الدعاء

- * سليمان الخوات : البدور الفاوية : روى ١/١١١
١ الكباء - بكسر الكاف - عود البخور - والهاء : العيار - وعلى معنى السد أو سد ممر
بخاري التي هي مسقط رأس امام المحدثين أبي قتادة البخاري طبيب راحة من عود البخور
٢ يسمى كتاب البخاري في الحديث جامع الصحيح لذلك سمى المدغوي من الألقاب البخاري
بأنه (جامع جامع)
٣ يلقب البخاري بأمير المؤمنين في الحديث - ويشير بالاعتقاد إلى ما رواه البخاري من أنه
رجال الاسناد بتعديلهم وتوجيههم لتبسيط الاحاديث الصحيحة من غيرها
٤ الظهير في (كتابيه) و (سميه) يعود على البخاري - والمعنى أن سائر كتب الحديث تستند
وتستمد من صحيح البخاري - كما أن سائر الاولياء وانصالحين يستفيدون ويستمدون
من سني البخاري أي فضله في الاسم - وهو يقصد محمد بن أبي بكر الدلائي

ملحق رقم (6)

إجازة الامام محمد بن قاسم القصار لمحمد بن أبي بكر الدلاني *
الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

يقول كاتبه محمد بن قاسم بن محمد بن علي القصار القيسي الغرناطي
بلا وأبا ، القصار لقباً ، عفا الله عنه وعن دعي (كذا) له . كان من نعم الله
على لقاء الفقيه المتفني الصالح مربى طلبة العلم والدين ، الكبير الاحسان
سعاء والمساكين ، حاج بيت الله الحرام سيدي محمد بن ولي الله باتفاق ،
سبحر ذكره في الآفاق ، سيدي أبي بكر بن محمد أبقاه الله فخراً للإسلام ،
رفعا للفقراء والايتام ، آمين . فطلب من محبة إجازة فقلت له :

أجزت لكم مروينا مطلقاً وما لنا سائلاً أن نتخفوا بدعاء

يسمع من لفظي صحيح البخاري رضي الله عنه وأجزت له جميعه ، والموطأ
وفيه الستة ، ومسنده أحمد وسائر مصنفات الحديث الشريف ، وما في
الوراق قبله (1) وجميع ما اشتملت عليه فهارس ابن الزبير (2) والزبير
العراقي (3) وابن حجر (4) والشيخ زكريا (5) وسيلي يحيى السراج (6)

- 1 سليمان الجوات . الدور الضاوية . ورقة 1/30 و - وقد نقلها من خط الامام القصار
بشر بذلك الى فهرسته الجامعة لاسانيده اذ هي التي كانت الإجازة عليها ، ومن قسمه الوثائق
بالخزانة العامة بالرباط مخطوطة (رقم 71 ج) تشمل على فهرست الامام القصار
- 2 علي بن الزبير السجلناسي الحافظ المشارك . أخذ عنه الإمام القصار في تلخيص له في شرح
الشيخ محمد بن أبي بكر الدلاني . توفي ابن الزبير في ثاني عام 1033/1620 -
- 3 أبو الفضل زين الدين عبد الوحيم بن الحسين العراقي . المعروف بالعراقي الكبير . من
أكبر حفاظ الاسلام . ومسندي الحجاز ومصر والشام . وهو شيخ الحافظ ابن حجر
توفي بمصر عام 806/1404 -
- 4 الحافظ ابن حجر حجة الاسلام أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر
المسقلاني . مؤلف كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري . الإصاية في تهذيب الصحابة
توفي بمصر عام 852/1448 -
- 5 الشيخ زكريا الانصاري قاضي القضاة بالديار المصرية ومسندها ، شيخ الاسلام صاحب
التأليف العديدة . وقد طال عمره وأخذ عنه كثيرون . توفي عام 945/1538 -
- 6 يحيى بن أحمد النفزي المعروف بالسراج حافظ فاس والمغرب الذي انتسب اليه رئاسة الحديث
درأيه . له فهرست جامعة لأشياحه . توفي عام 805/1403 -

والنيسابوري (7) وابن غازي (8) ومشيخة ابن النجار (9) وأجزت له جميع مروياتي بأنواعها ، وجميع ما لي . وكتب محمد المذكور أول ربيع الثاني عام اثني عشر وألف (10) مسلماً على من يقف عليه وسائل دعاه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

- 17 هناك محدثون كثيرون ينسبون إلى نيسابور أولهم الإمام مسلم صاحب الجامع الصحيح وقد أورد منهم كحالة في معجم المؤلفين مشروحة لم أستطع تمييز المذكور منهم ليس سلسلة الإمام القصار
- 18 أبو عبد الله محمد بن غازي النيسابوري ، نزيل فاس وشيخ الجماعة بها الفقيه في مختلف العلوم ، وله فهرست جامعة لأشباخه توفي بفاس عام 5/805 - 1403
- 19 الحافظ محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار أحد أئمة الحديث الكبار له عدة ألفان لم أقف على تاريخ وفاته
- 20 كانت وفاة الإمام القصار في نفس العام 1012/1004 . وبذلك تكون هذه الإشارة قد كتبت قبل موته بثمانية أشهر فقط

ملحق رقم (7)

إجازة الشيخ محمد الم رابط الدلائي للحسن اليوسي *

أما بعد حمد الله مؤهل أهل اصطفاؤه للاقتداء بسيد البشر، ومهل خاصة أوليائه من أهل السفن والأثر، الميسر لهم من طرق الإجازة مدارجها، ومن أعلى الأسانيد معارجها، حتى اجتلوا من سماء معارفها أقمارها، ومن أدراج بوارقها أنمارها، ووقفوا بعرفات العرفان، فتدقت لهم جداول الأحسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد واسطة عقد النبيين، وصفوة خلصة الصديقين، وعلى أهل بيته الأطهار، وحماة دينه الأنصار، وبعد فإن الصال الأسانيد غاية يتجارى لاجتيازها ذوو النباهة من فضلاء الأمصار، ويتبارى في الامتياز بشرفها الكبراء في عامة الأعصار، حتى لقد ركبوا في طلابها السائف (1)، واقتحموا في ابتغائها المخاوف، ورمضوا الأوطار والأوطان، وصبروا المعاهد والأخوان، وكيف وهي العروة التي مدار العرى عليها، والمآثرة التي مرجع المآثر إليها، وقد سلك ذلك السبيل الصدر الرئيس، فارس الأئمة والتدريس، شيخ الجماعة بالديار البكرية، والحضرة الدلالية، ذو التدقيق المعهود، أبو الحسن بن مسعود، صاحب النباهة السامية، والزاهة الباذخة، والجلالة العليا، والهمة التي نطت بالثريا، المتمسك من الرواية بأسبابها، ومن الدراية بأهدابها، من ألفت إليه المعارف زمامها، جمعت السيادة ما ورائها من المجد وأمامها، يرفع إلى أن أجبره، وأناسيع تبرزه، فأجبت مراده، وبأدلت استغاده، فأجزته إجازة نامة، مطلقة عامة، في كل ما يصحح لي وعنى روايته، يرفع في أندية الإجازة بشفه ودايته، من كل فرد ومسموع، ومفرد ومجموع، ومشتور ومنظوم، ومأثور ومهجوم، غلى الخصوص والعموم، على نهج الرواية العلوم، مما أحاطت به فهرسة الأعلام ابن عازي بروايتها إياها عن شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد العربي بن أبي العباس يوسف الفاسي، عن أبي عبد الله المختار عن أبي النعيم رضوان ابن عبد الله (2) عن أبي محمد عبد الرحمن بن علي الشهير بسطين (3) عن

فهرست اليوسي، مخطوط الخزانة العامة بالمرباط - رقم 1583 - لا - 109
 المؤلف جمع تنوفاً وهي البرية التي لا ماء فيها ولا أشجار
 أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي - المحدث المكثر الرواية - بحالة من ذلك - قوله
 بفاس عام 991 هـ - 1583 م
 أبو محمد عبد الرحمن بن علي المعروف بسطين - الطبعة المحدث الرواية - وهو أبو النعيم
 وأخذ فيه عن جماعة من المحدثين - توفي عام 471/490 - 490

مولفها أبي عبد الله بن غازي ، وفهرسة أبي العباس المنجوز (4) والامام
 المنجوري (5) وابن الزبير ، وحدثته بذلك عن مولانا المحدث الزاهد العارف
 بالله عبد الهادي بن عبد الله الحسني (6) ، عن والده الامام (7) وعن القصار
 وأبي العباس المعروف بابا السوداني (8) وأبي العباس أحمد بن محمد الشهير
 بابن القاضي وغيرهم من مشايخه ، وإجازة الشيخين أبي محمد عبد الهادي ،
 وأبي عبد الله العربي إياي ، وهما عامتان في كل ما يحملانه أو يقولانه أو
 يفتلانه ، وأجرت له أن يروي ذلك عني ، وأذنت له فيه أذنا تاما تلقاه لفظا
 وكتابة متى على شرطه المعتبر ، عند أئمة الأثر ، قال ذلك وكتبه بيده متلفظا
 بالإجازة أواخر شهر الله الحرام مفتتح عام تسعة وسبعين بموحدة قبل العين ،
 وألف ، محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي عفا الله عنه بمئة آمين .

- 14 أبو العباس أحمد بن علي المنجور الكناسي الأصل ، الفاسي المولد والنشأة والوفاء . كان
 أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ حسدا في جميع الفنون الأخرى من معقول ومنقول
 له تأليف عديدة وفهرست جامعة ، توفي عام 86/1387
- 15 أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي المعروف بالمنجوري أكرم الناس من شهر الحظاظ
 المحدثين . توفي عام 30/834 - 1431
- 16 أبو محمد عبد الهادي بن الإمام عبد الله بن علي بن طاهر الخنيسي السجستاني . كان من
 أهل العلم والدين . وهو مؤلف كتاب فلك السعادة . الدائر في فضل الجهاد والشهادة
 توفي بالحرم الشريف عام 46/1030 - 1047
- 17 الإمام عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجستاني . كان له باع كبير في العلم والدين
 والدين واتباع السنة . توفي عام 34/1044 - 1035 ميلاد مدبرة من أعمال سجستان
 أبو العباس أحمد بن أحمد المدعو بابا السوداني السجستاني . ألف نحو 400 نالفا . مهسا
- 18 كفاية المحتاج . وفيه ترجم السجستاني . ثم أطلق سراحه مع قومه . وقد أنطمة له كثير من
 وسبق أسيرا في القيد إلى مراکش . ثم أطلق سراحه مع قومه . وقد أنطمة له كثير من
 علماء المغرب قبل أن يرجع إلى السودان حيث توفي عام 46/1030 - 1027

ملحق رقم (8)

رسالة بعث بها أحمد المقرئ من القاهرة إلى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائى حينما مر محمد الحاج بمصر لدى رجوعه من الحج عام 1031/1041 *

خليلي ان جئت الدلا وجرى ذكرى لدى حضرة الشيخ الرضى ابن أبي بكر
نتيجة سر الاولياء محمد معرف كلييات فضل بلا نكر
فأخبره أني لم أحل عن وداده ولم يوهن البين العلم قوى صبرى
ولا ما أقاسى فى اتقاء غوائل يكيد بها ظلما ذرو الضغن والمكر
أناس نسوا حد الزمان وفتكسه بمن راح من راح الغواية فى سكر
فسل سيدى حسن الخلاص لحائر وختما بحسنى كى ينير به فكرى
يا مفردا علما اهتدى الجمع السالم بلائله . وتثبت فى رياض ولائه
غصون آلائه ، وروى مسدد رأيه عن جابر سمعه عن علائه . وما يسنده فى
مجالس املائه . أهدي اليك يا بركة الزمان . وبقية الناس بهذا الاوان . الفى
حار فيه من يروم الامان . وغلقت فيه الرهان (1) . ولم ينق لسولا وجودك
بضمان . من ارتاب فى حال غريمة ومان . تحبة تنافح خلاك . وتضافح
- أبقي الله جلالك - ظلالك ، وتؤدى بعض حقك الذى راق مرأى اجتلائه .
وأنهى إلى معاهدك الشريفة . ومشاهدك المربعة الوريقة . على بعد الديار .
وجرى بعض الاغراض على الاختيار . أن العبد المخلص على ما تعهد . من الود
الذى به القلب يشهد .

سلوا عن محبة الرجال قلوبكم فتلك شهود لم تكن تقبل الرشى
وقد مهد فى ديار الغربية فرشاً . وسلم لاحكام الافدار . فى هذه الدار . الكثيرة
الاكدار . ولم يسلك منهج من عاهد الدهر وقصد به تجرشاً . والدهر ذو ألوان
ولبعض أفعاله على غيرها عوان . فى امراره واحلاله . فأما الشوق إلى سبى
ووللى فلا يستوفى وصفه القلم واللسان . وحدث عن مسند أحمد (2) بما
شئت من طرق هى مع غرابتها حسان . وأما الحال . فى الحال والترحال . فقد
لبست من الصبر أحسن بزة . كبير ورقة حالة وفراق أحبة أعزة . معن لو أن
أقلها يرمى به جبل ليزه . اللهم غفرا . وشكرا لا أكفرا . حجاج الفقير مرارا
خسنا . وأضحى فى بعض مجاورا وأمسى . واستجلى من طيبة المنسرفة على
ساكنها الصلاة والسلام فى سبع مرار بدرا وشصا . وجاور هناك . ودرسى

مخطوط الغزاة العامة بالرباط رقم 471 ك . ص 47 - 53
(1) غلق الرحمن فى يد المرتضى (من باب فرج) : صار ملكا له بسبب عجز الراعى عن استكاثه
(2) يورى المقرئ هنا بكتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل . وهو يقصد نفسه واشتبهه بالشيخ الدلائى

وصنف وأضاء فكره الحالك ، ونطق لسانه في الحضرة النبوية ، بالمطالب
الدينية والاخرية همسا ، ومما من الله به عليه أنه ألف بالحضرة قتح المتعال ،
في مدح النعال و أزهار الكمامة ، في أخبار العمامة وكل منهما مجلد كبير ،
فاج منه عنبر وعبير ، وحاز ان شاء الله الشرقيين ، بالتصنيف في هذين
الطرفين ، الذين أحاطا بالذات الطاهرة ، وكان تصنيف كتاب العمامة تجاه
الرأس الشريف لمناسبة باهرة ، وكان قصد العبد أن يرسل بها الى سيده
قبل هذا التاريخ فقدر الله أن بعض كبراء الدولة أخذها ، ولم يبق والله
عندي الا الاصل فقط . وكانت اقامة ابن سيدي (3) في مصر قليلة ، لم يمكن
في مدتها كتبها . ولعل الله ييسر في ذلك بعد . وقد خست كتاب العمامة
برجز اشتمل على زبدته وقد وجهته اليكم صحبة هذا المکتوب ، وهو مکتوب
بالمدينة المشرقة على صاحبها الصلاة والسلام . ثم زرت بيت المقدس ثلاث
مرات ، ومواطن الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان بالشام كرات ، ثم
عدت في هذا الوقت الى مصر بقصد الرحلة بالعيال الى الشام ، والله المسؤول
في تيسير الامر ، ورفع الاصر (4) . وما ذكرت بعض هذا الا على وجه
التحدث بنعم الله ذي الامتنان ، لا على وجه التفاخر الذي ينبغي للموفق أن
يصرف الى غيره العنان ، نعم بقلبي ياسيدي سلمكم الله حسرة جلت ، وحيرة
حلت ، خلفته في كربة في بلاد غربة وتخلت ، وهي أمر البنت التي بفاس ،
وقد ضاقت وحق لها من أجلها الانفاس ، اذ لم يمكن اليها الوصول ، وتعسر
مجيئها الى على وجه محكم الوصول ، والقصد من بركات سيدي شمولها
بالنظر ، والاعانة على تزويجها بلائق ممن حضر ، وهذا غاية المقدور ، بل
ومنتهى المرام ونفثه مصدور ، وكم حسرات في نفوس كرام ، وقد أرسلت
اليها مع النجل الاجل سيدي محمد شكر الله سعيه ، وأدام صونه ورعيه ،
سبعة وثلاثين رايالا كبيرة ، جهد مقل تراكت عليه لولا تثبيت الله أمور
مبيرة (5) ، والقصد ارسالها اليها بفور بلوغه في السلامة ، واذا أبرم القدر
شيئا فلا عتاب ولا ملامة ، وقد أرسلت الى الاصهار والفقهاء سيدي عبد
الواحد (بن) غاشر وسيدي محمد بن سودة ببيع الكتب على طريقة الاذاعة
والاظهار والنداء عليها في محل الرغبات ، ومظان الطلبات ، ودفع ثمنها في
مؤن هذه البنت ، التي بوجودكم عليها أمنت ، وأما أمها فقد كنت ملكتها
أمرها (6) قبل فلم ترضي . والآن وقد غلب الظن اني لا أقدر على القيام بما لها
من فرض ، اذ قدومي متعسر ، والعكس غير متعسر ، ولا يليق تأخير المعسر الى

(3) الإشارة الى محمد الحاج ابن الشيخ حمزة بن أبي بكر الدلائي

(4) الاصر : الثقل والذنب

(5) المييرة : المهلكة . من الجوار . والفعل أبار بمعنى أهلك

(6) تعليق المرأة أمر نفسها عبارة عن أن يجعل الزوج حق المسلمين من يتي زوجها

العصمة الزوجية ان شئت

الإصفرار ، ولا الهروب من مواقف الإبطال والفرار ، ولا ضرر ولا ضرار ، والعزم عدم الاغترار ، فلها طلبة مملكة ان شاءت ، وقد صدرت منهم فعلة احزنت ، وفلانة ساءت ، وهي بيع بعض الكتب التي تعبت في تحصيلها ، وحملت تصحيحها نتيجة العمر ، ومن جملتها ابن غازي والعيني على الانبياء وغيرهما مما لا يحجل فضله حتى العمر ، واخبرني بعض الجوراريين والتواني بحضرة النجل أنها عنده بتوات (7) ، وذكر لي علامات في هذا الكتاب بخطي والدمر بردها غير موات ، فهل يعدل الكتب حتى ، وما بعد الرشد الا الفنى ، واذا كانت لغائس الكتب تباغ خلصة ، فيعينا بالمال العام انقى للدائسة ، وما اظهرت مثل هذا لسيدى الا لعلى أنه الثقة الوثائق الالوف ، بل سيدى واحد العصر المندود بالالوف ، ولا يقنى ومالك بالمدينة ، اللهم احفظ مقام سيدى ودينه ، فليكن ما سطرته على شريف علمه ، وان أسأت فليحفظنى بردها حلته ، فلا عطر بعد عروس ، والمتساهدة قد ينوب عنها ما فى سطور الطروس ، وقد اوصينهم ان يكتبوا ما بقى من الكتب فى زمان ، ويرسلوه لسيدى لعله يختار منها ما يراه وهو الامام ، الذى به التمام .

.. والواصل لسيدى العقيدة التى من الله بنظمها وعلى اضافة الدجينة ببقاها ، **أهل السنة** وقد كتب من هذه العقيدة بالحرمين واليمن ومصر والشام أكثر من ألفى نسخة كتب خطى على أكثرها ودرستها بحكة وبيت المقدس ودمشق ومصر والاسكندرية ورشيد وغزة ، ولله المنة ، والعزم على شرحها الآن متوفر ، وأما **قصيدة العمامة** ، الموجهة مع هذه ففى خاتمة ازهار الكفاة ، وأرسلتها مع ما فيها من الإصلاح ليركا بكونها كتبت بعصرتة صلى الله عليه وسلم فى تلك الاوراق غير الورقة الاولى قالها كتبت بمصر بدلا من التى بالمدينة لعذر اقتضى ذلك ، والقصد استمطار الدعاء ، عن تلكم العظيمة - علم الله - لا التبعج بذلك على وجه الرياء ، والاعمال بالنيات ، ولم تر من سيدى مكتوبا مع النجل العزيز ولا تدرى ما سبب ذلك .

وما حسناته الا ذنوب

اذا كان المحب قليل سعيد

وكل ما يفعل المحبوب محبوب ، استغفر الله لسيدى أجل من أن يعاتب ، وما الفرق بين العبد فى الشهادة والمكاتب ، وقد أكثرته على سيدى فليسمع ويصليع والسلام معاد على حضرة مقامه ورحمة الله وبركاته ، وكتب عن عجل اوامر شهر ربيع النبوى سنة واحد وأربعين بعد الالف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

17 لوات اقلية بالصحرى الشرقية المغربية كان الفرق يسبون قد انطوى امام القاهية والحدود بالحدود

ملحق رقم (9)

أبو حامد محمد العربي الفاسي يمدح شيخه محمد بن أبي بكر
الدلائي *

أدار بذات السدر في الجانب الشرقي
واني لمن عيني عليك سحائب
وقفت على الرسم المحيل فشاقني
فما برحت مزن الغمام حوافلا
ساجلني أني لها دون حامل
وتذكرني ، لو كنت أنساهم ، الصبا
وساجدة تفتن في نغماتها
وأحسبها مثلي إذا قلت قد بكت
فما أذرت الدمع السفوح وشملها
ولي مقلة تهمني كأن شؤونها
ودون أفيراخي تنائف نيفت
وشمل على حكم الشتات مبدد
وعندي أفيراخ هنا ، وسواهم
فعندهم شق وآخرها هنا
تئات بنا الإقطار حتى كأننا

سقاك الحيا هادام صوب الحيا يسقي
تسمع إذا شحت بها أعين الودق (1)
فأبكي واستدعي العهد واستسقي (2)
لحمل من الربيع في ربيعها تلقى
ولي حامل الذكرى لأهلي والشوق
تهب بمسراها (ومؤتلق) البرق (3)
على الفتن المدن الوريق من الورق
وأين بكاهها من بكائي على لفق (4)
جميع وفرخاها لديها على لمق (5)
شأبيب قدفاضت من الواكف الشرقي (6)
على العشر للشاري من أفق إلى أفق (7)
وقلب على تلك التفاريق في فرق (8)
هناك ، وكم فلق لقلبي وكم فرق (9)
وما أن يكاد الشق يبلغ بالشق
حروف بأقطار البيوت من الوفق

* سليمان الخوات ، البدور الضاوية ، ورقة 170 - 171

- (1) الودق : المطر ، وبيع : نزل وهطل ، عكس شح بمعنى انحبس
- (2) الرسم المحيل : آثار الديار القديمة التي أتت عليها الأحوال وأعوام
- (3) في النسخ المخطوطة (مؤتلق) ويظهر أنها مخروقة عن مؤتلق
- (4) اللفق - بكسر اللام وسكون الفاء - الجزء ، والشقة من شقني الملائة ، يقال للرحطين لا يفترقان هنا لفقان ، واللفق الذي اقتبسده الشاعر وبكاه هو ابتداء كما يوضحه
- الآيات التالية
- (5) أذرت العين الدمع : حيتته ، واللفق مصدر لفق إليه - من باب نصر - إذا نظر إليه
- (6) الشأبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر ، والواكف : السحاب ، وآخر كلمة فور هذا البيت في النسخ المخطوطة (الشرق) ولعلها مخروقة عن الشرقي
- (7) التنائف مفردا تنوفة وهي القفر التي لا ماء فيها ولا أنيس
- (8) الفرق - بفتح فسكون - الانشقاق والتصدع
- (9) اللفق والفرق - بكسر فسكون - الجزء ، والقسيم من الشيء ، يقول الشاعر ان قلبه مفرق كثيرا ، بعضه مع ابتداء هنا ، وبعضه مع غيرهم هناك

والنفس ضارب من الفال أنها
 ولم يبق مني الشوق الا حشاشة
 وكان على ما لقيت ولم يهن
 من على أن يروغ سربهم
 ونى بأحوال الزمان لعارف
 رست على أبنائه الدهر عاتبا
 راني أنا الطاوي على اليأس كشبه
 وأجهر نفسي أن يمل بي وصلها
 ولا أنسى أن صمم العزم جانحا
 وإن سرت عن من لي عليه ولادة
 إذا لم تكن بالغرب أرض تقلني
 وما قيد النفس الشرود سوى الذي
 نفس عن نفسي وأنس غربتي
 رس لي الآمال حتى حسبتها
 ليجمع لي الشمل الشيت ويلام
 رانيك بالشيخ الإمام محمد
 بحيث توافي الحلم والعلم والندى
 قلته أعتاق الرجال قللنا
 إليه طوي عرض البلاد ششرد
 اليك اليك أبي العار حامى الـ
 فأنتم بنو الشيخ أبي بكر الذي
 وما كان ذاك الشيخ يسلم جاره
 وقد كان حقا عنده نصر جاره
 فبشم وذاك الأثر فيكم مؤيد

لجمع، وهل جميع يحاول بالفرف (10)
 وللشوق ما يفنى وللشوق ما يفيض
 على الذي لاقى الاحبة من ضيف
 وأن يشربوا بعد الصفاء من الرنق (11)
 فأونة يحلى وأونة يعلى
 وإن وكسوا حظي وإن عجزوا حقي
 إذا بان لسي أن الرجاء من الحمى
 على ظما مني الى المورد الطريق
 الى وطن أو ساكن فيه أو غلى
 كفاني فيه مالك الخلق والروى
 بعزة نفس كانت الارض بالشمرق
 أجاز وأجرى سيبه دائم الدفق
 وفرج لي كربى وحل عرى خلق
 تزف الى مسرعات على طرق
 الفتيت ويلقى الله برا بما يلقي
 امام الپدى الپادى الانام الى الحق
 وحيث تساوى القول والفعل فى انصدق
 من العرف تقليد الحمانم بالطوق
 نجى بدماء مستجيرا من البوق (12)
 سذمار مجير الجار من كل ما يشفى
 حمى وسما بالجد والدين والخلق
 ونو لامة الاملاك مع سائر الخلق
 وأنتم لعمري وارثو ذلك الحق
 ولله سر فيكم دائما يلقي

(10) الإشارة في هذا البيت والذي قبله الى اصطلاحات علم الوق وهو الإسعاد . فالشعر بعينه
 نفسه وأمله بالخروف الموزعة على مربعات جدول الوق . غير أنه يقال بأن يجمع مع
 ذويه كما يجمع حروف الجدول . ثم يشتمل كيف يمكن جمع الشمل وهو مضمون في
 الابتعاد والافتراق

(11) الرنق - يفتح فيكون - الماء الكثير
 (12) البوق : مصدر باق القوم عليه - من باب نصر - إذا اجتمعوا ففعلوه فلما . وينجز الشاعر
 في هذا البيت الى قراره عن التبع المأمون السعدى الذى سلم مديده المرائى الحسن
 الأسبانيى وأرغم العلماء على أن يقتوه بمنشورعية تصرفه لطائش . الرجوع فى هذا
 الموضوع الى صحيفتى 113 - 114 من هذا الكتاب

ملحق رقم (10)

رسالة بعث بها أحمد بن عبد الله الدلائي الى السلطان اسماعيل يعذر
عن تخلفه بتلمسان *

باسم من يضع الملك حيث يشاء ، فاختار له علي علم قريشاً . يتفيا
(تحت) ظلال الدوحة النبوية ، ويتشمم عرف أزهار عوارفها المصطفوية .
ويشرق الى حيث النجوم الشوائك ، والمعالى أرائك . من تحمر من هيبه جلالة
الانفاس ، على حدود الاطراس ، ويتشرف بلشم يمين طالما ازدحمت على تقبيها
الإملاك ، وانجابت لحسن صنيعها عن بني الآمال الاحلاك . أبقاها الله آخذة
بيد من زل به الزمان ، ولحل ربة كل عان . ولتقبل أفواه واعطاء نائل
وامساك هندی وحبس عنان ، وشيد لراقمه في كنف الدولة الهاشمية كنفاً (1)
واستوهب له منها عفوا لا يعقب ندامة ولا خوفاً . دولة مولانا الذي ملك البواطن
بحسن بشره وعفوه ، والظواهر بشدة بأسه وسطوره ، محيي الدولة .
ودريئة (2) الابطال عند الجولة ، قاهر الملوك ، وواسطة عقد السلوك ، من دانت
لهيبته فتاكة الاقطار ، وترنمت لمآثره حداة القطار ، ظل الله على برهائه
الظليل ، أبو الفتوحات مولانا اسماعيل . لازالت رياح العز تنشر خوافق
الويته وراياته ، والنصر يتلو في مآزق الحروب محكم آياته . وليت شعري بم
أحیی ذلك المقام النبوی ، والجناب العلوی ، وأی عبارة أرتضيها للافصاح عن
قدره ، أو تقوم بمواهب حقه وبره ، وغاية جهدي يستغرقه عفوفضائله . ولو
كنت سحبان وائل ، ويخجله أسير قواضله ، حتى أكون في الفياضة كياقل .
ان قلت تحية كسرى في السنا وتبع (3) ، جف القلم استحياء من سلوك هذا

سليمان الخوات ، البدور الضاوية . ورقة 1/114 وأحمد بن الحاج ، الدور المتخبط
المستحسن ج 6 ، ورقة 34/ب . وكان السلطان اسماعيل بن الشريف قد كتب الى
الدلائل المبعدين في تلمسان عام 1085/1074 بأذن لهم بالرجوع الى المغرب . ولحقهم
سريعين بغاس فاعدا أحمد هذا فانه ظل بتلمسان ، إذ كان يدبر أمر الدولة مع الزا
الجزائر . ولما ألح عليه قومه في المدخول الى المغرب حسب المتصالحات التي نصرتهم كتب
هذه الرسالة الى السلطان معتقدا وطالبا منه كتابا بالعفو يبعث به الى والده عبد الله
في الجزائر

- (1) يعني الكاتب نفسه بقوله ولراقمه . وكنف الدولة حارها وظلها . وكنف التامس - صحيح
- (2) الكاف وسكون النون - الحفظ والصون
- (3) الفريضة : آلة كالترس يتقى بها المحاربون الضمن والضرب . ويصف الكاتب السلطان اسماعيل
بالشجاعة والاقدام حتى كأنه ترعى يدرا عن أبطاله ميالك الحروب
- (4) يشير الكاتب هنا الى أعلام ضرب بها المثل قديما . فسحبان وائل عرف بالقصاحة في المرحلة
والاسلام حتى قيل انه أخطب العرب . وبافل بن عمرو الأبادي اشتهر في المرحلة بالبر
والفياضة أي العجز عن الكلام . وكسرى أبو شروان أعظم ملوك فارس عروة العرب عن
طريق أمرائهم في الحيرة وضربوا المثل بجلاله ورقة شأنه . ولج واحد الشياطة . وهو
ملوك اليمن القدماء المعروفون بحضارتهم وشدة بأسهم

جميع . وأولى ما يحيى به ذلك المقام الذى اتخذ الافلاك مياديا ، والنجوم رسادا .
 الشجرة التى أضاء الشرع نبراسها ، وأدار على أمته كاسها ، وأغفل الله عبدا
 إمام وأجناسها ، وخباها لهذه الأمة المحمدية نكرمة لها فلم تستشيق أممة
 برما وردها ولا آسها . سلام على سيدنا ورحمة الله تعالى وبركاته . ورضوانه
 لايم وتحياته . من عبد له يخر على طرف بساطه لاثما ، ويقضى من حقوق
 الخدمة فرضا لازما . أحمد بن عبد الله . أوجبها الى الحضرة الكريمة التى
 ينشئ فيها الصادر الوارد بالبشائر ، ويسلو فيها الغريب الخائف بحسن
 ملافتها عن الأهل والعشائر ، الاعلام لسيدنا بهدى عن التخلف . فليعلم
 مولانا السلطان نصره الله أن موجه ما معى من عيال أبى فكرهت أن أصاب (4)
 عليه فى عياله وهو غائب . فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر . ولما خرج
 برسم الوصول الى العياك حرم القطب الغوث أبى مدين نفع الله به وجد هذه
 الفتنة بين يديه (5) . فتأخر حتى يسكن هرجها . ويحمد وهجها . ولا يصفى
 مولانا نصره الله الى أقوال الوشاة فينا ان بلغه غير هذا ولا يقبله . فإن الله
 سبحانه وتعالى لم يقبل فى مولانا أقوالهم . ولا وافق شهواتهم وأغراضهم .
 ولم وافق أغراض البعض فى البعض . ما أدى نفل ولا فرض . ولا بضيق علينا
 مولانا من عفوه ما وسع أهل المغرب . فقد مددنا الى سيدنا أكف الضراعة .
 مستشفين اليه بجدده صاحب الشفاعة . يمن علينا بعفو بزيل ابداننا .
 ويسكن جاشنا . أبعثه الى والدى فان أحب فذلك هو المطلوب . والامل المرجوب .
 الأركيت الى سيدي عزما يحكى الرياح فى الهبوب . فقد طالت فى انتظاره
 الغربة . ونالنى من ذلك كل كربة . والله سبحانه المسؤول . أن يبلغنى ما
 أرجوه بكم من كل مطلوب ومطلوب . فانا عبدكم المتشرف بخدمتكم والناس
 الذى أتيت تحت رباب سبحانه بكم (6) .

والله ما فارقتم على قلى لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون
 والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته .

1. انكث عليه : استبد بالراى دونه
 2. يشير الكاتب الى احدى التورات التى قام بها التلمسانيون . فقفى عليها الاراء .
 شديد . ولم يصيب الدلائيل المقيمين فى حرم العباد تلمسان شهر هذه السنة لانه
 الله الدلائل الذى كان اذ ذلك فى عاصمة الجزائر اوصى فانه الحيلة التركية المرحية
 ال تلمسان أن يجنب جنوده مساكن الدلائل .
 الرباب - بفتح الراء - السحاب الابيض

مصادر الرسالة

أورد في الشبطين التاليين أهم المصادر العربية والأجنبية التي رجعت إليها، وهي مرتبة على أسماء المؤلفين بحسب حروف الهجاء (الترتيب المغربي) مع ذكر سنة وفاة المؤلفين الأقدمين.

١ - المصادر العربية

ابن إبراهيم (1378/1959) عباس المراكشي .

١ - الاعلام بمن حل مراكش وأغमत من الاعلام ، ٥ أجزاء (فاس 1356/1937) .

ابن أبي زرع (حوالي 719/1319) أبو العباس أحمد .

٢ - الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس جزآن (الرباط 1355/1936) .

ابن بطوطة (777/1376) محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي .

٣ - تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار . (الطبعة الاولى بمطبعة وادي النيل في القاهرة عام 1287) .

ابن الحاج (1235/1819) أحمد بن محمد بن حمدون السلمي .

٤ - الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن . (مخطوط مكتبة الشيخ خير الدين الزركلي بالرباط) .

ابن حزم (456/1063) أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي .

٥ - جمهرة أنساب العرب ، (تحقيق ليفي بروفسال - مصر 1948) .

ابن خلدون (808/1406) عبد الرحمن .

٦ - كتاب العبر - القسم الاخير المتعلق بالدول الاسلامية بالمغرب ، جزآن (نشره البارون دوسلان في الجزائر 1203/1847) .

ابن زيدان (1365/1946) عبد الرحمن العلوي .

٧ - اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، ٥ أجزاء (الرباط 1347/1929) .

٨ - المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف ،

مخطوط الخزائن العامة بالرباط 595 ج . (المطبعة الملكية بالرباط)

٩ - العز والصولة في معالم نظم الدولة ، (المطبعة الملكية بالرباط)

1381/1961) .

ابن الزيات (627/29 - 1230) يوسف الشاذلي .

١٠ - التشوف الى رجال التصوف (نشره أدولف فور بالرباط سنة

1958) .

ابن مرزوق (1380/782) الخطيب محمد (الأكبر) التلمساني .

11 - المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط III ق) .

ابن علي (1945/1364) محمد الدكالي السلاوي .

12 - الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتين المهدي لمولانا عبد العزيز . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 42 د) .

13 - كتاب في الرباطات . (مخطوط مكتبة ابن غازي بمكناس) .

14 - كناسة علمية . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 01 ج) .

15 - مجموع فيه أخبار الدلائيين . (ميكرو فيلم الخزانة العامة بالرباط 36) .

ابن عسكر (1578/986) محمد بن علي السريفي الشفشاوني .

16 - دوحة الناصر لمحاسن من كان بالمغرب من مآيخ القرن العاشر . (المطبعة الحجرية بفاس - بدون تاريخ) .

ابن القاضي (1616/1025) أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي .

17 - جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس (المطبعة الحجرية بفاس) .

18 - درة الحجال في غرة أسماء الرجال ، جزآن ، (نشرهايت . س) . علوش بالرباط سنة 1934) .

19 - لقط الفرائد من حقائق الفوائد ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 270 ك) .

ابن سودة (معاصر) عبد السلام المري .

20 - دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، (تطوان 1369/1950) .

أكنسون (1877/1294) محمد بن أحمد المراكشي .

21 - الجيش المرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 905 د) وهي السحنة التي اعتمدها . وقد طبع على الحجر بفاس عام 1336 هـ .

أعلق أكان حيا أواخر القرن 13 هـ / 19م) عبد القاهر بن محمد بن أحمد بن الحسن

22 - الخبير عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 01 د) .

اساني (18/1234 - 1819) أحمد بن عبد السلام .

23 - تحلية الآذان والمسامع بنصرة الشيخ أبي زكريا العلامة الجامع . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 050 ك) .

اليستاني (1883/1301) المعلم بطرس . II مجلدا . (بيروت 1493/1970) .

24 - دائرة المعارف لليستاني .

25 - الاغتياط بتراجم أعلام الرباط ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1287 د) .

26 - مقدمة الفتوح من تاريخ رباط الفتوح ، (مطبعة الجريدة الرسمية بالرباط 1345 هـ) .

بنازي (1247/31 - 1832) أبو محمد عبد الودود بن عمر .

27 - نزهة الاخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكرين (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1264 ك) .

بدون (معاصر) أبو محمد عبد الله الطنجي .

28 - التبوغ المغربي في الادب العربي ، 3 أجزاء ، الطبعة الثانية (بيروت 1961) .

29 - خل وبقل ، (المطبعة المهدية بتطوان ، بدون تاريخ) .

العافي (كان حيا عام 1160/1747) أحمد بن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي
30 - الفهرست ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 4131 ك) .

الحجوي (1376/1956) محمد بن الحسن الثعالبي .

31 - الرحلة ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 123 ح) .

32 - الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، 4 أجزاء ، (الرباط - فاس 1345) .

الحجوي (معاصر) محمد المهدي

33 - حياة الوزان الفاسي وآثاره ، (الرباط 1354/1935) .

لحوات (بعد عام 1233/1817) أبو الربيع سليمان بن محمد العلمي السفساوي
34 - البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 261 د) .

35 - ثمرة أنسى في التعريف بنفسى ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1264 ك) .

دارد (معاصر) أبو عبد الله محمد التطواني .

36 - تاريخ تطوان ، (تطوان 1379/1959) .

الدلائي (1046/1636) محمد بن أبي بكر
37 - الفهرست ، (مخطوط مكتبة الاسماء محمد ابراهيم الكناسي بالرباط) .

دنية (1358/1939) أبو عبد الله محمد بن علي الرباطي .
38 - النسمات الندية من نشر ترجمة أحمد دنية ، (الرباط 1355 هـ) .

الزركلي (معاصر) الشيخ خير الدين .

39 - الاعلام ، قاموس تراجم تاريخ ولا مكان الطبع .

الرباطي (1055/45 - 1646) عبد العزيز بن الحسن المهدى .

40 - الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجمال عمارة .
(مخطوط الخزانة العامة بالرباط 66 ج) .

الرباطي (1249/1833) أبو القاسم .

41 - البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف . (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 1577 د) .

42 - الترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب . (مخطوط الخزانة
العامة بالرباط 658 د) .

43 - الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا . (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 659 د) .

44 - قصة المهاجرين المعروفين اليوم بالبلدين بفاس . (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 270 ك) .

الكتاني (1323/5 - 1906) جعفر بن ادريس .

45 - الرياض الربانية في الشعبة الكتانية . (مخطوط الخزانة العامة
بالرباط 497 ك) .

الكتاني (1345/26 - 1927) محمد بن جعفر .

46 - سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أفر من العلماء والصلحاء
بفاس . ثلاثة أجزاء . (المطبعة الحجرية بفاس 1310 م) .

الكتاني (1382/1962) عبد الحى

47 - فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات .
جزآن . (فاس 1346) .

الكتاني (1350/1931) عبد الكبير بن هاشم .

48 - روض الانفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية . (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 6412 ك) .

مؤلف مجهول

49 - تاريخ الدولة السعودية الدرعية التاكمادرية . (نشره جورج كولان
في الرباط 1353/1934) .

مؤلف مجهول

50 - التعريف بأحمد الششتري . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط
1419 د) .

الحبي (1111/1699 - 1700) أبو عبد الله محمد .

51 - خلاصة الاثر في أعيان القرن العاشر عشر . (مصر 1284) .

النسوري (1384/1964) أحمد بن قاسم .

52 - تاريخ زيان . مخطوط خزانة المؤلف بولاي دة .

المتوفى (معاصر) محمد بن عبد الهادي الكناسي .

53 - ركب الحاج المغربي . (تطوان 1953)

المقري (1632/1041) أحمد بن محمد التلمساني

54 - أزهار الرياض في أخبار عياض ، 3 أجزاء ، (مصر 1939/1358)

55 - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، أربعة أجزاء . (المطبعة الأزهرية بمصر 1302 هـ)

المشرقي (1895/1313) العربي بن علي العسكري .

56 - الحسام المشرقي لقطع لسان الشاب الجعفي الناطق بخرافات

الجعسوس سمي الظن الكنسوس ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2276 ك)

مبارة (1662 - 61/1072) محمد بن أحمد .

57 - اختصار الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين ،

(مصر 1348)

الناصرى (1897/1315) أحمد بن خالد السلاوي .

58 - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، 9 أجزاء (الدار البيضاء 1954)

59 - طلعة المشتري في النسب الجعفري ، جزآن ، (المطبعة الحجرية

بفاس)

الناصرى (1716/1128) أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي .

60 - الرحلة الناصرية ، جزآن (المطبعة الحجرية بفاس 1320 هـ)

الناصرى (كان حيا عام 1745/1158) محمد المكي بن موسى الدرعي .

61 - الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة ، مخطوط الخزانة العامة

بالرباط 265 ك)

الصومعي (من رجال القرن العاشر) عبد الرحمن

62 - التشوف الصغير ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1105 هـ)

الضعيف (كان حيا عام 1820/1236) أبو عبد الله محمد الرباطي .

63 - تاريخ الدولة السعيدة ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1275 هـ)

العكاري (1746/1159) علي بن محمد - الحميد - الرباطي

64 - مناقب الشيخ سيدي علي العكاري أو البدور الضاوية في ذكر

الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية ، (مخطوط الخزانة العامة

بالرباط 88 هـ)

العلوي (1135/22 - 1723) محمد بن الطيب .

65 - الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب . (الطبعة الحجرية بفاس 1315)

ملوش (معاصر) ي. س. وعبد الله الرجراجي

66 - فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط . جزآن ، (الرباط 1958)

عمار (معاصر) علي سالم .

67 - أبو الحسن الشاذلي ، جزآن ، (مصر 1952)

عنان (معاصر) محمد عبد الله .

68 - نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين . (طبعة مصر - بدون تاريخ)

العياشي (من رجال القرن 12هـ/18م) أبو محمد عبد الله بن عمر .

69 - الاحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش . (مصور الخزانة العامة بالرباط 1433 د)

العياشي (1090/79 - 1680) أبو سالم الرحالة .

70 - الرحلة العياشية أو ماء الموائد ، جزآن ، (الطبعة الحجرية بفاس 1316)

الفاسي (1052/1042) أبو حامد محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن .

71 - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن . (الطبعة الحجرية بفاس 1324/1906)

الفاسي (1179/65 - 1766) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر .

72 - المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1434 ل ك)

73 - شرح درة التيجان . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1432 ل ك)

الفاسي (1134/21 - 1722) محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر .

74 - المنح البادية في الاسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1430 ل ك)

الفاسي (1109/97 - 1698) محمد المني .

75 - تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية . (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 70 ج)

76 - ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتابع وما لهما من الاتباع . (الطبعة الحجرية بفاس 1313 هـ)

الفاسي (1096/1085) عبد الرحمن بن عبد القادر .

77 - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجلوب
(مخطوط الخزانة العامة بالرباط 320 ك) .

78 - الاقنوم في مبادئ العلوم ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 15 ك)

79 - تحفة الاكابر بمناقب الشيخ عبد القادر - الفاسي - (مخطوط
الخزانة العامة بالرباط 2330 ك) .

80 - شرح العمل الفاسي ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 821 .

الفضيلي (1316/98 - 1899) ادريس بن أحمد العلوي .

81 - الدرر البهية والجواهر النبوية ، جزآن ، (المطبعة الحجرية بفاس)

الفشتالي (1032/1623) عبد العزيز .

82 - مناهل الصفا في تاريخ دولة الشرفاء ، ميكرو فيلم الخزانة العامة
بالرباط رقم 779 .

القادري (1187/1773) محمد بن الطيب .

83 - نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني ، جزآن ، (المطبعة
الحجرية بفاس 1310/1892) .

84 - نشر المثاني الكبير ، جزآن ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط
2253 ك) .

القادري (1206/91 - 1792) عبد السلام بن عبد الله الخياط .

85 - التحفة القادرية ، في مناقب عبد الله الشريف الوزاني ورجال
الشاذلية عموما ، جزآن ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط
2321 ك) .

86 - تقايد تاريخية ، (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط 248) .

السوسى (1383/1963) محمد المختار .

87 - المعسول ، 20 جزءا ، (الدار البيضاء 1380/1960) .

88 - خلال جزولة ، جزآن ، (المطبعة الحديثة بتطوان بدون تاريخ) .

الشتنواني (معاصر) أحمد ومن معه .

89 - دائرة المعارف الاسلامية ، (مصر 1352/1933) .

الولالي (1128/1715) أحمد بن يعقوب .

90 - مباحث الانوار في أخبار الاخيار ، (مخطوط الخزانة العامة
بالرباط 2305 ك) .

اليازغى (1238/22 - 1823) محمد بن أبي بكر .

91 - حقائق الازهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية
البكرية ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2361 ك) .

يحيى (1132/19 - 1720) محمد بن أحمد بن الحسن .

92 - واسطة العقدين في ترتيب الكناشيتين ، جزآن ضخمان جدا كانا
مجزأين من قبل في 10 أجزاء ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط
330 ك) .

يغري (1140/27 - 1728) محمد الصغير المراكشي .

93 - روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف ، (الطبعة
الملكية بالرباط 1382/1962) .

94 - نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، جزآن ، (طبعة
أنجي 1888) .

95 - صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ، (الطبعة
الحجرية بفاس) .

اليوسي (1102/1690) أبو علي الحسن بن مسعود .

96 - المحاضرات ، (الطبعة الحجرية بفاس 1317 هـ) .

97 - الفهرست ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1234 ك) .

98 - تأليف في المكاكرة ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1224 ك) .

99 - مجلة البيئة ، الرباط ، السنة الأولى ، 1963 .

100 - مجلة تطوان ، تطوان ، السنوات 58 - 59 - 1963 .

- 297
- Archives bernières et bulletin de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.
Hesperis. (Paris, 1925 et suiv.).
 - CH. ANDRÉ JULIEN.
Histoire de l'Afrique du Nord de la conquête arabe à 1830. (Paris, 1952).
 - E. LEVI-PROVENÇAL.
Les historiens des Chorfa (Paris 1922).
 - GEORGES DRAGUE.
Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. (Paris 1951).
 - HENRI TERRASSE.
Histoire du Maroc. T. II. (Casablanca, 1951).
 - JACQUES BERQUE.
Al Youssi, problèmes de la culture marocaine au XVIIe siècle. (Paris 1956).
 - JEAN-LEON L'AFRICAIN.
Description de l'Afrique. Nouvelle édition traduite de l'italien, par A. Epaulard, 2 volumes. (Paris 1956).
 - Le comte HENRY DE CASTRIES.
Les sources inédites de l'histoire du Maroc - de 1530 à 1845. (Paris 1905 et suite) Angleterre, France et Pays-Bas.
 - M. HENRY LAVOIX.
Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale. (Paris Imprimerie Nationale. MDCC - CII).
 - Mission Scientifique du Maroc.
Archives marocaines. (Paris, 1904 et suiv.) T. XXVIII.
 - Mission Scientifique du Maroc
Villes et tribus du Maroc. (Paris 1918 et suiv.), Rabat et sa région T. I.
 - M. TH. HOOTSMA et co-auteurs.
Encyclopédie de l'Islam. (Paris, 1913 - 1942).
 - ROGER COINDREAU.
Les consules de Salé (Paris 1948).

298

فهرس اللوحات المصورة

رقم اللوحة	رقم الصحيفة
1	حرجة تواجه القادم الى الدلاء وتستتر بقايا مسجد أبى بكر
2	صحن مسجد أبى بكر فى الزاوية الدلائية القديمة
3	بقايا صومعة مسجد أبى بكر فى الزاوية الدلائية القديمة
4	واجهة ضريحى الشيخين الدلائيين أبى بكر ومحمد
5	منظر عام لزاوية آيت اسحاق المبنية على أنقاض الزاوية الدلائية
6	الباب والقبة لمسجد زاوية آيت اسحاق - الزاوية الدلائية الحديثة -
7	مكتب قائد زاوية آيت اسحاق فى موقع المسجد الاعظم
8	بقايا أسوار داخلية يظن أنها كانت تحيط بقصر السلطان محمد الحاج
9	بقايا قنطرة وادى أهل آزمور بجوار الزاوية الدلائية الحديثة
10	الصفحة الاولى من أحد كتب خزانة الزاوية الدلائية
11	المناطق التى شملها نفوذ الدلائيين بالمغرب
12	مناظر العدوتين فى منتصف القرن السابع عشر
13	رسالة من حكام سلا الى هولاندة عام 1053/1643
14	اقتراحات مضادة بعث بها عبد الله الدلائى الى هولاندة
15	السفارة المغربية فى لاهاي عام 1069/1659
16	رسالة عبد الله الدلائى التى يعتمد فيها سفراته الى هولاندة
17	صورة الراهب بلطازار لوايولا منديز الذى يزعم الاريسون أنه
	محمد الدلائى
18	صحيفة بخط المؤرخ محمد بن على يرد فيها على ادعاء تنصر أمير دلائى
19	ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح بفاس من بناء الأمير محمد الدلائى
20	أقرب مثال لصورة السلطان الرشيد بن الشريف العلوى
21	زاوية محمد بن العربى الدلائى فى الدار البيضاء - الزاوية الحراقية -
22	محمد بن محمد بن حسن الدلائى تاجر فى فاس
23	مقبرة العلماء الدلائيين الشهيرة بزقة باب الحمراء فى فاس

جدول الخطأ والصواب

300

في الكتاب بضعة أخطاء مطبعية لا تخفى على القارئ منها :

صحيحة	سطر	بدلاً من	أقرأ
50	16	صحيحة	صحيحة
	26	المتجر	المتجر
52	11	الآخذ منه	الآخذ عنه
	13	المعرفة	المعروفة
57	20	الطريقة	الطريقة
	21	الصلحة	الصالحة
	22 - 29	بتامكورت	بتامكورت
73	8	وبقيت	وبقية
88	12	محاسن	محاسن
89	6	اعتدله	اعتدلت
100	26	47	147
114	27	0120	1020
123	8	العقلى	العقلى
127	12	بتاليه	بتأليف
144	21	يتغلب	يتغلب
145	10	القها	القها
	21	الكتانى	السكرانى
146	28	وتغاذهم	وتغاذلهم
151	16	جمع	جمع
153	8	1638 -	1638 -
160	7	نجد	نجد
168	25	(4)	(5)
176	31	الطب	الطلب
188	17	الـ	الذى
208	23	15	17
211	28	وثره	ثورة
212	30	رقم	رقم 19
222	9	الثانية	الثالثة
238	16	كفاءات	كفائه
272	3	فلماذا	فماذا
274	15	يحى	محبى
281	1	المنجوز	المنجور
282	22	عنوان	عنوان
		واحلاله	واحلاله
283	21	نفته	نفثة
	24	الياء	اليها
286	7	كشه	كشحه



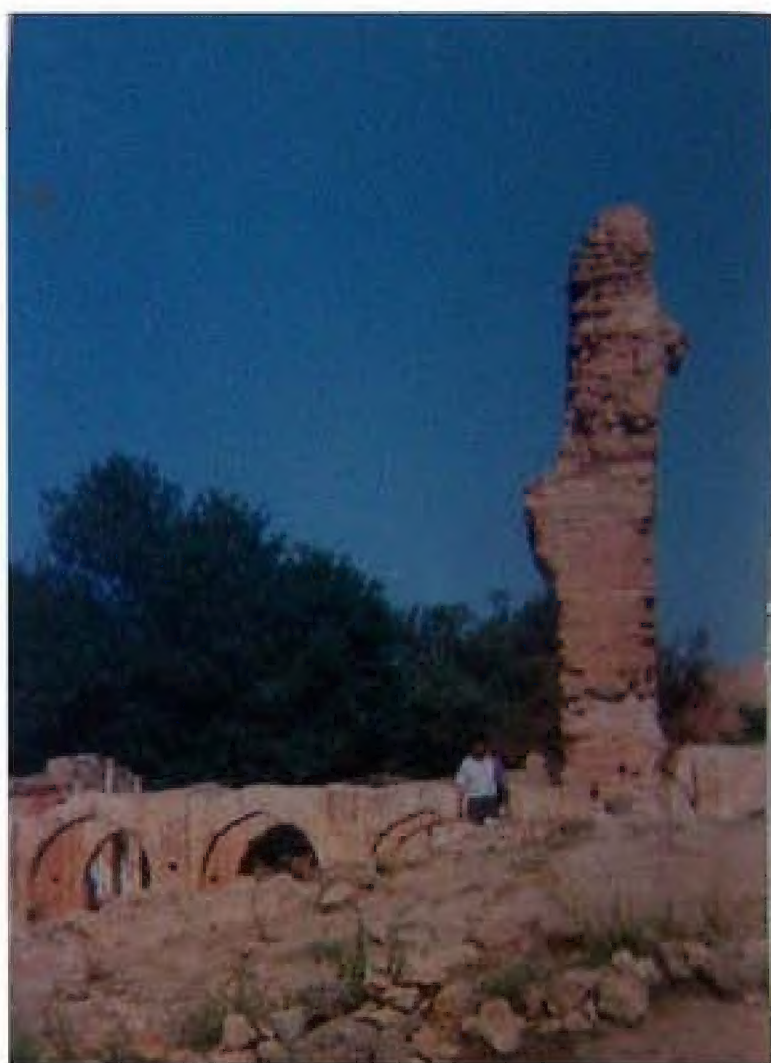
1991



1990



1990



1991



1991